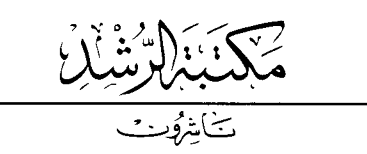
# فَتَاوَى الأَئِمَّةِ النَّجْدِيَّةِ

حَوْلَ

قَضَايَا الأُمَّةِ المَصِيرِيَّةِ

٢

الطبعة الثانية
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م




المملكة العربية السعودية - الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)



ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١
Email: alrushd@alrushdryh.com
**Website: www. rushd.com**

* فرع طريق الملك فهد: الرياض - هاتف ٢٠٥١٥٠٠ فاكس ٢٠٥٢٣٠١.
* فرع مكة المكرمة: هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦.
* فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧.
* فرع جدة: ميدان الطائرة - هاتف ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤.
* فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨.
* فرع أبها: شارع الملك فيصل - تلفاكس ٢٣١٧٣٠٧.
* فرع الدمام: شارع الخزان - هاتف ٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣.
* فرع حائل: هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦.

**مكاتبنا بالخارج**

* القاهرة: مدينة نصر - هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ : موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
* بيروت: بئر حسن - هاتف: ٨٥٨٥٠١ - فاكس: ٨٥٨٥٠٢ - موبايل: ٠٣٥٥٤٣٥٣

# فتاوى الأئمة النجدية

## حول

## قضايا الأمة المصيرية

من: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

إلى: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

المجلد الثاني

الشرك والمشركون

الموضوعات

حد الشرك وأحكامه - العلم سبيل النجاة منه - فتن القبور
الشفاعة - خسارة المشرك - الرد على أشهر شبهات المشركين
وعلمائهم - الأدلة على كفر من عبد غير الله - علة قتال
المشركين وحكم الدار إذا غلبت عليه أحكام الشرك.

تقديم

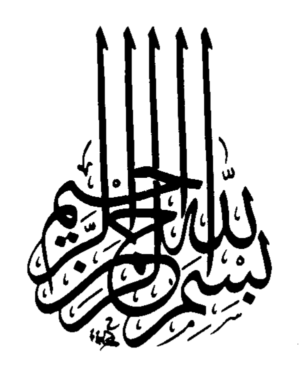
سماحة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

جمعه وأعده

أبو يوسف مدحت بن الحسن آل فراج

مكتبة الرشد
ناشرون



# الباب الثاني

# الشـرك والمشركون

وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول : حدُّ الشرك ودرجاته وأنواعه وأحكامه، مع بيان علَّة عدم مغفرته، ووجوب الحذر منه .

الفصل الثاني : العلم سبيل النجاة من الشرك، وإلاَّ وقع بالجهل والتلبيس وتغيير الحقائق .

الفصل الثالث : الفتنة بالقبور والمفاسد المترتبة عليها، مع الردِّ على أشهر شبُهات أهلها .

الفصل الرابع : الشفاعة وأنواعها وشروطها، وأسباب تحصيلها وموانع الحرمان منها .

الفصل الخامس : المشرك مغبون في دينه لإخلاله بكل قيود الكلمة العاصمة، إلاَّ مجرَّد التلفُّظ بها .

## الفصل الأول

# حدُّ الشرك ودرجاته وأنواعه وأحكامه مع بيان علَّة عدم مغفرته، ووجوب الحذر منه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الشرك.

المبحث الثاني : الشرك أكبر الكبائر، وبيان علة عدم مغفرته.

المبحث الثالث : أنواع الشرك ودرجاته وأحكامه.

المبحث الرابع : خطر الشرك، ووجوب الحذر منه بتجنُّب أسبابه.

# المبحث الأول

## تعريف الشرك

**قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

«والشرك: جعل شريك لله تعالى فيما يستحقّه ويختص به من العبادة الباطنة والظاهرة، كالحب والخضوع، والتعظيم والخوف، والرجاء والإنابة، والتوكُّل والنسك والطاعة... ونحو ذلك من العبادات.

فمن أشرك مع الله غيره في شيء من ذلك فهو مشرك بربِّه، قد عدل به سواه، وجعل له ندًّا من خلقه، ولا يشترط في ذلك أن يعتقد له شركة في الربوبية، أو استقلالاً بشيء منها»(١).

**وقال بعض علماء نجد:**

«وكل من دعا من دون الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، فقد أشرك، لأنَّ الدعاء اعتراف بالعبودية، فبدعائه له صيَّره إلـٰهًا»(٢).

**وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين:**

الشرك تنقُّص بالخالق، ومسبَّة له

«**ومن المعلوم: أنَّ الشرك، إنما حُرِّم لقبحه في نفسه، وكونه**

(١) الدرر السنية ١٢/ ٢٠٥.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٥/ ٦٧٨.

**متضمنًا مسبَّة الرب، وتنقُّصه، وتشبيهه بالمخلوقين، فلا تزول هذه المفاسد، بتغيير اسمه، كتسميته: توسُّلاً، وتشفُّعًا، وتعظيمًا للصالحين**، وتوقيرًا لهم، ونحو ذلك؛ فالمشرك: مشرك، شاء أم أبى، كما أنَّ الزاني: زان، شاء أم أبى، والمُرابي: مُراب، شاء أم أبى[1].

تسمية الشرك بغير اسمه، لا يزيل مفاسده

**وقال أيضًا رحمه الله تعالى:**

«من صرف لغير الله شيئًا من العبادة ــ المتقدِّم تعريفها ــ كالحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتوكُّل، والذبح، والنذر.. وغير ذلك، فقد عبد ذلك الغير واتَّخذه إلـٰهًا وأشركه مع الله خالص حقه، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألُّهًا وعبادة وشركًا.

حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها

ومعلوم عند كل عاقل أنَّ حقائق الأشياء لا تتغير بتغيُّر أسمائها، فلو سُمِّي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنًا وربًا وخمرًا ونحو ذلك»[2].

**وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان:**

فالشرك: هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كالدعاء، والذبح، والنذر، والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله»[3].



(١) الدرر السنية ٢/ ٢٩٩.

(٢) مجموعة التوحيد ٤٩٨.

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والردِّ على أهل الشرك والإلحاد ٤٣.

## المبحث الثاني

# الشرك أكبر الكبائر، وبيان علة عدم مغفرته

الشرك أكبر الكبائر لمنافاته الحكمة المقصودة من إيجاد الخلق، ويقع مع الجهل وتخلف قصد السوء وإرادة التنقُّص بجناب الرب سبحانه، بل وتترتَّب أحكامه عليه، مع زعم التقرُّب به إلى الله زلفى... فكيف خرج بكل هذا عن حدِّ المغفرة ـ التي وسعت السموات والأرض ـ ، وأصبح من أشنع الذنوب التي يُعصى بها الله سبحانه؟

**قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ـ في معرض الرِّد على مجرم أثيم يستدل محرِّفًا بكلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على التهوين من أمر الشرك والمشركين ـ : قال الإمام ابن القيم رحمه الله:**

شبهة عظيمة، مرَّرت الشرك على جُلِّ المشركين

ووقعت مسألة؛ وهي أنَّ المشرك إنما قصد تعظيم جناب الرب سبحانه وتعالى، وأنه لعظمته لا ينبغي لمثلي الدخول عليه إلاَّ بالوسائط، والشفعاء كحال الملوك، والمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الرب، وإنما قصد تعظيمه، فلم كان هذا القدر موجبًا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى، ومخلدًا في النار، وموجبًا لسفك دماء أصحابه، واستباحة حريمهم وأموالهم؟.

هل الشرك قبيح بالشرع فقط، أم بالشرع والفطرة والعقل، ومن ثمّ يستحيل تقريره بأي شريعة من الشرائع؟

ويترتَّب على هذا سؤال آخر، وهو أنه هل يجوز أن يشرع الله سبحانه وتعالى لعباده التقرُّب إليه بالشفعاء والوسائل ليكون تحريم هذا إنما استفيد من الشرع، أم ذلك قبيح في الفطر والعقول يمتنع أن تأتي به شريعة؟ بل جاءت الشريعة بتقرير ما في الفِطر والعقول من قبحه الذي هو أقبح من كل قبيح.

وأما الشرك في كونه لا يغفر من بين الذنوب، فأجاب عن هذا كله بقوله: فنقول وبالله التوفيق والتأييد، ومنه نستمد العون والتسديد، فإنه من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

## (أنواع الشرك)

الشرك: شرك يتعلَّق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله. والشرك الأول نوعان:

**أحدهما**: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون، إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ [الشعراء/ ٢٣]، وقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر/ ٣٦، ٣٧].

الشرك والتعطيل متلازمان

والشرك والتعطيل متلازمان: فكل مشرك معطِّل، وكل معطِّل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرًّا بالحق سبحانه وتعالى وصفاته، ولكنه عطَّل حق التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها: هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام:

أقسام التعطيل

١ ــ تعطيل المصنوع عن صانعه، وخالقه.

الشرك في الأسماء والصفات

٢ ــ وتعطيل الصانع سبحانه وتعالى عن كماله، بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.

الشرك في العبادة

٣ ــ وتعطيل معاملته عمَّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد.

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثَمَّ خالق ومخلوق، ولا ها هنا شيئان، بل الحق المنزَّه هو عين الخلق المشبه.

شرك الملاحدة

ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، وإن لم يكن معدومًا أصلاً. بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط، اقتضت إيجادها، فسمّوها العقول والنفوس.

ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تبارك وتعالى، وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة. فلم يثبتوا له اسمًا ولا صفة، بل جعلوا المخلوق أكمل منه، إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها.

الشرك مع عدم تعطيل الأسماء والصفات

**النوع الثاني**: شرك من جعل معه إلـٰهًا آخر، ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلـٰهًا وأمه إلـٰهًا.

بعض صوره

ومن هذا: شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشرّ إلى الظُّلمة.

ومن هذا: شرك القدرية القائلين بأنَّ الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله تعالى. ولهذا كانوا أشباه المجوس.

ومن هذا: شرك الذي حاجَّ إبراهيم في ربه: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٨].

فهذا جعل نفسه ندًّا لله عزَّ وجلّ يحيـي ويميت بزعمه، كما يحيـي الله ويميت. فألزمه إبراهيم ﷺ أن طَرد قولك: أن تقدر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها. وليس هذا انتقالاً كما زعم بعض الحذّاق، بل إلزام على طرد الدليل إن كان حقًّا.

ومن هذا: شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العُلويات ويجعلها أربابًا مدبِّرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم.

ومن هذا: شرك عبَّاد الشمس وعبَّاد النار وغيرهم.

بعض مزاعم المشركين

ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الإلـه على الحقيقة.

ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة.

ومنهم من يزعم أنَّه إلـه من جملة الآلهة. وأنه إذا خصَّه بعبادته والتبتُّل إليه والانقطاع إليه أقبل عليه واعتزَّ به.

ومنهم من يزعم أنَّ معبوده الأدنى يقرِّبه إلى المعبود الذي فوقه، والفوقاني يقرِّبه إلى مَن هو فوقه حتى تقرِّبه الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى، فتارةً تكثر الوسائط وتارةً تقلّ.

الشرك الخفي، وكيفية النجاة منه

وأما الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخفّ أمرًا، فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إلـٰه إلاَّ الله. وأن لا يضرّ وينفع ويعطي ويمنع إلاَّ الله عزَّ وجلّ، وأنه لا إلـٰه غيره، ولا ربّ سواه. ولكن لا يخلص لله معاملته وعبوديَّته، بل يعمل لحظ نفسه، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة، فللّـٰه تعالى من عمله وسعيه نصيب.

وهذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان في صحيحه: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**، قالوا: كيف ننجو منه يا رسول الله؟ قال: **قل اللّـٰهم إنِّي أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**».

فالرياء كله شرك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

التفرد بالألوهية، يوجب التفرد بالعبودية

أي: كما أنه إلـٰه واحد لا إلـٰه سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكما تفرَّد بالإلـٰهية يجب أن يُفرد بالعبودية.

فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء، المقيَّد بالسنَّة. وكان من دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اللّـٰهُمَّ اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا».

وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبًا، فإنه ينزل منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك الأمر، فإنَّ الله سبحانه وتعالى إنما أمر بعبادته خالصة، قال تعالى:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ [البينة/ ٥]، فمن لم يخلص لله عبادته لم يفعل ما أُمر به، بل يكون الذي أتى به شيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يقبل منه.

ويقول سبحانه وتعالى: «**أنا أغني الشركاء عن الشرك: فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك معي، وأنا منه بريء**».

الشرك في العبادة ينقسم إلى: أكبر وأصغر، والشرك في التعطيل ينقسم إلى أكبر وأكبر منه

وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور، وأكبر، وأصغر.

والنوع الأول ينقسم إلى كبير وأكبر، وليس شيء منه مغفور.

فمنه: الشرك بالله في المحبة والتعظيم: أن يحب مخلوقًا كما يحب الله، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الشرك في الدين. قال سبحانه وتعالى فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة/ ١٦٥]، وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم يوم القيامة وقد جمعتهم الجحيم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء/ ٩٧، ٩٨].

ومعلوم أنهم ما سوّوهم به سبحانه وتعالى في الخلق والرزق، والإماته والإحياء، والملك والقدرة، وإنما سوّوهم به في الحب والتألُّه لهم، والخضوع والذلة، وهذا غاية الظلم والجهل.

العقل الصحيح يحكم ببطلان: الشرك

فكيف يسوَّى التراب برب الأرباب؟ وكيف يسوَّى العبد بمالك الرقاب، وكيف يسوَّى الفقير بالذات، الضعيف العاجز بالذات، المحتاج بالذات، الذي ليس له من ذاته إلاَّ العدم، بالغني بالذات، والقادر بالذات، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته؟

فأي ظلم أقبح من هذا؟ وأيّ حكم أشد جَورًا منه؟ حيث عدل من لا عدل له بخلقه، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١].

فعدل المشرك مَن خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرَّة في السموات ولا في الأرض، فيا له من عدل تضمَّن أكبر الظلم وأقبحه.

الشرك في الأفعال

ويتبع هذا الشرك: الشرك به سبحانه وتعالى في الأفعال والأقوال، والإرادات والنيّات، والشرك في الأفعال: كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبودية وخضوعًا لقبره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض أو تقبيل القبور واستلامها، والسجود لها، وقد لعن النبي ﷺ من اتَّخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلِّي لله تعالى فيها، فكيف بمن اتَّخذها أوثانًا يعبدها من دون الله؟

يحرم اتخاذ القبور مساجد، فكيف باتخاذها أوثاناً معبودة من دون الله!!!

ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وفي الصحيح عنه ﷺ: «**إنَّ من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتَّخذون القبور مساجد**».

وفي الصحيح أيضًا عنه: «**إن من كان قبلكم كانوا يتَّخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. فإني أنهاكم عن ذلك**».

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عنه ﷺ: «**لعن الله زوَّارات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسُّرُج**»، وقال ﷺ: «**اشتدَّ غضب الله على قوم اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وقال ﷺ: «**إنَّ من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرّ الخلق عند الله عزَّ وجلّ يوم القيامة**».

فهذا حال من سجد لله في المسجد المتَّخذ على قبر، فكيف حال مَن سجد للقبر نفسه؟ وقد قال ﷺ: «**اللَّـهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**».

كيف حمىٰ النبي ﷺ التوحيد وصان جنابه

وقد حمى النبيّ ﷺ التوحيد أعظم حماية، حتى نهى عن صلاة التطوُّع لله سبحانه وتعالى عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى التشبُّه بعبَّاد الشمس الذي يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسدّ الذريعة فمنع من الصلاة بعد العصر والصبح، لاتِّصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس.

وأما السجود لغير الله فقال ﷺ: «**لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلاَّ لله**».

و «لا ينبغي» في كلام الله عزَّ وجلّ وكلام رسوله ﷺ للذي هو غاية الامتناع شرعًا؛ كقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم/ ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس/ ٦٩]، وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ [الشعراء/ ٢١٠، ٢١١]، وقوله عن الملائكة: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفرقان/ ١٨].

بعض أنواع الشرك اللفظي

ومن الشرك به سبحانه وتعالى: الشرك في اللفظ، كالحلف بغير الله، كما روى أحمد وأبو داود عنه ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، صحَّحه الحاكم وابن حبان، ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ قل: ما شاء الله وحده**».

هذا مع أنَّ الله تعالى أثبت للعبد مشيئة لقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير/ ٢٨]، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلاَّ الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، أو يقول: والله وحياة فلان. أو يقول: نذر لله تعالى ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، وأرجو الله وفلان، ونحو ذلك؟

فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: «ما شاء الله وشئت»، ثم انظر أيها أفحش؟

يتبين لك: أنَّ قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة. وأنه إذا كان قد جعله لله ندًّا بها، فهذا قد جعل من لا يداني الرسول ﷺ في شيء من الأشياء ــ بل لعلَّه أن يكون من أعدائه ــ ندًّا للرب تعالى رب العالمين.

التأله حق محض لله، لا يشركه فيه أحد، لا مَلك مقرَّب ولا نبي مرسل

فالسجود والعبادة، والتوكُّل والإنابة، والتقوى والخشية، والحسب والتوبة، والنذر والحِلف، والتسبيح والتكبير، والتهليل والتحميد والاستغفار، وحلق الرأس خضوعًا وتعبُّدًا، والطواف بالبيت والدعاء، كل ذلك محض حق الله عزَّ وجلّ الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه، من ملَك مقرَّب ولا نبي مرسل.

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه: «أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ وقد أذنب ذنبًا، فلما وقف بين يديه قال: اللَّهُمَّ إنِّي أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال: «**عرف الحق لأهله**».

وأما الشرك في الإرادات والنيّات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله تعالى، أو نوى شيئًا غير التقرُّب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته.

تعريف الإخلاص المنجي من الشرك دقه وجله

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيَّته. وهذه هي الحنيفية ملَّة إبراهيم ﷺ التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥]، وهي ملَّة إبراهيم التي مَن رغب عنها فهو أسفه السفهاء.

**(تعريف الشرك وبيان علة عدم مغفرته)**

فإذا عرفت هذه المقدمة، انفتَح لك باب الجواب عن السؤال المذكور، فنقول ومن الله تعالى نستمدّ الصواب:

حقيقة الشرك: هو تشبيه المخلوق بالخالق عزَّ وجلّ. وهذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله تعالى بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، فعكس من نكس الله قلبه وأعمى عين بصيرته فأركسه، بنسبة الأمر، وجعل التوحيد تشبيهًا، والتشبيه تعظيمًا وطاعة.

الشرك: تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية

فالشرك تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلـٰهية. فإن من خصائص الإلـٰهية: التفرُّد بملك الضرّ والنفع، والعطاء والمنع. وذلك يوجب تعلُّق الدعاء والخوف، والرجا والتوكُّل به وحده.

فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبَّهه بالخالق تعالى، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فضلاً عن غيره، شبيهًا لمن الأمر كله له. فأزمة الأمور كلها بيده، ومرجعها إليه، فمن شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه، تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغنيّ بالذات. ومن خصائص الإلـٰهية الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكُّل والاستعانة، وغاية الذلّ مع غاية الحب.

**(الفطرة، والعقل، والشرع، يدلُّون على وجوب التوحيد، واستحالة تشريع الشرك)**

كل ذلك، يجب عقلاً وشرعًا، وفطرة أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره.

الشرك: أبطل المعاصي، وأشدها قبحًا وظلمًا، وبذلك خرج عن حد المغفرة

فمن جعل شيئًا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له، ولا مثل له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله. ولشدَّة قبحه وتضمُّنه غاية الظلم أخبر سبحانه وتعالى عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلـٰهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب مع غاية الذلّ. هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبّه وذلّه وخضوعه لغير الله فقد شبَّهه به في خالص حقّه، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيَّرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت لهم من الله الحسنى، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرتهم وعقولهم، فازدادوا بذلك نورًا على نورهم يهدي الله لنوره من يشاء.

الكتب والرسل موافقة للفطر المستقيمة والعقول السليمة

إذا عرفت هذا عرفت أنَّ من خصائص الإلـٰهية: السجود. فمن سجد لغيره فقد شبّه المخلوق به.

بعض خصائص الإلـٰهية

ومنها: التوبة، فمن تاب لغيره، فقد شبّهه به.

ومنها: الحلف باسمه تعظيمًا وإجلالاً له، فمن حلف بغيره فقد شبَّهه به. هذا في جانب التشبيه به. فمن تعاظم وتكبَّر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفًا ورجاء والْتجاء واستعانة، فقد شبّه نفسه بالله ونازعه ربوبيّته وإلـٰهيته. وهو حقيق بأن يهينه الله عزَّ وجلّ غاية الهوان، ويذلّه غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه.

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «**يقول الله عزَّ وجلّ: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدة منهما عذبته**».

وإذا كان المصوِّر الذي يصنع الصورة بيده من أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة لقول النبي ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**».

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**قال الله عزَّ وجلّ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي فليخلقوا ذرَّة، فليخلقوا شعيرة**»، فنبّه بالذرَّة الصغيرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر.

يغضب الله على من تشبه به في اسمه، فكيف بمن تشبه به في صفة من صفاته!!!

والمقصود أنَّ هذا حال من تشبَّه به في خواصِّ ربوبيته وإلٰهيته. ولذلك يغضب الله على من يتشبَّه به في الاسم الذي لا ينبغي إلاَّ له وحده؛ كملك الأملاك، وحاكم الحكّام ونحوه.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ أخنع الأسماء عند الله تعالى شاهِ شاه، ملك الملوك. لا ملك إلاَّ الله تعالى**»، وفي لفظ: «**أغيظ رجل على الله تعالى رجل تسمَّى بملك الأملاك**».

فهذا مقتُ الله تعالى وغضبه على من تشبَّه به في الاسم الذي لا ينبغي إلاَّ له، وهو سبحانه وتعالى ملك الملوك وحده، وهو حاكم الحكام وحده، وهو الذي يحكم على الحكام كلهم، ويقضي عليهم كلهم لا غيره.

**(سبب الشرك: سوء الظن بالله وكماله المطلق، وذاك أعظم الذنوب عند الله سبحانه)**

إذا تبيَّن هذا فهنا أصل عظيم، يكشف سرّ المسألة، وهو أنَّ أعظم الذنوب عند الله تعالى هو: إساءة الظن به، فإنَّ المسيء به الظن قد ظنَّ به خلاف كماله المقدَّس، فظنَّ به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعَّد سبحانه وتعالى الظانِّين به ظن السوء بما لم يتوعَّد به غيرهم، كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح/ ٦].

وقد قال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، وقد قال تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الصافات/ ٨٥، ٨٧].

من ظن بالله ما هو به أهله، بريء من ظلمات الشرك

أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره، وما ظنكم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص، حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره، فلو ظننتم به ما هو أهله: مِن أنَّه بكلِّ شيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنه غنيٌّ عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، وأنه قائم بالقسط على خلقه؛ وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره، والعالِم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده لا يحتاج إلى معين، والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه، ما اتَّخذتم من دونه أولياء تدعونهم وتتوسَّلون بهم إليه بزعمكم.

الفرق بين: الخالق سبحانه والمخلوق في العلاقة مع الوسائط

وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء، فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ويعينهم على قضاء حوائجهم؛ وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة، لحاجتهم وعجزهم وضعفهم، وقصور علمهم، فأما القادر على كل شيء، الغني بذاته عن كل شيء، العالِم بكل شيء، الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته وإلٰهيته وتوحيده، وظنٌّ به ظن السوء، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفطر، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح.

إدخال الوسائط بين الخالق والمخلوق، نقض للتوحيد بالكلية

**(العبودية: تعظيم، وتأله، وخضوع؛ وهذا خالص حق الله الذي لا ينبغي لأحد سواه)**

يوضِّح هذا: أنَّ العابد معظِّم لمعبوده متألِّه له، خاضع ذليل له، والرب تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتألُّه والخضوع والذلّ، وهذا خالص حقه، فمن أقبح الظلم أن يعطي حقه لغيره ويشرك بينه وبينه فيه، ولا سيما إذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم/ ٢٨].

أي: إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أن منفرد به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري، ولا تصلح لسواي؟

**(أنواع الذين لم يقدِّروا اللَّهَ حقَّ قدره، وأعظمهم شناعة المشركون)**

فمن زعم ذلك فما قدَّرني حقَّ قدري، ولا عظَّمني حقَّ تعظيمي، ولا أفردني بما أنا منفرد به وحدي دون خلقي؛ فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧]، فما قدر من هذا شأنه وعظمته حقَّ قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شأن من ذلك البتة، بل هو أعجز شيء وأضعفه، فما قدر القويّ العزيز حقَّ قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

المشرك لم يقدِّر الله حق قدره

وكذلك من نفى وجوب التكليف

وكذلك ما قدَّره حقَّ قدره من قال: إنه لم يرسل إلى خلقه رسولاً، ولا أنزل كتابًا، بل نسبه إلى ما لا يليق به ولا يحسن منه، من إهمال خلقه وتركهم سدى، وخلقهم باطلاً وعبثًا.

وكذلك نفاة حقائق الأسماء والصفات

وما قدَّره حقَّ قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فنفى سمعه وبصره وإرادته واختياره وعلوّه فوق خلقه، وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه، بما يريد، أو نفى عموم قدرته وتعلُّقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم، فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى، فيكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، تعالى الله عزَّ وجلّ عن قول أشباه المجوس علوًّا كبيرًا.

وكذلك القدرية

وكذلك الجبرية

وكذلك ما قدَّره حقَّ قدره من قال: إنه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد، ولا له عليه قدرة، ولا تأثير له فيه البتة، بل هو نفس فعل الرب جلَّ جلاله. فيعاقب عبده على فعله هو، وهو سبحانه وتعالى الذي جبر العبد عليه، وجبره على الفعل أعظم من إكراه المخلوق المخلوق.

الدليل الفطري والعقلي على بطلان الجبر

فإنَّ من المستقر في الفطر والعقول أنَّ السيِّد لو أكره عبده على فعل وألجأه إليه، ثم عاقبه عليه لكان قبيحًا، فأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير، ولا هو واقع بإرادته، بل ولا هو فعله البتة، ثم يعاقبه عليه عقوبة الأبد؟ تعالى الله عزَّ وجلّ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقول هؤلاء شرّ من أقوال أشباه المجوس. والطائفتان ما قدروا الله حق قدره.

وكذلك ما قدَّره حقَّ قدره من لم يصنه عن بئر ولا حُشٍّ ولا مكان يُرغب عن ذكره، بل جعله في كل مكان وصانه عن عرشه أن يكون مستويًا عليه، يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. وتعرج الملائكة والروح إليه، وتنزل من عنده، ويدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه، فصانه عن استوائه على سرير الملك، ثم جعله في كل مكان يأنف الإنسان، بل غيره من الحيوان أن يكون فيه.

وكذلك من نفىٰ علو الله سبحانه، وجعله في كل مكان

وما قدَّره حقَّ قدره مَن نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته، ولا مَن نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله، ولا من نفى حقيقة فعله، ولم يجعل له فعلاً اختياريًّا يقوم به أفعال منقولات منفصلة عنه. فنفى حقيقة محبته وإتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى ﷺ من جانب الطور، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه، إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها، وزعموا أنهم بنفيها قدروه حقَّ قدره.

وكذلك نفاة الصفات الذاتية والفعلية

وكذلك لم يقدِّره حقَّ قدره من جعل له صاحبة وولدًا وجعله يحل في مخلوقاته أو جعله عين هذا الوجود.

وكذلك أهل الحلول الخاص والعام

وكذلك لم يقدِّره حقَّ قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته، وأعلى ذكرهم وجعل فيهم الملك والخلافة والعزَّة، ووضع أولياء رسوله وأهانهم وأذلَّهم وضرب عليهم الذلَّة أينما ثقفوا. وهذا يتضمَّن غاية القدح في الرب تبارك وتعالى عن قول الرافضة علوًّا كبيرًا.

وكذلك الرافضة

قولهم مشتق من قول اليهود والنصارى

وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين: إنه أرسل ملكًا ظالمًا فادَّعى النبوَّة لنفسه وكذب على الله تعالى، ومكث زمنًا طويلاً يكذب عليه كل وقت ويقول: قال كذا وأمر بكذا، ونهى عن كذا، وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ويستبيح دماء أتباعهم وأموالهم وحريمهم، ويقول: الله تعالى أباح لي ذلك، والرب تبارك وتعالى يظهره ويؤيده ويعليه ويقويه، ويجيب دعواته، ويمكنه ممن يخالفه، ويقيم الأدلة على صدقه، ولا يعاديه أحد إلاَّ ظفر به، فيصدِّقه بقوله وفعله وتقريره، ويحدِث أدلَّة تصديقه شيئًا بعد شيء، ومعلوم أنَّ هذا يتضمَّن أعظم القدح والطعن في الرب سبحانه وتعالى وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته، تعالى ربَّنا عن قول الجاحدين علوًّا كبيرًا.

فوازن بين قول هذا وقول إخوانهم من الرافظة تجد القولين:

رضيعي لُبان ثدي أم تقاسما ... بأسحم داج عوضُ لا يتفرق

كذلك نفاة الحكمة والتعليل لأفعال الله سبحانه

وكذلك لم يقدِّره حقَّ قدره مَن قال: إنه يجوز أن يعذب أولياءه ومن لم يعصه طرفة عين، ويدخلهم دار الجحيم، وينعم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة عين ويدخلهم دار النعيم، وأنَّ كلا الأمرين بالنسبة إليه سواء، وإنما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك، فمعناه للخبر لا لمخالفة حكمته وعدله. وقد أنكر سبحانه وتعالى في كتابه على من يجوِّز عليه ذلك غاية الإنكار، وجعل الحكم به من أسوأ الأحكام.

وكذلك منكري البعث والحساب

وكذلك لم يقدِّره حقَّ قدره مَن زعم أنه لا يحيـي الموتى ولا يبعث مَن في القبور، ولا يجمع خلقه ليوم يجازي فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه،

ويكرم المتحمِّلين المشاق في هذه الدار من أجله وفي مرضاته بأفضل كرامته، ويبيِّن لخلقه الذي كانوا يختلفون فيه، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

وكذلك العصاة

وكذلك لم يقدره حقَّ قدره من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقه فضيَّعه، وذكره فأهمله وغفل قلبه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعته. فللّه الفضلة من قلبه وقوله وعمله، وسواه المقدَّم في ذلك لأنه المهم عنده، يستخفّ بنظر الله إليه واطِّلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه، ويستحيي من الناس ولا يستحيي من الله عزَّ وجلّ، ويخشى الناس ولا يخشى الله، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه، وإن عامل الله عزَّ وجلّ عامله بأهون ما عنده وأحقره، وإن قام في خدمة إلـٰهه من البشر قام بالجهد والاجتهاد، وبذل النصيحة، وقد فرغ له قلبه وجوارحه، وقدَّمه على كثير من مصالحه، حتى إذا قام في خدمة ربه ــ إن ساعده القدر ــ قام قيامًا لا يرضاه مثله لمخلوق من مخلوقاته، وبدا له منه ما يستحيي أن يواجه به مخلوقًا مثله.

فهل قدَّر الله حقَّ قدره من هذا وصفه؟

وكذلك المشركون

وهل قدَّره حقَّ قدره من شارك بينه وبين عدوّه في محض حقّه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذلّ والخضوع والخوف والرجاء؟

فلو جعل من أقرب الخلق إليه شريكًا في ذلك لكان ذلك جراءة وتوثُّبًا على محض حقه، واستهانة به، وتشريكًا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي، ولا يصلح إلاَّ له سبحانه وتعالى، فكيف وإنما أشرك بينه وبين أبغض الخلق وأهونهم عليه، وأمقتهم عنده، وهو عدوّه على الحقيقة، فإنه ما عبد من دون الله إلاَّ الشيطان؛ كما قال تعالى:

﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ ﴾ [يس/ ٦٠، ٦١].

**(الشيطان هو إلـه المشركين الحقيقي على اختلاف توجُّهاتهم، فبئس للظالمين بدلاً)**

ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الأمر للشيطان، وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١ ﴾ [سبأ/ ٤٠، ٤١].

فالشيطان يدعو المشرك إلى عبادته ويوهمه أنه ملَك، وكذلك عبَّاد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيّات هذه الكواكب، وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج. ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشيطان لعنه الله تعالى، فيسجد لها الكفار، فيقع سجودهم له. وكذلك عند غروبها، وكذلك من عبد المسيح وأمه لم يعبدهما وإنما عبد الشيطان، فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم وأمرهم بها، وهذا هو الشيطان الرجيم لعنه الله تعالى، لا عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام. ونزل هذا كله على قوله تعالى: ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ ﴾ [يس/ ٦٠].

فما عبد أحد من بني آدم غير الله عزَّ وجلّ كائنًا من كان إلاَّ وقعت عبادته للشيطان. فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام/ ١٢٨]، من إغوائهم وإضلالهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٨].

## (علّة عدم مغفرة الشرك إلاّ بتوبة)

فهذه إشارة لطيفة إلى السرّ الذي لأجله كان الشرك من أكبر الكبائر عند الله، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه، وأنه يوجب الخلود في النار، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرَّد النهي عنه، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع عبادة إلـٰه غيره، كما يستحل عليه تناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله. وكيف يظن بالمنفرد بالربوبية والإلـٰهية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك أو يرضى به؟ تعالى الله عزَّ وجلّ عن ذلك علوًّا كبيرًا، انتهى ما نقلته.

تحريم الشرك وقبحه، ليس متوقفاً على مجرد النهي عنه فقط

فقف وتأمَّل كلام الشيخ رحمه الله، فإنه فصَّل وبيَّن أنَّ الشرك شركان: شرك تعطيل لذات الرب ولأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته. وذكر أنَّ هذا أيضًا تعطيل لمعاملته على العبد من حقيقة التوحيد. ثم ذكر شرك أهل الوحدة، وشرك الملاحدة القائلين بقدم العالم، وشرك الجهمية والقرامطة.

ثم ذكر النوع الثاني: وهو شرك من أشرك في العبادة والمعاملة كشرك النصارى، وشرك المجوس، وشرك القدرية وشرك الذي حاجَّ إبراهيم في ربه، وشرك من يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أربابًا مدبرة، وشرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم.

قلت: ومنه شرك غلاة عبّاد القبور الذين يزعمون أنَّ أرواح الموتى تدبِّر شيئًا من أمر هذا العالم كما صرَّح به ابن جرجيس قاتله الله.

**ثم قال الشيخ:**

الشرك في العبادة، وأقسامه

وأما الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخفّ أمرًا، فإنه يصدر ممن يعتقد أن لا إلـه إلاَّ الله، وأنه لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلاَّ الله عزَّ وجلّ، وأنه لا إلـه غيره ولا ربّ سواه. فذكر الشرك في العبادة والعمل لحظ النفس وقرَّره واستدل عليه، ثم قال: وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور وغير مغفور وأكبر وأصغر.

والنوع الأول ينقسم إلى كبير وأكبر، وليس شيء منه مغفورًا. فمنه ــ أي من الشرك الأكبر ــ الشرك بالله في المحبة والتعظيم، أن يحب مخلوقًا كما يحب الله، وهذا من الشرك الذي لا يغفره الله. وهو الشرك في الدين.

قال سبحانه وتعالى فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ... ﴾ الآية [البقرة/ ١٦٥].

وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم، وقد جمعتهم الجحيم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء/ ٩٧، ٩٨]، ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة؛ وإنما سووهم به في الحب والتألُّه لهم، والخضوع والذلَّة، وهذا غاية الظلم والجهل. فكيف يسوَّى التراب برب الأرباب؟ وكيف يسوَّى العبد بمالك الرقاب؟

تسوية المشركين لم تكن في الربوبية، بل في الألوهية

وكيف يسوَّى الفقير بالذات الضعيف بالذات، العاجز بالذات، المحتاج بالذات، الذي ليس له من ذاته إلاَّ العدم، بالغني

بالذات، والقادر بالذات، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته؟

فأي ظلم أقبح من هذا؟ وأيّ حكم أشد جورًا منه؟ حيث عدل من لا عدل له[١].

❑ ❑ ❑

(١) منهاج التأسيس والتقديس ٢٧٦ ـ ٢٩٥.

## المبحث الثالث

# أنواع الشرك ودرجاته وأحكامه

**قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى:**

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في شرح المنازل في باب التوبة:

الشرك الأكبر لا يغفر إلاَّ بالتوبة منه

«وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلاَّ بالتوبة منه، وهو أن يتَّخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويغضبون لتنقُّص معبوديهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين.

إرادة شفاعة الآلهة عند الله، هو القدر الذي توارثه المشركون على حسب اختلاف توجهاتهم

وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلـٰهه ومعبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش، وهو لا ينكر ذلك ويزعم أنه حاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وهؤلاء اتخذوها من البشر.

قال الله تعالى حاكيًا عن أسلاف هؤلاء: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر/ ٣].

فهذه حال من اتخذ من دون الله وليًّا يزعم أنه يقرِّبه إلى الله زلفى، وما أعز من يتخلَّص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٥٦].

وقوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

الذي يحول بين المرء، وفهم القرآن: ظنه أن آيات القرآن قد نزلت في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثًا

والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن، كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

من لم يعرف حرمة الشرك، وقع فيه وأقره

وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمَّه وقع فيه وأقرَّه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عُرى الإسلام. ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنة والسنَّة بدعة، ويكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة

الأهواء والبدع. ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانًا، فالله المستعان.

أصل شرك العالم: عبادة الأموات

«ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلاً عمَّن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، والميت محتاج إلى من يدعو له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليها ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقُّص بالأموات، وهم قد تنقَّصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمِّهم ومعاداتهم، وتنقَّصوا من أشركوا به غاية النقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم!

سبب الإذن بالشفاعة: كمال التوحيد

الشرك تنقُّص بالخالق، شاء المشرك ذلك أم أبى

ولله در خليله إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٥].

تجريد التوحيد، والتقرب إلى الله بمقت المشركين هو السبيل الوحيد للنجاة من الشرك الأعظم

وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلاَّ من جرَّد توحيده لله، وتقرب بمقتهم إلى الله». انتهى كلامه رحمه الله.

فتأمل رحمك الله كلام هذا الإمام، وتصريحه بأن من دعا الموتى وتوجه إليهم واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله فقد فعل

الشرك الأكبر الذي بعث محمد ﷺ بإنكاره وتكفير من لم يتب منه وقتاله ومعاداته، وأن هذا قد وقع في زمانه، وأنهم غيّروا دين الرسول ﷺ وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

وتأمل قوله أيضًا: وما أعز من يتخلَّص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى.

من لم يعاد المشركين فهو منهم وإن لم يفعل الشرك

ولكن تأمل أرشدك الله تعالى قوله: وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلاَّ من عادى المشركين لله إلى آخره، يتبين لك أن الإسلام لا يستقيم إلاَّ بمعاداة أهل هذا الشرك، فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله، والله أعلم»(١).

**وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمهما الله تعالى:**

سبب تكفير المشركين، واستباحة دمائهم وأموالهم: الشرك في الألوهية

وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفَّر الله به المشركين، وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم، وإلاَّ فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه، وإنما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها، وكانوا يقولون في تلبيتهم:

لبيك لا شريك لك إلاَّ شريكًا هو لك
تملكه وما ملَك

فأتاهم النبي ﷺ بالتوحيد الذي هو معنى لا إله إلاَّ الله الذي مضمونه أن لا يعبد إلاَّ الله، لا مَلك مقرَّب، ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص/ ٣٨].

---

(١) عقيدة الموحدين، رسالة الكلمات النافعة في المكَفِّرات الواقعة ص ٢٣٢، ٢٣٤.

وكانوا يجعلون من الحرث والأنعام نصيبًا لله وللآلهة مثل ذلك، فإذا صار شيء من الذي لله إلى الذي للآلهة تركوه لها، وقالوا: الله غني، وإذا صار شيء من الذي للآلهة إلى الذي لله تعالى ردُّوه، وقالوا: الله غني، والآلهة فقيرة.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام/ ١٣٦].

وهذا بعينه يفعله عبَّاد القبور، بل يزيدون على ذلك فيجعلون للأموات نصيبًا من الأولاد.

النسبة في أقسام الشرك

إذا تبين هذا فاعلم: أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقًا، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه.

أنواع الشرك في الربوبية

القسم الأول: الشرك في الربوبية، وهو نوعان.

**أحدهما**: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون. إذ قال: وما رب العالمين؟ ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمُّونها: العقول، والنفوس.

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود، كابن عربي، وابن سبعين، والعفيف التلمساني، وابن الفارض، ونحوهم من

الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر.

ومن هذا شرك من عطَّل أسماء الرب وأوصافه، من غلاة الجهمية، والقرامطة.

**النوع الثاني**: شرك من جعل معه إلـٰهًا آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة.

ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم.

قلت: ويلتحق به من وجه شرك غلاة عبَّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرِّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية، كما ذكره بعضهم في هذا النوع.

أنواع الشرك في الأسماء والصفات

**القسم الثاني**: الشرك في توحيد الأسماء والصفات، وهو أسهل مما قبله، وهو نوعان:

**أحدهما**: تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبِّهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإلـه الحق.
قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

قال ابن عباس: يلحدون في أسمائه: يشركون. وعنه: سموا اللات من الإلـه، والعُزَّى من العزيز.

أنواع الشرك في توحيد الألوهية

القسم الثالث: الشرك في توحيد الإلـهية والعبادة. قال القرطبي: أصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله تعالى في الإلـهية، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجودًا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلـهًا هذا كلام القرطبي. وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، ويخشاه كما يخشى الله. وبالجملة فهو أن يجعل الله ندًّا يعبده كما يعبد الله، وهذا هو الشرك الأكبر، وهو الذي قال الله فيه:

حد الشرك الأكبر

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء/ ٣٦].

وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل/ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس/ ١٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [السجدة/ ٤]، والآيات في النهي عن هذا الشرك وبيان بطلانه كثيرة جدًّا.

بعض أنواع الشرك الأصغر، الذي قد يصبح شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده

**الثاني**: الشرك الأصغر، كيسير الرياء والتصنُّع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة، فله من عمله نصيب، ولغيره منه نصيب، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ كالحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، وما لي إلاَّ الله وأنت، وأنا في حسب الله وحسبك، ونحوه. وقد يكون ذلك شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. هذا حاصل كلام ابن القيم وغيره»[1].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

التوحيد ضد: الشرك؛ والضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان

«ثم اعلم أن ضد التوحيد: الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي، والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء/ ١١٦].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٢].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٨ ــ ٣٠.

وهو أربعة أنواع:

أنواع الشرك الأكبر

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٥].

النوع الثاني: شرك النيّة والإرادة والقصد. والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود/ ١٥، ١٦].

طاعة العلماء والعباد في المعصية: شرك في الطاعة

النوع الثالث: شرك الطاعة. والدليل قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة/ ٣١]، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لادعاؤهم إياهم، كما فسَّرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لمَّا سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النوع الرابع: شرك المحبة. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

والنوع الثاني: (شرك أصغر) وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١٦٠].

**النوع الثالث:** (شرك خفي)، والدليل عليه قوله ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل**»، وكفارته قوله ﷺ: «**اللّٰهم إني أعوذ بك أن أشرك بك**

شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»[1].

وقال أيضًا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله في مراسلة له لبعض إخوانه:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد/ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد/ ١٤].

دعوة غير الله تعالى، ضلال وكفر مبين

فبيَّن تعالى: أنه المستحق لدعوة الحق، وأن الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء، فإن دعوة غيره ضلال، والضلال ضد الهدى، وكفَّرهم بذلك، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون/ ١١٧]، فكفَّر من يدعو غيره في هاتين الآيتين.

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف/ ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر/ ١٤].

فهذه الآيات تقصم ظهر المشرك الملحد، فمن تمسك بها غلب خصمه المشرك، كما قال شيخنا رحمه الله: والعامي من الموحدين، يغلب ألفًا من علماء هؤلاء الشياطين...

قوة الموحِّد ولو كان عاميًا

---

(١) مجموعة التوحيد ص ٤٦٣.

الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر

وأما قولكم: الفرق بين الشرك والأكبر والأصغر.

فالأصغر: كيسير الرياء، والحلف بغير الله، وقول الرجل أنا في حسب الله وحسبك، ولولا الله وأنت، وأن يجاهد ويأمر بالمعروف، لطلب رياسة أو مال، أو وظيفة، كمن يتعلم العلم لوظيفة المسجد، أو يقرأ القرآن ليسأل الناس به، أو يبيع ختمات أو يحج ليأخذ المال، أو يتصدق ليكثر ماله، أو نحو ذلك، وهذا إنما يتبين بالتمثيل والحد، لا بالعد.

الشرك الأصغر والأكبر يتبين بالتمثيل والحد لا بالعد

وأما الشرك الأكبر فهو اتخاذ الأنداد، من أرباب القبور والغائبين، ومخاطبتهم بالحوائج، والذبح لهم، والنذر لهم، واعتقاد أنهم ينفعون ويدفعون، وكاتخاذ الأشجار والأحجار، والأصنام، لجلب الخير، ودفع الضر بها، وغير ذلك، وهو كثيرًا جدًّا، وهو أن يرغب إلى شيء، أو يدعوه أو يخافه، أو يرجوه، أو يعكف عند القبر تعظيمًا له، ونحو ذلك.

وأمور الشرك أكبره وأصغره لا تدرك بالعد؛ لكن الشرك الأكبر يُخرج من الملة، ويحبط الأعمال؛ لأنه أعظم ذنب عصي الله به، وهو أظلم الظلم؛ لأن الشرك أخذ حق الله ووضعه فيمن لا يستحقه.

تعريف الشرك الأكبر

وأما الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، لقول النبي ﷺ لمن رأى في يده حلقة من صفر، فقال: «ما هذه؟»، قال: من الواهنة، قال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلَّا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**».

الشرك الأكبر محبط للأعمال كلها إذا مات صاحبه عليه، أما الأصغر فمحبط للعمل الخاص به فقط

ولا يكفر الشرك أصغره وأكبره إلاَّ بالتوبة منه قبل الممات، والأصغر لا يكفره في الدار الآخرة، إلاَّ كثرة الحسنات؛ لأن الأصغر لا يحبط إلاَّ العمل الذي وقع فيه خاصة»[1].

**وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:**

**السؤال الأول من الفتوى رقم ١٦٥٢:**

س: ما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر من حيث التعريف والأحكام؟

الحمد، لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

بعض أنواع الشرك الأكبر

ج: الشرك الأكبر أن يجعل الإنسان لله ندًّا، إما في أسمائه وصفاته، فيسميه بأسماء الله ويصفه بصفاته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ومن الإلحاد في أسمائه تسمية غيره باسمه المختص به أو وصفه بصفته كذلك، وإما أن يجعل له ندًّا في العبادة، يضرع إلى غيره تعالى من شمس، أو قمر، أو نبي، أو مَلك، أو ولي مثلاً بقربة من القُرَب صلاة، أو استغاثة به في شدة، أو مكروه، أو استعانة به في جلب مصلحة، أو دعاء ميت، أو غائب لتفريج كربة، أو تحقيق مطلوب، أو نحو ذلك مما هو من اختصاص الله سبحانه.

فكل هذا وأمثاله عبادة لغير الله واتخاذه لشريك مع الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ

---

(١) مجموعة التوحيد ص ٤٦٣.

﴿ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠]، وأمثالها من آيات توحيد العبادة كثير.

الرضا بحكم غير الله، أو التحاكم إلـى غيـره سبحانه، شرك أكبر يرتد به فاعله عن ملة الإسلام

وإما أن يجعل لله ندًّا في التشريع، بأن يتخذ مشرعًا له سوى الله أو شريكًا لله في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم عبادة وتقربًا وقضاءً وفصلاً في الخصومات، أو يستحله وإن لم يره دينًا، وفي هذا يقول تعالى في اليهود والنصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة/ ٣١].

حكم فاعل الشرك الأكبر

وأمثال هذا من الآيات والأحاديث التي جاءت في الرضا بحكم سوى حكم الله، أو الإعراض عن التحاكم إلى حكم الله والعدول، فهذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد به فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام فلا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله، بل يكون لبيت مال المسلمين، ولا تؤكل ذبيحته، ويحكم بوجوب قتله، ويتولى ذلك ولي أمر المسلمين، إلاَّ أنه يستتاب قبل قتله، فإن تاب قُبلت توبته، ولم يقتل، وعومل معاملة المسلمين.

تعريف دقيق للشرك الأصغر

أما الشرك الأصغر: فكل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركًا، كالحلف بغير الله، فإنه مظنة للانحدار إلى الشرك الأكبر، ولهذا نهى عنه النبي ﷺ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»، بل سماه مشركًا، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

**«من حلف بغير الله فقد أشرك»**، رواه أحمد والترمذي والحاكم بإسناد جيد.

لأن الحلف بغير الله فيه غلو في تعظيم غير الله، وقد ينتهي ذلك التعظيم بمن حلف بغير الله إلى الشرك الأكبر.

ومن أمثلة الشرك الأصغر أيضًا ما يجري على ألسنة كثير من المسلمين من قوله: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، ونحو ذلك. وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، وأرشد من قاله إلى أن يقول: ما شاء الله وحده أو ما شاء الله ثم شئت، سدًّا لذريعة الشرك الأكبر من اعتقاد شريك لله في إرادة حدوث الكونيات ووقوعها.

الرياء اليسير في العبادات من الشرك الأصغر

وفي معنى ذلك قولهم توكلت على الله وعليك، وقولهم: لولا صياح الديك أو البط لسرق المتاع، ومن أمثله ذلك الرياء اليسير في أفعال العبادات وأقوالها، كأن يطيل في الصلاة أحيانًا ليراه الناس أو يرفع صوته بالقراءة أو الذكر أحيانًا ليسمعه الناس فيحمدوه، روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، الرياء»**.

إذا كان الرياء هو أصل العبادة ولولاه ما فعلت، فهذا شرك أكبر

أما إذا كان لا يأتي بأصل العبادة إلاَّ رياء ولولا ذلك ما صلَّى ولا صام ولا ذكر الله ولا قرأ القرآن فهو مشرك شركًا أكبر وهو من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء/ ١٤٢، ١٤٣].

إلى أن قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ

﴿لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء/ ١٤٥، ١٤٦].

وصدق فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»، رواه مسلم في صحيحه.

حكم فاعل الشرك الأصغر

والشرك الأصغر لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام ولكنه أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر ولذا قال عبد الله بن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا»، وعلى هذا فمن أحكامه أن يعامل معاملة المسلمين فيرثه أهله، ويرثهم حسب ما ورد بيانه في الشرع، ويصلى عليه إن مات، ويدفن في مقابر المسلمين، وتؤكل ذبيحته، إلى أمثال ذلك من أحكام الإسلام، ولا يخلد في النار إن أُدخلها كسائر مرتكبي الكبائر عند أهل السنَّة والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

**اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**

| عضو | عضو | نائب رئيس اللجنة | الرئيس |
|---|---|---|---|
| عبد الله بن قعود | عبد الله بن غديان | عبد الرزاق عفيفي | عبد العزيز بن عبد الله بن باز»[1] |



(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٥١٦ ـ ٥١٨.

المبحث الرابع

# خطر الشرك، ووجوب الحذر منه بتجنُّب أسبابه

**قال الشيخ صالح الفوزان:**

«الشرك أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا مغفرة لمن لم يتب منه، مع أنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وذلك يوجب للعبد شدة الحذر وشدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه، ويحمله على معرفته لتوقيه؛ لأنه أقبح القبيح، وأظلم الظلم.

يجب معرفة الشرك لتوقِّيه والحذر منه

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان/ ١٣]، وذلك لأنه تنقُّص لله عزَّ وجلّ ومساواة لغيره به؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١﴾ [الأنعام/ ١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢]، ولأن الشرك مناقض للمقصود بالخلق والأمر من كل وجه؛ فمن أشرك بالله عزَّ وجلّ؛ فقد شبَّه المخلوق بالخالق، وأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات عن جميع المخلوقات.

الشرك تنقُّص بالله سبحانه ومساواة لغيره به

المشركون: مشبهون

**(حالة الناس قبل بعثته ﷺ ومدى حاجتهم إليه)**

وقد حذَّر النبي ﷺ أمته من الشرك، وسدَّ كل الطرق التي تفضي إليه؛ فقد بعث الله نبيَّه محمدًا ﷺ وحالة العرب ــ بل وحالة

أهـل الأرض كلهم إلاَّ بقـايا مـن أهـل الكتـاب ــ كانت على أسـوأ حالة.

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

قاعدة الشرك: الافتـراء على الله تـعـالـى

لقد كانت الخليقة في هذه الفترة بين وثنية حائرة تتخذ آلهتها من حجارة منحوتة وأصنام منصوبة تعكف عندها وتطوف حولها وتقرب لها الذبائح من أنفس أموالها بل وحتى من أولادها؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام/ ١٣٧].

وفريق آخر ــ أهل الكتاب ــ: إما نصرانية حائرة ضلَّت عن سواء السبيل، فجعلت الآلهة ثلاثة، واتخذت من أحبارها وقدِّيسيها أربابًا من دون الله، وإما يهودية مدمرة، عاثت في الأرض فسادًا، وأشعلت نار الفتن، ونقضت عهد الله وميثاقه، وتلاعبت بنصوص كتابها حتى حرفتها عن مواضعها.

وفريق ثالث هم المجوس الذين يعبدون النيران، ويتخذون إلـٰهين: أحدهما خالق للخير، والثاني خالق للشر بزعمهم.

وفـريـق رابـع، وهـم الصـابئـون الـذيـن يعبـدون الكـواكـب والنجوم، ويعتقدون تأثيرها في الأرض.

وفريق خامس، هم الدهرية الذين لا يدينون بدين، ولا يؤمنون ببعث ولا حساب.

هكذا كانت حالة أهل الأرض عند بعثة النبي ﷺ: جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، فأنقذ الله به من قبل دعوته واستجاب له من الظلمات إلى النور، وأعاد الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهدم الأوثان، ونهى عن الشرك، وسدَّ كل الوسائل الموصلة إليه.

**وإليك بيان الوسائل القولية والفعلية التي نهى عنها رسول الله ﷺ لأنها تفضي إلى الشرك:**

الوسائل لها: حكم المقاصد والغايات

١ ــ نهى رسول الله ﷺ عن التلفظ بالألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين خلقه؛ مثل: (ما شاء الله وشئت)، (لولا الله وأنت)، وأمر بأن يقال بدل ذلك: (ما شاء الله ثم شئت)؛ لأن الواو تقتضي التسوية و (ثم ) تقتضي الترتيب، وهذه التسوية في اللفظ شرك أصغر، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر.

٢ ــ نهى ﷺ عن الغلو في تعظيم القبور بالبناء عليها وإسراجها وتجصيصها والكتابة عليها.

٣ ــ نهى عن اتخاذ القبور مساجد للصلاة عندها؛ لأن ذلك وسيلة لعبادتها.

٤ ــ نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لما في ذلك من التشبه بالذين يسجدون لها في هذه الأوقات.

٥ ــ نهى عن السفر إلى أي مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله فيه بالعبادة؛ إلاَّ إلى المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

٦ ـ نهى ﷺ عن الغلو في مدحه؛ فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله**»، والإطراء: هو المبالغة في المدح.

٧ ـ نهى ﷺ عن الوفاء بالنذر إذا كان في مكان يُعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية.

الوقوع في وسائل وذرائع الشرك، يقود للهوي فيه والتردي في أوحاله

كل هذا حذَّر منه؛ صيانةً للتوحيد، وحفاظًا عليه، وسدًّا للوسائل والذرائع التي تفضي إليه.

ومع هذا البيان التام من النبي ﷺ، والاحتياط الشديد الذي يبعد الأمة عن الشرك؛ خالف القبوريون سنة رسول الله ﷺ، وعصوا أمره، وارتكبوا ما نهاهم عنه؛ فشيَّدوا القباب على القبور، وبنوا عليها المساجد، وزيَّنوها بأنواع الزخارف، وصرفوا لها أنواعًا من العبادة من دون الله»[(١)].

* * *

(١) الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد ص ٤٦ ـ ٤٩.

## كلمات منتقاة، مضيئة

● إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

[الصحابي الجليل الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

● وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمَّه وقع فيه وأقرَّه، وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية، فتنقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنَّة والسنَّة بدعة، ويكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع.

[الإمام الربَّاني ابن قيم الجوزية]

● أصل الشرك المحرم: اعتقاد شريك لله تعالى في الإلـٰهية، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية.

[الإمام القرطبي]

● فالشرك: تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلـٰهية.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● الشرك: جعل شريك لله تعالى فيما يستحقه ويختص به من العبادة الباطنة والظاهرة... ولا يشترط في ذلك أن يعتقد لإلـٰهه شركة في الربوبية، أو استقلالاً بشيء منها.

[الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن]

● وكل من دعا من دون الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله فقد أشرك، لأن الدعاء: اعتراف بالعبودية، فبدعائه له صيَّره إلـٰهًا.

[بعض علماء نجد]

● إن العابد معظم لمعبوده، متألِّه له، خاضع ذليل له.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● الشرك أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، مع أنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وذلك يوجب للعبد شدّة الحذر وشدَّة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه، ويحمله على معرفته لتوقّيه، لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم.

[الشيخ صالح الفوزان]

● الشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطَّل، وكل معطِّل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرًّا بالحق سبحانه وتعالى وصفاته، ولكنه عطَّل حق التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها: هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام:

تعطيل المصنوع عن صانعه.

وتعطيل الصانع سبحانه وتعالى عن كماله، بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.

وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد. . .

فكما أن الله إلـٰه واحد لا إلـٰه سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده، فكما تفرد بالإلـٰهية يجب أن يفرد بالعبودية. . .

فمن لم يخلص لله عبادته لم يفعل ما أمر به، بل يكون الذي أتى به شيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يقبل منه. . .

لقد عدل المشرك من خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ، فيا له من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● من خصائص الإلـهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك يجب عقلاً وشرعًا وفطرة أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره. . .

(والشرك) من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيَّرت الشياطين فِطر أكثر الخلائق وعقولهم، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت لهم من الله الحسنى، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم، فازدادوا بذلك نورًا على نورهم يهدي الله لنوره من يشاء.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● إن أعظم الذنوب عند الله تعالى: هو إساءة الظن به. . .

فإدخال الوسائط بين الله وبين خلقه، تنقُّص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده، وظن به ظن السوء، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفطر، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح. .

ولشدة قبح الشرك، وتضمنه غاية الظلم، أخبر سبحانه وتعالى عباده أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن أنواع الشرك: طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● وهذا الشرك في العبادة، هو الذي كفَّر الله به المشركين، وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم، وإلاَّ فهم يعلمون أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، ليس شريك في ملكه.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● إن الشرك من أكبر الكبائر عند الله، ولا يغفره سبحانه بغير توبة منه، بل ويوجب الخلود في النار لأصحابه، لأن تحريم الشرك وقبحه ليس بمجرد النهي عنه، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع عبادة غيره.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● وأمور الشرك أكبرْه وأصغرْه لا تدرك بالعد، لكن الشرك الأكبر يخرج من الملة ويحبط الأعمال، لأنه أعظم ذنب عُصي الله به، وهو أظلم الظلم، لأن الشرك أخذ حق الله، ووضعه فيمن لا يستحقه.

وأما الشرك الأصغر: فهو أكبر من الكبائر.

ولا يكفر الشرك، أكبره وأصغره، إلاَّ بالتوبة منه قبل الممات، والأصغر لا يكفره في الدار الآخرة، إلاَّ كثرة الحسنات، لأن الأصغر لا يحبط إلاَّ العمل الذي وقع فيه خاصة.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● حكم فاعل الشرك الأكبر، الذي يرتد به فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام، فلا يصلَّى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله، بل يكون لبيت مال المسلمين، ولا تؤكل ذبيحته، ويحكم بوجوب قتله، ويتولى ذلك ولي أمر المسلمين، إلاَّ أنه يستتاب قبل قتله، فإن تاب

قُبلت توبته ولم يقتل، وعومل معاملة المسلمين . . .

الشرك الأصغر: هو كل ما نهى عنه الشرع، مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا . . .

ومن أمثلة الشرك الأصغر: الرياء اليسير في أفعال العبادات وأقوالها . . .

أما إذا كان العبد لا يأتي بأصل العبادة إلاَّ رياء، ولولا ذلك ما صلَّى ولا صام ولا ذكر الله ولا قرأ القرآن، فهو مشرك شركًا أكبر، وهو من المنافقين . . .

والشرك الأصغر لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام، ولكنه أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر . . .

وعلى هذا فمن أحكامه: أن يعامل صاحبه معاملة المسلمين، فيرثه أهله ويرثهم حسب ما ورد بيانه في الشرع، ويصلَّى عليه إذا مات، ويدفن في مقابر المسلمين، وتؤكل ذبيحته، إلى أمثال ذلك من أحكام الإسلام، ولا يخلد في النار، إن دخلها كسائر مرتكبي الكبائر عند أهل السنَّة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة.

[الشيوخ: عبد الله بن قعود، وعبد الله بن غديان، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن عبد الله بن باز]



## الفصل الثاني

# العلم سبيل النجاة من الشرك وإلاَّ وقع بالجهل والتلبيس وتغيير الحقائق

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : الناس مكلَّفون بمعرفة الشرك حتى تتحقق البراءة منه، فهي أصل الأصول الاعتقادية، ولا يصح إسلام المرء إلَّا بالقيام بها.

المبحث الثاني : كيف دخل الشرك في الأمة.

المبحث الثالث : الغلو من أعظم أسباب المروق من الإسلام، ولذا فهو أصل شرك الأولين، والآخرين.

المبحث الرابع : اتخاذ الوسائط لجلب المنافع ودفع المضار، شرك بالله العظيم، ومروق من ملة المسلمين.

المبحث الخامس : ضرورة التحذير من الشرك ووسائله.

المبحث السادس : التحذير من ألفاظ، لا ينبغي أن تقال في حق الله سبحانه.

المبحث الأول

## الناس مكلَّفون بمعرفة الشرك، حتى تتحقق البراءة منه، فهي أصل الأصول الاعتقادية، ولا يصح إسلام المرء إلاَّ بالقيام بها

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين:

المرء مكلف بمعرفة التوحيد، ونقيضه من الشرك الذي لا يغفر، ولا عذر فيه بالجهل، ولا بالتقليد

«ومن العجب أن بعض الناس إذا سمع من يتكلم في معنى هذه الكلمة نفيًا وإثباتًا عاب ذلك وقال: لسنا مكلفين بالناس والقول فيهم. فيقال له: بل أنت مكلَّف بمعرفة التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وأرسل جميع الرسل يدعون إليه، ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لا يغفر ولا عذر لمكلف في الجهل بذلك، ولا يجوز فيه التقليد لأنه أصل الأصول.

فمن لم يعرف المعروف وينكر المنكر فهو هالك، لا سيما أعظم المعروف وهو: التوحيد، وأكبر المنكرات وهو: الشرك.

التوحيد: أعظم المعروف، والشرك: أكبر المنكرات

قال رجل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هلكت إن لم آمر بالمعروف وأنه عن المنكر، فقال ابن مسعود: هلكت إن لم يعرف

قلبك المعروف وينكر المنكر. وبمعرفة التوحيد يعرف أهله كما قال علي رضي الله عنه: اعرف الحق تعرف أهله»[1].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:** «أجمع العلماء سلفًا وخلفًا، من الصحابة والتابعين، والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، والبراءة منه وممن فعله، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة، والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله، كما في حديث معاذ الذي في الصحيحين: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[2].

المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالبراءة من الشرك وأهله إجماعًا

**وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:**

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد: عمود الشعائر

اعلم رحمك الله: أن التوحيد الذي فرض الله على عباده، قبل الصلاة والصوم، هو: توحيد عبادتك، فلا تدعو إلاَّ الله وحده لا شريك له، لا تدعو النبي ﷺ ولا غيره، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن/ ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

**(الشرك في التأله: هو المبيح لدماء المشركين)**

واعلم: أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام، والصالحين، مثل عيسى، وأمه، والملائكة، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم

(١) عقيدة الموحِّدين، رسالة الانتصار لحزب الله الموحِّدين ص ١١.
(٢) الدرر السنية ١١/ ٥٤٥.

يقرُّون أن الله سبحانه، هو: النافع، الضار، المدبِّر، كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الآية [يونس/ ٣١].

فإذا عرفت هذا، وعرفت: أن دعاءهم الصالحين، وتعلُّقهم عليهم، أنهم يقولون: ما نريد إلاَّ الشفاعة، وأن النبي ﷺ قاتلهم ليخلصوا الدعاء لله، ويكون الدين كله لله، وعرفت: أن هذا هو التوحيد، الذي أفرض من الصلاة والصوم، ويغفر الله لمن أتى به يوم القيامة، ولا يغفر لمن جهله، ولو كان عابدًا.

التوحيد: أفرض الفرائض، ولا يغفر لمن جهله ولو كان عابدًا

وعرفت أن ذلك هو الشرك بالله، الذي لا يغفر الله لمن فعله، وهو عند الله أعظم من الزنا، وقتل النفس، مع أن صاحبه يريد به التقرُّب من الله.

من أراد التقرب إلى الله بالشرك، فقد اقترف أعظم المحرمات

ثم مع هذا عرفت أمرًا آخر، وهو: أن أكثر الناس مع معرفة هذا الدين ـ يسمعون العلماء، في سدير، والوشم، وغيرهم، إذا قالوا: نحن موحِّدون الله، نعرف ما ينفع ولا يضر إلاَّ الله، وأن الصالحين لا ينفعون ولا يضرون، وعرفت أنهم لا يعرفون من التوحيد، إلاَّ توحيد الكفار، توحيد الربوبية، عرفت: عظم نعمة الله عليك، خصوصًا إذا تحققت أن الذي يواجه الله، ولا عرف التوحيد، أو عرفه ولم يعمل به، أنه خالد في النار، ولو كان من أعبد الناس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة/ ٧٢]، والله أعلم، وصلَّى الله على محمد، وآله، وصحبه وسلم»[١].

من جهل التوحيد، أو عرفه ولم يعمل به، فهو خالد في النار ولو كان من أعبد الناس

---

(١) الدرر السنية ٢/ ٧٦، ٧٧.

**وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود رحمهم الله تعالى:**

مشركو قريش أعلم بـ لا إلـه إلاَّ الله من مشركي زمـانـنـا!!

وأما مشركو هذا الزمان، فإنهم وإن نطقوا بها، وصلُّوا وزكُّوا، لا يفهمون منها ما فهمته العرب من أن معناها خلع الأنداد، وإفراد الله سبحانه بالعبادة وحده لا شريك له، بل يخالفون معناها، فيصرفون التأله لغير الله تعالى، ويعتقدون ذلك قربة إلى الله، فيصرفون خالص حق الله، الذي دلت عليه هذه الكلمة لغيره تعالى،

مشركو زماننا أعظم شركًا من مشركي قريش

بل أكبهم الجهل إلى الشرك في الربوبية، فلا تنفعهم لا إلـه إلاَّ الله مع ذلك وإن قالوها، لأن الشرك محبط للعمل، كما قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر/ ٦٥]، وغير ذلك من الآيات الدالة على حبوط عمل المشرك.

لا إلـه إلاَّ الله لا تنفع قائلها، إلاَّ إذا التزم بما دلت عليه

ومشركو العرب: إنما كان شركهم في الإلـهية، فلا تنفع لا إلـه إلاَّ الله قائلها، إلاَّ إذا التزم ما دلت عليه من خلع الأنداد، وإفراد الله سبحانه بالعبادة، ولذلك لما قالها أهل النفاق واليهود، ولم يلتزموا ما دلت عليه لم تنفعهم»[١].



(١) الدرر السنية ٨/ ٤٩٨، ٤٩٩.

## المبحث الثاني
# كيف دخل الشرك في الأمة

لقد فتح الشيطان بابًا للشرك كان مغلقًا، عندما لبّس على الناس دينهم، فزّين لهم أن الأحكام في الإسلام، دائرة مع الأسماء، وأن الحقائق والمعاني لا دخل لها في تعليل الأحكام، فعاد بذلك كل لون من ألوان الشرك، في اسم غير اسمه، ومقصد غير مقصده.

**قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمهما الله تعالى :**

«وقد دخل كثير من هذه الأمة في الشرك بالله، والتعلق على ما سواه، ويسمُّون ذلك توسلاً، وتشفعًا، وتغيير الأسماء، لا اعتبار به، ولا تزول حقيقة الشيء، ولا حكمه بزوال اسمه، وانتقاله في عرف الناس، باسم آخر.

**(تغيير الأسماء، لا يغيِّر الأحكام المترتبة على معانيها)**

ولما علم الشيطان: أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألهًا، أخرجه في قالب آخر، تقبله النفوس، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليشربن أناس من أمتي الخمر، يسمُّونها بغير اسمها**»، وكذلك من زنى، وسمَّى ما فعله: نكاحًا، فتغيير الأسماء، لا يزيل الحقائق، وكذا من ارتكب شيئًا، من الأمور الشركية، فهو مشرك، وإن سمى ذلك توسلاً، وتشفعًا.

الأدلة على ذلك

يوضح ذلك: ما ذكر الله في كتابه، عن اليهود، والنصارى، بقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية [التوبة/ ٣١]، وروى الإمام أحمد، والترمذي، وغيرهما: أن عدي بن حاتم، قدم على النبي ﷺ وكان قد تنصَّر في الجاهلية، فسمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ . . . ﴾ الآية [التوبة/ ٣١]، قال: يا رسول الله، إنهم لم يعبدونهم، فقال ﷺ: «**بلى إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وحلَّلوا لهم الحرام، فذاك عبادتهم إياهم**».

وقال ابن عباس، وحذيفة بن اليمان، في تفسير هذه الآية: إنهم اتبعوهم فيما حلَّلوا وحرَّموا، فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، لم يسموا أحبارهم، ورهبانهم، أربابًا ولا آلهة، ولا كانوا يظنون أن فعلهم هذا معهم عبادة لهم، ولهذا قال عدي: إنهم لم يعبدوهم.

حكم الشيء تابع لحقيقته، لا لاسمه، ولا لاعتقاد فاعله

وحكم الشيء تابع لحقيقته، لا لاسمه، ولا لاعتقاد فاعله، فهؤلاء: كانوا يعتقدون أن طاعتهم في ذلك، ليست بعبادة لهم، فلم يكن ذلك عذرًا لهم، ولا مزيلاً لاسم فعلهم، ولا لحقيقته وحكمه.

يوضح ذلك: ما روى الترمذي، وصححه، عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾ [الأعراف/ ١٣٨] لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم**».

فهؤلاء: ما كانوا يظنون، أن الذي طلبوه مما تنفيه لا إلـٰه إلاَّ الله، فلم يكن جهلهم مغيرًا لحقيقة هذا الأمر، وحكمه.

ومن كان له معرفة بما بعث الله به رسوله، علم أن ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم، والعكوف عند ضرائحهم، والسجود لهم، والنذر لهم، أعظم وأكبر، من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وأقبح وأشنع من قول الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط»[1].

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

الدوران مع الأسماء، دون الحقائق والمعاني باب عظيم، عاد الشرك منه كما كان قبل النبوة وفي زمن الفترة

«وتلطف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين، بأن دسَّ عليهم تغيير الأسماء والحدود الشرعية، والألفاظ اللغوية، فسموا الشرك وعبادة الصالحين: توسُّلاً ونداء، وحسن اعتقاد في الأولياء، وتشفعًا بهم، واستظهارًا بأرواحهم الشريفة، فاستجاب له صبيان العقول، وخفافيش البصائر، وداروا مع الأسماء، ولم يقفوا مع الحقائق.

فعادت عبادة الأولياء والصالحين، ودعاء الأوثان والشياطين، كما كانت قبل النبوَّة، وفي زمان الفترة حذو النعل بالنعل، وحذو القذَّة بالقذَّة، وهذا من أعلام النبوَّة، كما ذكره غير واحد، ولم يزل ذلك في ظهور وازدياد، حتى عمَّ ضرره، وبلغ شرره الحاضر والباد.

انتشار الشرك في كل أقاليم ومدن وقرى أهل الإسلام

ففي كل إقليم، وكل مدينة وقرية، ممن ينتسب إلى الإسلام، ولائج يدعونهم مع الله، ويلتمسون بدعائهم قرب الرب ورضاه،

(١) الدرر السنية ١/ ٥٦٧ ـ ٥٦٩.

يفزعون إليهم في الشدائد والمهمات، ويلوذون بهم في النوائب والحاجات، وبعضهم لا يرد على خاطره، ولا يلم بباله دعاء الله تعالى في شيء من ذلك، إلاَّ استشعاره حصول مقصوده، ونجاح مطلوبه، من جهة الأولياء والأنداد.

وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يعز حصره واستقصاؤه، ولو كان يخفى لعرجنا على ذكره وتفصيله، ولكنه أشهر من الشمس في نحر الظهيرة»[1].

**وقال الشيخ أبو بطين رحمه الله تعالى:**

من عبد غير الله فهو مشرك، ولو لم يسم ما فعله شركًا وعبادة وتألهًا

«إن موالاة الله بعبادته، والبراءة من كل معبود سواه، هو معنى: لا إلـٰه إلاَّ الله، إذا تبين ذلك، فمن صرف لغير الله شيئًا من أنواع العبادة المتقدم تعريفها، كالحب والتعظيم، والخوف، والرجاء، والدعاء، والتوكل، والذبح، والنذر، وغير ذلك، فقد عبد ذلك الغير، واتخذه إلـٰهًا، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألهًا وعبادة وشركًا.

ومعلوم عند كل عاقل: أن حقائق الأشياء، لا تتغير بتغير أسمائها، فلو سمى: الزنا، والربا، والخمر، بغير أسمائها، لم يخرجها تغيير الاسم، عن كونها: زنًا، وربًا، وخمرًا، ونحو ذلك.

علة تحريم الشرك، لا تزول بتغير اسمه

ومن المعلوم: أن الشرك، إنما حرم لقبحه في نفسه، وكونه متضمنًا مسبَّة الرب وتنقُّصه وتشبيهه بالمخلوقين، فلا تزول هذه المفاسد، بتغيير اسمه، كتسميته: توسلاً، وتشفعًا، وتعظيمًا للصالحين، وتوقيرًا لهم ونحو ذلك، فالمشرك: مشرك، شاء

(١) الدرر السنية ١٢/ ٢٨٣.

أم أبى، كما أن الزاني: زان، شاء أم أبى، والمرابي: مراب، شاء أم أبى.

وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته: يستحلُّون الربا، باسم البيع، ويستحلُّون الخمر، باسم آخر غير اسمها، وذمهم على ذلك، فلو كان الحكم دائرًا مع الاسم، لا مع الحقيقة، لم يستحقوا الذم، وهذه: من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم، قديمًا وحديثًا، أخرج لهم الشرك، في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم، وغير اسمه بتسميته إياه: توسلاً، وتشفعًا، ونحو ذلك، والله الهادي إلى سواء السبيل»[1].

الشرك من أعظم مكائد الشيطان

**وقال الشيخ أبو بطين رحمه الله تعالىٰ:**

«قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعان به، وتقرَّب إليه بما يحبه، فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة، ويسميه استخدامًا من الشيطان له»[2].

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

«وقد بلغ الشيطان مراده من أكثر الخلق، وصدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعه الأكثر، وتركوا ما جاءت به الرسل من دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وتلطف الشيطان في التحيُّل والمكر والمكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين وغيرهم على كثير ممن ينتسب إلى دين الإسلام في قالب محبة الصالحين والأنبياء والتشفع بهم، وأن لهم جاهًا ومنزلة يشفع بها من دعاهم ولاذ بحماهم، وأن من

لقد غيّر إبليس قوالب بضاعته، فراجت تجارته على المشركين أتباعه

(١) الدرر السنية ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) الدرر السنية ١٢/ ٩١.

أقرَّ لله وحده بالتدبير واعتقد له بالتأثير والخلق والرزق فهو مسلم ولو دعا غير الله واستعاذ بغيره ولاذ بحماه، وأن مجرد شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله تكفي مثل هذا، وإن لم يقارنها علم ولا عمل ينتفع به، وأن الدعاء والاستغاثة والاستعانة والحب والتعظيم ونحو ذلك ليس بعبادة، وإنما العبادة السجود والركوع ونحو هذه الزخرفة والمكيدة، وهذا بعينه هو الذي تقدمت حكايته عن جاهلية العرب.

سبب حدوث أول شرك في بني آدم

وذكر المفسِّرون وأهل التاريخ من أهل العلم في سبب حدوث الشرك في قوم نوح مثل هذه المكيدة، فإن ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن ينصبوا تماثيلهم ويصوِّروا صورهم ليكون ذلك أشوق إلى العباد وأنشط في الطاعة، فلما هلك من فعل هذا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن أسلافهم كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم لذلك.

فأصل الشرك هو تعظيم الصالحين بما لم يشرع، والغلو في ذلك»[١].



(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٤/ ٤٣٩.

## المبحث الثالث

# الغلو: من أعظم أسباب المروق من الإسلام، ولذا فهو أصل شرك الأوّلين، والآخرين

**قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى:**

«وقال الشيخ تقي الدين في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وأمره ﷺ بقتالهم قال: فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من قد مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام، وذلك بأسباب:

الغلو من أعظم أسباب المروق في الإسلام

منها: الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي ابن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلـٰهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك، أو نحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلاَّ قتل، فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إلـه آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق

كفر مشركي الأولين كان في جانب الألوهية دون الربوبية

أو تنزل المطر أو تنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس/ ١٨].

فبعث الله رسله تنهى أن يدعي أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ . . .﴾ الآية [الإسراء/ ٥٦، ٥٧]، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيرًا والملائكة.

إلى أن قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل/ ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٥].

وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته، حتى قال رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**»، ونهى عن الحلف بغير الله وقال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، وقال في مرض موته: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذِّر ما فعلوا، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**».

تعظيم القبور، من أكبر أسباب عبادة الأوثان

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلَّم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسَّح بحجرته ولا يقبلها، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق.

كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلاَّ به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء/ ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء/ ٤٨]، ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلـه إلاَّ الله دخل الجنة**».

صفات التوحيد

والإله: هو الذي يؤلهه القلب عبادة واستعانة ورجاء له وخشية وإجلالاً. انتهى كلامه.

تعريف الإله

فتأمل أول الكلام وآخره، وتأمل كلامه فيمن دعا نبيًّا أو وليًّا مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني ونحوه، أنه يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل، تجده صريحًا في تكفير أهل الشرك وقتلهم بعد الاستتابة وإقامة الحجة عليهم، وأن من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية فقد اتخذه إلهًا مع الله، لأن الإله هو المألوه الذي يألهه القلب أي: يقصده بالعبادة والدعوة والخشية والإجلال والتعظيم، وإن زعم أنه لا يريد إلاَّ الشفاعة والتقرب عند الله، لأنه بيَّن أن هذا هو مطلوب المشركين الأولين، واستدل على ذلك بالآيات الصريحات القاطعات. والله أعلم»[1].

معنى: تأله القلب

---

(١) عقيدة الموحدين، رسالة الكلمات النافعة في المكفِّرات الواقعة ٢٢٩ ـ ٢٣١.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد، وعبد الرحمن بن حسن في شرحه عليه رحمهما الله تعالى:

## (باب) ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء/ ١٧١].

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣﴾ [نوح/ ٢٣].

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيه أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد. حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت».

وقال ابن القيم، قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

طول الأمد بالبدع، يؤول بأصحابه إلى الشرك

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**». أخرجاه.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**».

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**»، قالها ثلاثًا.

[ الشرح ]

قوله: «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين».

الغلو في الصالحين يؤول بأصحابه إلى الشرك في الإلهية

وقوله: «تركهم» بالجر عطفًا على المضاف إليه. وأراد المصنف رحمه الله تعالى بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظم ذنب عصي الله به، وهو ينافي التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص: شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله.

قوله: وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء/ ١٧١].

تعريف الغلو

الغلو: هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزل الله فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلاَّ الله.

والخطاب ــ وإن كان لأهل الكتاب ــ فإنه عام يتناول جميع الأمة، تحذيرًا لهم أن يفعلوا بنبيِّهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في العزير كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد/ ١٦]، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**». ويأتي.

كل من دعا نبيًا، أو وليًا من دون الله، فقد اتخذه إلـهًا

فكل من دعا نبيًّا أو وليًّا من دون الله فقد اتخذه إلـهًا، وضاهأ النصارى في شركهم وضاهأ اليهود في تفريطهم. فإن النصارى غلوا في عيسى عليه السلام، واليهود عادوه وسبُّوه وتنقَّصوه، فالنصارى

أفرطوا واليهود فرَّطوا. وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة/ ٧٥]، ففي هذه الآية وأمثالها الرد على اليهود والنصارى.

حكم الغالية

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن تشبَّه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم. قال: وعلي رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها. واتفق الصحابة على قتلهم. لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء.

قوله: في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح/ ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت.

نسيان العلم، سبيل الوقوع في الشرك

قوله: وفي الصحيح: أي صحيح البخاري.

وهذا الأثر اختصره المصنف. ولفظ ما في البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد. أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل. وأما سواع فكانت لهذيل. وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ. وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع: أسماء رجال صالحين في قوم نوح» إلى آخره.

وروى عكرمة والضحاك وابن إسحاق نحو هذا.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس: «أن يغوث ويعوق ونسرًا كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم. فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صوَّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونه وبهم يسقون المطر فعبدوهم».

قوله: «أن انصبوا» هو بكسر الصاد المهملة.

تعريف النصب

قوله: «أنصابًا» جمع نصب، والمراد به هنا: الأصنام المصوَّرة على صور أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم، وسموها بأسمائهم. وفي سياق حديث ابن عباس ما يدل على أن الأصنام تسمَّى أوثانًا. فاسم الوثن يتناول: كل معبود من دون الله، سواء كان ذلك المعبود قبرًا أو مشهدًا، أو صورة أو غير ذلك.

تعريف الوثن

قوله: «حتى إذا هلك أولئك»، أي: الذين صوَّروا تلك الأصنام.

الجهل شبكة الشرك

قوله: «ونسي العلم» ورواية البخاري: «وينسخ» وللكشميهني: «ونسخ العلم»، أي: درست آثاره بذهاب العلماء، وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك، فوقعوا في الشرك ظنًا منهم أنه ينفعهم عند الله.

الشيطان ـ عليه لعنة الله ـ هو معبود المشركين الحقيقي

قوله: «عبدت» لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة. كما قال تعالى: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢﴾ [يس/ ٦٠ ـ ٦٢].

حسن القصد في البدع والشرك، لا يغني عن أصحابه شيئًا

وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسنًا، فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة: أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم، ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك، من عبادتهم لهم من دون الله، وفي رواية: «أنهم قالوا: ما عظم أوَّلنا هؤلاء إلاَّ وهم يرجون شفاعتهم عند الله»، أي: يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوَّروا تلك الأصنام على صورهم وسموها بأسمائهم. ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم: شرك بالله، كما تقدم بيانه في الآيات المحكمات.

طلب الشفاعة من دون الله: شرك بالله العظيم

قوله: وقال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

قوله: وقال ابن القيم رحمه الله: هو الإمام العلامة محمد ابن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية. قال الحافظ السخاوي: العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة. مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

العكوف على القبور من الشرك ووسائله

قوله: وقال غير واحد من السلف: هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير إلاَّ أنه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصويرهم

تماثيلهم. وذلك من وسائل الشرك بل هو الشرك، لأن العكوف لله في المساجد عبادة. فإذا عكفوا على القبور صار عكوفهم تعظيمًا ومحبة: عبادة لها.

قوله: ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم: أي: طال عليهم الزمان. وسبب تلك العبادة والموصل إليها هو ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانًا تعبد من دون الله، كما ترجم به المصنف رحمه الله تعالى، فإنهم تركوا بذلك دين الإسلام الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك، وكفروا بعبادة تلك الصور واتخذوهم شفعاء. وهذا أول شرك حدث في الأرض.

لقد ترك قوم نوح الإسلام الذي كانوا عليه بفعل الشرك، وكفروا بعبادة الصالحين

قال القرطبي: وإنما صوَّر أوائلهم الصور ليتأسَّوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة. فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. اهـ.

خطوات الشيطان في إضلال بني آدم

قال ابن القيم رحمه الله: وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها، والإقسام على الله بها، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرَّر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تعلَّق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبل، ويحج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدًا

ومنسكًا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم. وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجديد التوحيد، وأن لا يعبد إلاَّ الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر/ ٤٥].

عاقبة الشرك الوخيمة

وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظَّموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٤]. اهـ. كلام ابن القيم رحمه الله.

من فوائد القصة

وفي القصة فوائد ذكرها المصنف رحمه الله.

ومنها: رد الشبه التي يسمِّيها أهل الكلام عقليات، ويدفعون بها ما جاء به الكتاب والسنة من توحيد الصفات، وإثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه.

ومنها: مضرة التقليد.

ومنها: ضرورة الأمة إلى ما جاء به الرسول ﷺ علمًا وعملاً بما عليه الكتاب والسنة فإن ضرورة العبد إلى ذلك فوق كل ضرورة.

قوله: وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**». أخرجاه.

قوله: عن عمر، هو ابن الخطاب بن نفيل ــ بنون وفاء مصغرًا ــ العدوى أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنهم، ولي الخلافة عشر سنين ونصفًا، فامتلأت الدنيا عدلاً، وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر. واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين رضي الله عنه.

تعريف الإطراء

قوله: **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**». الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. قاله: أبو السعادات. وقال غيره: أي لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحد في مدحي.

التباين العظيم بين بيان النبي ﷺ للتوحيد، وحال المشركين في تحقيقه

قوله: «**إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»، أي: لا تمدحوني لتغلوا في مدحي، كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فادعوا فيه الإلـٰهية. وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى المشركون إلاَّ مخالفة أمره وارتكاب نهيه وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعرًا ونثرًا ما يطول عده، وصنفوا فيه مصنفات.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن بعض أهل زمانه(١) أنه

---

(١) هو علي بن يعقوب البكري، رد عليه شيخ الإسلام في كتابه تلخيص الاستغاثة، قاله الشيخ محمد حامد الفقي في تحقيقه للكتاب محل النقل.

جوَّز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك مصنَّفًا ردَّه شيخ الإسلام، وردَّه موجود بحمد الله. ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلاَّ الله، وذكر عنهم أشياء من هذا النمط. نعوذ بالله من عمى البصيرة.

وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار لغير الله، فناقضوا الرسول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة، وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه. وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه، وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي، وفرطوا في متابعته، فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له، وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ونصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه، فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علمًا وعملاً، وارتكبوا ما نهى عنه رسوله، فالله المستعان.

سنن الشرك، وهدي المشركين

قوله: وقال رسول الله ﷺ: **«إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»**.

هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس.

وهذا لفظ رواية أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**غداة جمع: هلم القط لي**»، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: «**نعم بأمثال هؤلاء فارموا. وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**».

الغلو من أعظم أسباب الهلاك

قال شيخ الإسلام: هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه، مثل الرمي بالحجارة الكبار، بناء على أنه أبلغ من الصغار، ثم علَّل بما يقتضي مجانبة هدى من كان قبلنا إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به، فإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك.

قوله: ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**»، قاله ثلاثًا.

تعريف: التنطع

قال الخطابي: المتنطع المتعمِّق في الشيء، المتكلِّف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقًا، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلَّا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب، قال الشيخ تقي الدين: فهذا جاهل ضال، انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله: قال الغزالي: والمتنطعون في البحث والاستقصاء.

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم.

وقال النووي: فيه كراهية التقعُّر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

قوله: قالها ثلاثًا: أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلغ البلاغ المبين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين».

* * *

ولمسلم[1] عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا.

**فيه مسائل:**

**الأولى**: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبيَّن له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

**الثانية**: معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين.

**الثالثة**: أول شيء غيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

**الرابعة**: قَبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

**الخامسة**: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول محبة الصالحين، والثاني فعل أناس من أهل العلم شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

---

(١) هذا كلام المصنف في المتن شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ.

**السادسة**: تفسير الآية التي في سورة نوح .

**السابعة**: جبلَّة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد .

البدع: بريد للكفر

**الثامنة**: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر .

**التاسعة**: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل .

**العاشرة**: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه .

**الحادية عشرة**: مضرَّة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

**الثانية عشرة**: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .

**الثالثة عشرة**: معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

**الرابعة عشرة**: وهي أعجب وأعجب، قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله ﷺ عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال!!![1]

**الخامسة عشرة**: التصريح بأنهم لم يريدوا إلاَّ الشفاعة .

**السادسة عشرة**: ظنهم أن العلماء الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك .

**السابعة عشرة**: البيان العظيم في قوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»، فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغ المبين .

---

(١) هكذا في الأصل، وإن كان السياق يقتضي: فاعتقدوا ما نهىٰ الله ورسوله ﷺ، وهو الكفر المبيح للدم والمال . هذا والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم .

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء»[1].

**وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى في شرحه لكتاب التوحيد على ذات الباب السابق:**

**باب ما جاء أن الغلو**
**في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله**

المراد من الترجمة

أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أمورًا:

**الأول**: التحذير من الغلو في قبور الصالحين.

**الثاني**: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها.

**الثالث**: أنها إذا عبدت سمِّيت أوثانًا ولو كانت قبور الصالحين.

**الرابع**: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذه مساجد.

تعريف الوثن

والأوثان هي المعبودات التي لا صورة لها، كالقبور والأشجار والعمد والحيطان والأحجار ونحوها، وقد تقدم بيان ذلك. وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلاَّ مع التجريد، فأحدهما قد يعني به الآخر، وأما مع الاقتران، فيفسر كل واحد بمعناه.

قال: روى مالك في «الموطأ» أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**.

---

(١) فتح المجيد/ ٢١٤ ـ ٢٢٤.

هذا الحديث رواه مالك في «باب جامع الصلاة» مرسلاً عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قاله: ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم به ولم يذكر عطاء. ورواه البزار عن عمر بن محمد، عن زيد، عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وعمر ابن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ثقة من أشراف أهل المدينة، روى عنه مالك والثوري وسليمان بن بلال، فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات. وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له بلفظ «الموطأ» سواء، وهو ممن تقبل زيادته. وله شاهد عند الإمام أحمد والعقيلي من طريق سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رفعه: **«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**.

قوله: روى مالك في الموطأ» هو الإمام مالك بن أنس ابن مالك ابن أبي عامر بن عمر الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة، وأحد المتقنين في الحديث، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة تسع وسبعين ومائة. وكان مولده سنة ثلاث وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة.

إذا عُبدت القبور صارت أوثانًا

قوله: اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، قد استجاب الله دعاء رسوله ﷺ، فمنع الناس من الوصول إلى قبره لئلا يعبد استجابة لدعاء رسوله ﷺ كما قال ابن القيم: فأجاب رب العالمين دعاءه، وأحاطه بثلاثة من الجدران.

ودل الحديث على أن قبر الرسول ﷺ لو عبد لكان وثنًا، فما ظنك بقبر غيره من القبور التي عبدت هي وأربابها من دون الله، وإذا أريد تغيير شيء من ذلك أنف عبَّادها، واشمأزت قلوبهم، واستكبرت نفوسهم، وقالوا: تنقص أهل الرتب العالية، ورموهم بالعظائم، فماذا يقولون لو قيل لهم: إنها أوثان تعبد من دون الله؟!

فالله المستعان على غربة الإسلام، وهذه هي الفتنة العظمى التي قال فيها عبد الله بن مسعود: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة، إذا غيرت قيل: غيرت السنة.

**(نهج السلف في سدِّهم لكل السبل المؤدية إلى الشرك)**

ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم، ومواضع صلاتهم للصلاة، والدعاء عندها، فإن ذلك من البدع، أنكره السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم. ولا نعلم أحدًا أجازه أو فعله إلاَّ ابن عمر على وجه غير معروف عند عبَّاد القبور، وهو إرادة التشبه برسول الله ﷺ في الصلاة فيما صلَّى فيه ونحو ذلك. ومع ذلك فلا نعلم أحدًا وافقه عليه من الصحابة، بل خالفه أبوه وغيره، لئلا يفضي ذلك إلى اتخاذها أوثانًا كما وقع.

قال ابن عبد الباقي في «شرح الموطأ: «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرى بذلك. وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى. انتهى.

وقال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر ابن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة. قال عيسى ابن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع: أن الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر رضي الله عنه.

وقال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة صلاة الصبح، فقرأ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل/ ١]، و ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش/ ١]، ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين مسجد صلَّى فيه رسول الله ﷺ فهم يصلون فيه، فقال: إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعًا، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمَّدها.

وفي «مغازي ابن إسحق» من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة: خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية قال: لما فتحنا تُستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليها رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه، قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. فقلت: من

كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال، فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاث مائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا إلَّا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبنيها الأرض.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرُّك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله.

من المنكرات: قصد بقعة بنوع من الخير بغير دليل من الشرع

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهو إنكار منهم لذلك، فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو ليسكن عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعًا ولا عينًا، لأن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها، كمن يدعو الله في طريقه، ويتفق أن يمر في طريقه بالقبور أو كمن يزورها ويسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة، فإن ذلك ونحوه لا بأس به.

فرق دقيق بين: السنة، والبدعة

وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه، والفرق بين النوعين ظاهر، فإن الرجل لو كان يدعو الله واجتاز في ممرِّه بصنم أو صليب أو كنيسة أو دخل إليها ليبيت فيه مبيتًا جائزًا ودعا الله في الليل، أو أتى بعض أصدقائه ودعا الله في بيته لم يكن بهذا بأس. ولو تحرى الدعاء عند هذه المواضع لكان من العظائم بل قد يكون كفرًا.

سبب اللعن في الحديث

قوله: اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم، وهو توسُّلهم بذلك إلى أن تصير أوثانًا تعبد. ففيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف، وفيه تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها.

وقد روى أصحاب مالك عنه أنه كره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ. وعلَّل وجه الكراهة بقوله: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، فكره إضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك سدًا للذريعة، وحسمًا للباب. ذكره الطبري وفيه أنه ﷺ لم يستعذ إلاَّ مما يخاف وقوعه، ذكره المصنف.

قال: ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم/ ١٩]، قال: كان يلتُّ لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلتُّ السويق للحاج.

قوله: ولابن جرير. هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب«التفسير» و «التاريخ» وغيرهما. قال ابن خزيمة: لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير، وكان من الأئمة المجتهدين، لا يقلد أحدًا وله أصحاب يتفقَّهون على مذهبه. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة.

قوله: عن سفيان، هو أحد السفيانين، إما ابن عيينة وإما الثوري، فإن كان ابن عيينة فقد تقدمت ترجمته، وإن كان الثوري وهو الأظهر فهو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الكوفي،

ثقة حافظ فقيه إمام حجة عابد. وكان مجتهدًا، له أتباع وأصحاب يتفقهون على مذهبه. مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون سنة.

قوله: عن منصور. هو ابن المعتمر بن عبد الله السليم أبو عتاب ـ بمثناة ثقيلة ثم موحدة ـ الكوفي، ثقة ثبت فقيه. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: عن مجاهد هو ابن جبر ـ بالجيم والموحدة ـ أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير والعلم، أخذ التفسير عن ابن عباس وغيره. مات سنة أربع ومائة، قاله يحيى القطان، وقال ابن حبان: مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد، وكان مولده سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه.

قوله: كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره. لتُّ السويق: هو خلطه بسمن ونحوه. وقد قيل: إن اسم الرجل صرمة ابن غنم، وعن ابن عباس: كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلاَّ سمن فعبدوه، ورواه ابن أبي حاتم وعن مجاهد: كان اللات رجلاً في الجاهلية، وكان له غنم فكان يسلؤ من رِسلها ويأخذ من زبيب الطائف والأقط، فيجعل منه حيسًا ويطعم من يمر من الناس، فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللات، وكان يقرأ اللات مشددة، رواه سعيد بن منصور والفاكهي.

قوله: وكذا قال أبو الجوزاء: إلى آخره. هو أوس بن عبد الله الربعي، بفتح الراء والباء، ثقة مشهور، مات سنة ثلاث وثمانين. وهذا الأثر ذكره المصنف ولم يعزه، وقد رواه البخاري، ولا

تخالف بين هذا التفسير والقراءة وبين قراءة من قرأ بالتخفيف.
وقال: إنه كان حجرًا فعبدوه، واشتقوا له من اسم الله الإلـٰه، كما تقدم تقريره في باب: من تبـرَّك بشجرة. وأيضًا فيجاب على الأول بأن أصله التشديد، وخفف لكثرة الاستعمال.

وأما كونهم اشتقوا هذا الاسم من اسم الله الإلـٰه، فلا ينافي ذلك أيضًا، فقد رأيت أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثنًا يعبد، كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين، ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر وغيرهم، وكما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين من الأموت وغيرهم اليوم، فإنهم غلوا فيهم، وبنوا على قبورهم القباب والمشاهد، وجعلوها ملاذًا لقضاء المآرب.

الغلو: أصل الشرك في الأولين والآخرين

وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، وقد أمرنا الله تعالى بمحبة أوليائه وإنزالهم منازلهم من العبودية، وسلب خصائص الإلـٰهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم، ونهانا عن الغلو فيهم، فلا نرفعهم فوق منزلتهم، ولا نحطهم منها لما يعلمه تعالى في ذلك من الفساد العظيم.

فما وقع الشرك إلاَّ بسبب الغلو فيهم، فإن الشرك بهم غلو فيهم، وأنزلوهم منازل الإلـٰهية، وعصوا أمرهم، وتنقَّصوهم في صورة التعظيم لهم، فتجد أكثر هؤلاء الغالين فيهم، العاكفين على قبورهم، معرضين عن طريقة من فيها وهديه وسنته، عائبين لها مشتغلين بقبورهم عما أمروا به ودعوا إليه.

كيف نعظم الأنبياء والصالحين

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم دون عبادتهم وعبادة قبورهم، والعكوف عليها كالذين

يعكفون على الأصنام واتخاذها أعيادًا ومجامع للزيارات والفواحش وترك الصلوات، فإن من اقتفى آثارهم كان متسببًا في تكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه اشتغل بضده حرم نفسه وحرمهم ذلك الأجر: فأي تعظيم لهم واحترام في هذا»[١].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

الغلو: منبع الشرك، في كافة الأزمان والبلدان

«وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو: الغلو كما لا يخفى على ذوي البصائر، كما جرى لأهل مصر وغيرهم، فإن أعظم آلهتهم مع أنه لا يعرف إلَّا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل، ذكره السخاوي عن أبي حيان، فزيَّن لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفىء الحريق وينجي الغريق، وصرفوا له الإلٰهية والربوبية وعلم الغيب وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة، وفيهم من يسجد على عتبة حضرته.

الشرك وقع في الربوبية والألوهية

كان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي، وعبد القادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزهد، لكن فيه زهد وعبادة وفتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرافضة مع أهل البيت، وسبب ذلك الغلو: دعوى أن له كرامات، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٢٨ ــ ٢٣٢.

وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به، وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي، وهو إمام أهل الوحدة، الذين هم أكفر أهل الأرض وأكثر من أن يعتقد فيه هؤلاء، لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيرها.

وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرهما. من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى، كعبادتهم للجن، وطلبهم الشفاعة منهم، والأصل في ذلك الغلو: تزيين الشيطان.

تزيين الشيطان: هو أصل الغلو

وذكر أهل السير: أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام (لَبَّيكَ اللهُمَّ لَبَّيكَ لا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ)، حتى كان عمرو بن لحي الخزاعي فبينما هو يلبي تمثَّل له الشيطان في سورة شيخ يلبي معه فقال: لبَّيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلَّا شريكًا هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: ما هذا؟ فقال الشيخ: تملكه وما ملك. فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو فدانت بها العرب»[1].

**(يجب إنكار الغلو لهدم أعظم وسائل الشرك)**

**قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمهما الله تعالى:**

فنحن: ننكر الغلو في أهل القبور، والإطراء، والتعظيم، ونهدم البنايات التي على قبور الأموات، لما فيها من الغلو والتعظيم، الذي هو أعظم وسائل الشرك بالله، وهذه الأمور، التي أوجبت عبادتها من دون الله: ابتدعها أناس، أرادوا بها التعظيم، وإظهار تشريفهم، فجاء من بعدهم، فعبدوهم من دون الله، وقصدوا منهم كشف الملمَّات، وسألوهم قضاء الحاجات، وتفريج

---

(١) فتح المجيد ١٠٦، ١٠٧.

الكرُبات، وإغاثة اللهفات، واعتقدوا هذا الشرك الوخيم قربة ودينًا يدينون به، واشتد نكيرهم على من أنكر ذلك، وحذروا عنه، ورموه بالزور والبهتان، و الله ناصر دينه، في كل زمان ومكان، لكنه يمتحن حزبه، بحربه، مذ كانت الفئتان»[١].

❑ ❑ ❑

(١) الدرر السنية ١/ ٥٧٠، ٥٧١.

## المبحث الرابع

# اتخاذ الوسائط لجلب المنافع ودفع المضار شرك بالله العظيم ومروق من ملة المسلمين

**قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

«وقد قال شيخ الإسلام لما سئل عن رجلين تناظرا، فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله تعالى، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك، فما معنى الواسطة؟ وهل التوسط عام في كل شيء يوجبه الله تعالى، أم في ذلك بيان وتفصيل؟

لا بد للخلق من واسطة لهم تبلغهم أمر الخالق، وهم: الرسل

فأجاب رحمه الله ورضي الله عنه بقوله: الحمد لله، إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغ أمر الله تعالى ودينه، فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر الله به ونهى عنه، وما أعدَّ لأوليائه من كرامته، وما أوعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنى وصفاته العليا، التي تعجز العقول[1] عن الإحاطة بها إلى أمثال ذلك إلاَّ بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده.

والمؤمنون بالرسل المتَّبِعون لهم المهتدون الذين يقرِّبهم الله لديه زلفى، ويرفع درجاتهم، ويكرمهم في الدنيا والآخرة، وأما المخالفون

---

(١) تقييد مهم، فانتبه له. ومؤداه: أن العقل يدرك بعض أسماء الله وصفاته، وهي التي استحق بها سبحانه: وحدانيته في ربوبيته وألوهيته، ومن ثمَّ فكل من فقد واحداً منها ــ فضلاً عن جميعها ــ لا يصلح أن يكون إلـٰهًا معبوداً.
وبهذا نعلم كيف يدرك العقل والفطرة التوحيد على وجه الإجمال، في وقت فتور الرسالات.

للرسل فإنهم ملعونون وهم ضالون، وعن ربهم محجوبون.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف/ ٣٥، ٣٦] وذكر آيات في المعنى ثم قال رحمه الله:

إثبات وسائط بين المخلوق والخالق، لجلب المنافع ودفع المضار، من أعظم أنواع الشرك

وإن أرادوا بالواسطة: أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم ذلك ويرجونهم فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء شفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، لكن الشفاعة لمن يأذن الله تعالى له فيها.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [السجدة/ ٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ [الأنعام/ ١٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣]، وساق ــ آيات في المعنى ــ إلى أن قال: وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩، ٨٠].

من اتخذ وسائط من المخلوقات وصرف إليها أي نوع من العبادة، فهو كافر بإجماع المسلمين

فبيَّن سبحانه وتعالى أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين.

وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٢٦ ـ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء/ ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم/ ٨٨ ـ ٩٥].

وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس/ ١٨]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم/ ٢٦]،

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر/ ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس/ ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ﴾ [الزمر: ٣٨][1] المشير، وأما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدلّ عليه.

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعضهم، فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له، ويشفع فيه، ونحو ذلك، فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي والشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم يكن يعلمه، أو من يرجوه الرب ويخافه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**».

الفرق بين الشفاعة عند الخالق، والشفاعة لدى المخلوق

والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلاَّ بإذنه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ/ ٢٣]، بخلاف

(١) هكذا في الأصل ويبدو أن فيه سقط.

الملوك، فإن الشافع عندهم قد يكون شريكًا لهم في الملك، وقد يكون مظاهرًا لهم معاونًا على ملكهم. وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، والملك يقبل شفاعتهم تارة على إنعامهم عليه، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته. لذلك، فإنه يحتاج إلى الزوجة وإلى الولد، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرَّر بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه، فإنه إن لم يقبل شفاعته يخاف أنه لا يطيعه، أو أن يسعى في ضرره، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلاَّ لرغبة أو رهبة، والله تعالى لا يرجو أحدًا ولا يخافه، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني الحميد.

المخلوق لا يقبل الشفاعة إلاَّ لرغبة أو رهبة، والخالق سبحانه لا يرجو أحدًا ولا يخافه

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يونس/ ٦٦]، إلى قوله: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ . . . ﴾ الآية[يونس/ ٦٨]، وقوله: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ ﴾ [يونس/ ٦٦] استفهام إنكار، أي: ليس متبع الذين يدعون من دون الله شركاء حجة، ولا برهانًا، ما يتبعون إلاَّ الظن، وما هم إلاَّ يخرصون.

ليس مع أي مشرك حجة، إلاَّ الظن والخرص

بيَّن تعالى أن من دعا من دون الله شركاء فليس معه علم، ليس معه إلاَّ الظن والخرص، والظن المَقرون بالخرص هو ظن باطل، غير مطابق للحق، فإن الخرص هنا بمعنى الكذب، كقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الذاريات/ ١٠] ومن ظن أن «ما» هنا نافية، فقد فسَّر الآية بما هو خطأ، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس/ ١٨]، وقال عن صاحب يس: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يس/ ٢٢ ــ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٢٨].

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر/ ٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء/ ٥٦، ٥٧].

فأخبر أن من تدعونهم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويتقرَّبون إليه، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء ــ إلى أن قال ــ:

**(إثبات الوسائط بين الله وخلقه، كالتي بين الملوك ورعاياها هو عمود ملة قريش، وأهل الجاهلية الأولى)**

والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين الله تعالى وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان. كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء

والصالحين، وإنها وسائط يتقرَّبون بها إلى الله تعالى، وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالى على النصارى، حيث قال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة/ ١٣]، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦]، ثم ذكر آيات في المعنى.

وهذا الذي قاله الشيخ لا خلاف فيه بين المسلمين، وإنما اشتبه الأمر على هؤلاء الضلال، لما قدم العهد، ونسي العلم، واعتادوا سؤال غير الله فيما يختص به تعالى ونشأوا على ذلك»[(١)].

**وجاء في نواقض الإسلام العشرة للشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:**

«الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألوهم الشفاعة ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعًا»[(٢)].



(١) منهاج التأسيس والتقديس ص ٣٥٣ ــ ٣٦٠.

(٢) عقيدة الموحدين ص ٤٥٦.

## المبحث الخامس

# ضرورة التحذير من الشرك ووسائله

إن الشرك دقه وجلّه، صغيره وكبيره، بوسائله وغاياته... ظلم عظيم وإفك مبين. ولمّا وقع العديد من عوام المسلمين، في كثير من الأمور الشركية وذرائعها المؤدية إليها، وجب التنبيه عليها، والتحذير منها لتصح البراءة من الشرك، وتتحقق النجاة من ظلماته.

**قال الشيخ صالح الفوزان يحفظه الله:**

هناك أشياء مترددة بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، بحسب ما يقوم بقلب فاعلها وما يصدر عنه من الأفعال والأقوال، ويقع فيها بعض الناس، قد تتنافى مع العقيدة، أو تعكر صفوها، وهي تمارس على المستوى العام، ويقع فيها بعض العوام، تأثرًا بالدجّالين والمحتالين والمشعوذين، وقد حذر منها النبي ﷺ، ومن هذه الأمور:

**١ ــ لبس الحلقة والخيط ونحوهما بقصد رفع البلاء أو دفعه:**

وذلك من فعل الجاهلية، وهو من الشرك الأصغر، وقد يترقى إلى درجة الشرك الأكبر، بحسب ما يقوم بقلب لابسها من الاعتقاد بها.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذا؟**» قال: من الواهنة، فقال: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلاَّ وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**»، رواه أحمد بسند لا بأس به، وصحَّحه ابن حبان والحاكم وأقرَّه الذهبي.

**٢ ـ تعليق التمائم:**

وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها، يتقون بها العين، ويتلمحون من اسمها أن يتم الله لهم مقصودهم.

وقد تكون التمائم من عظام ومن خرز ومن كتابة وغير ذلك، وهذا لا يجوز.

إذا كانت التمائم المعلقة من القرآن، فالراجح عدم جوازها

وقد يكون المعلق من القرآن، فإذا كان من القرآن، فقد اختلف العلماء في جوازه وعدم جوازه، والراجح عدم جوازه، سدًّا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق غير القرآن، ولأنه لا مخصِّص للنصوص المانعة من تعليق التمائم، كحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك**»، رواه أحمد وأبو داود، وعن عقبة بن عامر مرفوعًا: «**من علق تميمة، فقد أشرك**»، وهذه نصوص عامة لا مخصِّص لها.

**٣ ـ التبرُّك بالأشجار والأحجار والآثار والبنايات:**

معنى التبرك، وحكمه

والتبرُّك معناه: طلب البركة ورجاؤها واعتقادها في تلك الأشياء.

وحكمه أنه شرك أكبر، لأنه تعلُّق على غير الله سبحانه في حصول البركة، وعبَّاد الأوثان إنما كانوا يطلبون البركة منها، فالتبرُّك

بقبور الصالحين كالتبرُّك باللاَّت، والتبرُّك بالأشجار والأحجار كالتبرُّك بالعزَّى ومناة.

وعن أبـي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السَّنن، قلتم ــ والذي نفسي بيده ــ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم**»، رواه الترمذي وصحَّحه.

**٤ ــ السـحـر:**

وهو عبارة عما خفي ولطف سببه، سمي سحرًا لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار، وهو عبارة عن عزائم ورقى وكلام يتكلَّم به وأدوية وتدخينات، ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وتأثيره بإذن الله الكوني القدري، وهو عمل شيطاني.

تأثير السحر، لا يكون إلاَّ بإذن الله الكوني القدري

**(كيفية دخول السحر في الشرك)**

وكثير منه لا يُتوصل إليه إلاَّ بالشرك والتقرُّب إلى الأرواح الخبيثة بشيء مما تحب، والاستعانة بالتحيُّل على استخدامها بالإشراك بها، ولهذا يقرنه الشارع بالشرك، وهو داخل في الشرك من ناحيتين:

**الأولى**: ما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبونه ليقوموا بخدمته.

الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة/ ١٠٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلَّا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

### ٥ ــ الكهانة:

وهي ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب، هو استراق السمع، يسترق الجني الكلمة من كلام الملائكة، فيلقيها في أذن الكاهن، فيكذب معها مئة كذبة، فيصدِّقه الناس بسبب تلك الكلمة.

**من ادعىٰ مشاركة المخلوق للخالق في شيء من علم الغيب، أو صدَّق من يدَّعيه، فقد جعل لله شريكًا في ربوبيته**

والله هو المتفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها، أو صدَّق من يدَّعي ذلك، فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه، وهو مكذب لله ولرسوله.

وكثير من الكهانة المتعلِّقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرُّب إلى الوسائط التي يستعين بها على دعوى العلوم الغيبية.

**علة كون الكهانة شركًا**

فالكهانة شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختصَّ به، ومن جهة التقرُّب إلى غير الله.

وفي «صحيح مسلم» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرَّافًا، فسأله عن شيء، فصدَّقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»، رواه أبو داود.

## (وجوب التحذير من أمر الدجاجلة المفسدين لأديان الناس)

ومما يجب التنبيه عليه والتحذير منه: أمر السحرة والكهَّان والمشعوذين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فبعضهم يظهر للناس بمظهر الطبيب الذي يداوي المرض، وهو في الحقيقة مفسد للعقائد، بحيث يأمر المريض أن يذبح لغير الله، أو يكتب له الطلاسم الشركية والتعاويذ الشيطانية، والبعض الآخر منهم يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات وأماكن الأشياء المفقودة، بحيث يأتيه الجهال يسألونه عن الأشياء الضائعة، فيخبرهم عن أماكن وجودها، أو يحضرها لهم بواسطة الشياطين، والبعض الآخر منهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات، كدخول النار، وضرب نفسه بالسلاح، ومسك الحيات... وغير ذلك، وهو في الحقيقة دجَّال مشعوذ وولي للشيطان... وكل هذه الأصناف تريد الاحتيال والنصب لأكل أموال الناس وإفساد عقائدهم، فيجب على المسلمين أن يحذروهم ويبتعدوا عنهم، ويجب على ولاة الأمور استتابة هؤلاء، فإن تابوا، وإلَّا قتلوا لإراحة المسلمين من شرهم وفسادهم، وتنفيذًا لحكم الله فيهم.

ففي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»، وعن جندب مرفوعًا: «**حد الساحر ضربه بالسيف**»، رواه الترمذي.

٦ ـ التطيُّر:

وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص وغير ذلك، فإذا عزم شخص على أمر من أمور الدين أو الدنيا، فرأى أو سمع ما يكره، أثر فيه ذلك أحد أمرين: إما الرجوع عما كان عازمًا عليه تطيرًا وتأثرًا بما رأى أو سمع، فيعلِّقُ قَلْبَه بذلك المكروه، ويؤثر ذلك على إيمانه، ويخل بتوحيده وتوكله على الله، وإما أن لا يرجع عما عزم عليه، ولكن يبقى في قلبه أثر ذلك التطير من الحزن والألم والهمِّ والوساوس والضعف.

التطير يخل بالتوحيد، والتوكل على الله تعالى

فيجب على من وجد شيئًا من ذلك في نفسه: أن يجاهدها على دفعه، ويستعين بالله ويتوكل عليه ويمضي في شأنه، ويقول: اللهم لا يأتي بالحسنات إلاَّ أنت، ولا يدفع السيئات إلاَّ أنت، ولا حول ولا قوة إلاَّ بك.

علاج التطير

والتطير داء قديم، ذكره الله عن الأمم الكافرة، وأنهم كانوا يتطيَّرون بخير الخلق، وهم الأنبياء وأتباعهم المؤمنين. كما ذكر الله عن فرعون وقومه، أنهم إذا أصابتهم سيئة ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف/ ١٣١]، وكما ذكر الله عن قوم صالح أنهم قالوا له: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل/ ٤٧]، وكما ذكر الله عن أصحاب القرية أنهم قالوا لرسل الله: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [يس/ ١٨]، وكما ذكر الله عن

المشركين أنهم تطيَّروا بمحمد ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء/ ٧٨].

دين المشركين واحد

وهكذا دين المشركين واحد، حيث انتكست قلوبهم وعقولهم، فاعتقدوا الشر بمن هو مصدر الخير، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما ذلك إلَّا لتمكن الضلالة في نفوسهم، وانتكاس فطرهم، وإلَّا فالخير والشر كلاهما بقضاء الله وقدره، ويجريان حسب حكمته وعلمه تفضلاً، فالخير تفضل منه وجزاء على فعل الطاعة، والشر عدل منه وجزاء وعقوبة على فعل المعصية، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء/ ٧٩].

**(حكم التطيُّر)**

والتطير شرك، لكونه تعلُّق على غير الله، واعتقاد بحصول الضرر من مخلوق لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولكونه من إلقاء الشيطان ووسوسته، ولكونه يصدر عن القلب خوفًا وخشية، وهو ينافي التوكل.

وإليكم ما قاله الرسول ﷺ محذرًا من التطير: فقد روى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا عدوى، ولا طيَرة، ولا هامة، ولا صفر**». وقال ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»، متفق عليه، وعن ابن مسعود مرفوعًا: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك**».

وفي «صحيح مسلم» عن معاوية بن الحكم، أنه قال لرسول الله ﷺ: ومنا أناس يتطيَّرون؟ قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدَّنكم**»، فأخبر ﷺ أن تأذيه وتشاؤمه

بالطِّيَرة إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطيَّر به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده تأثرًا بما رآه أو سمعه.

التطير لا علاقة له بالقدر

فأوضح ﷺ لأمته وبيَّن لهم فساد الطيرة، ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها لهم دلالة، ولا نصبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى، التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، فقطع علق الشرك من قلوبهم، فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها قبل استكمالها.

قال عكرمة: «كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر».

سائر المخلوقات لا تجلب نفعًا، ولا تدفع شرًّا بذاتها

فبادره بالإنكار عليه، لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر، وكذلك سائر المخلوقات، لا تجلب خيرًا ولا تدفع شرًّا بذاتها.

### (الفرق بين الفأل والتطير)

وقوله ﷺ: «**ويعجبني الفأل**»، ثم بيَّنه ﷺ بأنه الكلمة الطيبة، وإنما أعجبه الفأل لأنه حسن ظن بالله، والعبد مأمور أن يحسن الظن بالله، والطيرة سوء الظن بالله عز وجل، وتوقع البلاء، ومن هنا جاء الفرق بينهما في الحكم، لأن الناس إذا أملوا الخير من الله، علَّقوا قلوبهم به، وتوكَّلوا عليه، وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله، كان ذلك من الشر والتعلُّق على غير الله.

الفأل من موجبات الفطرة الإنسانية

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم ﷺ أنه حبِّب إليه من الدنيا النساء والطيب، فكان يحب الحلواء والعسل، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه، ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم، وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما.

والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب لسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع، استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب، وإذا سمعت أضدادها، أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك وأثار خوفًا وطيرة وانكماشًا وانقباضًا عما قصدت وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا، ونقصًا في الإيمان، ومقارفة للشرك...». انتهى كلامه رحمه الله.

**(كفارة التطير)**

وفي الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**من ردَّته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك**»، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: **اللهم لا خير إلاَّ خيرك، ولا طير إلاَّ طيرك، ولا إله غيرك**»، فتضمَّن هذا الحديث الشريف أن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه، وأما من لم يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره، لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله.

إخلاص التوكل على الله، يذهب التطير بالكلية

هذا، ونسأل الله عز وجل أن يمنَّ علينا بالإيمان والتوكل عليه، ويجنبنا طريق الشر والشرك، إنه سميع مجيب.

### ٧ ـ التنجيم:

تعريف التنجيم وأنواعه

وهو كما عرَّفه بعض المحققين: بأنه الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، أو حدوث الأمراض أو الوفيات، أو السعود والنحوس، وهذا ما يسمى بعلم التأثير.

وهو على نوعين:

من ادعى: خالقًا غير الله، كفر بإجماع المسلمين

**النوع الأول**: أن يدَّعي المنجم أن الكواكب فاعلة مختارة، وأن الحوادث تجري بتأثيرها. وهذا كفر بإجماع المسلمين، لأنه اعتقاد أن هناك خالقًا غير الله، وأن أحدًا يتصرف في ملكه بغير مشيئته وتقديره سبحانه وتعالى.

**والنوع الثاني**: الاستدلال بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها على حدوث الحوادث، وهذا لا شك في تحريمه، لأنه من ادعاء علم الغيب وهو من السحر أيضًا، كما قال النبي ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»، رواه أبو داود، وإسناده صحيح، وصحَّحه النووي والذهبي، ورواه ابن ماجه وأحمد وغيرهما.

حكم السحر

والسحر محرَّم بالكتاب والسنة والإجماع، والإخبار عن الحوادث المستقبلية عن طريق الاستدلال بالنجوم من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فهو ادعاء لمشاركته سبحانه بعلمه الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادَّعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد، لما فيه من هذه الدعوى الباطلة.

تعريف علم النجوم المحرَّم

قال الخطابي: «علم النجوم المنهي عنه: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان (أوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار)، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات، وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر به الله، ولا يعلم الغيب سواه».

علة خلق النجوم

قال البخاري في «صحيحه»: «قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك، أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لاعلم له به. . . »، انتهى.

وأخرج الخطيب عنه، أنه قال: «وإن أناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذ وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلَّا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحدًا علم الغيب، لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلَّمه أسماء كل شيء. . . »، انتهى.

أقول: ومن الخرافات الباطلة ما يروِّجه الدجَّالون في بعض الصحف والمجلات من ذكر البخت والنحوس والسعود، ويعلِّقون ذلك بحسابات البروج والنجوم، ويصدق به بعض السذَّج.

شبهة وجوابها

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد»: «فإن قيل: المنجِّم قد يصدق، قيل: صدقه كصدق

الكاهن، يصدق في كلمة ويكذب في مئة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا، فيكون فتنة في حق من صدَّقه».

قال: «وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم، كقوله: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وعن رجاء بن حيوة، أن النبي ﷺ قال: «**إن مما أخاف على أمتي: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة**»، رواه ابن حميد.

**(المشروع والغير المشروع، من الاستدلال بعلم النجوم)**

وأما الاستدلال بالنجوم لمعرفة الاتجاه في الأسفار في البر والبحر، فهذا لا بأس به، وهو من نعمة الله عز وجل، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام/ ٩٧]، أي: لتعرفوا بها جهة قصدكم، وليس المراد أنه يهتدى بها في علم الغيب كما يعتقده المنجمون.

قال الخطابي: «وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة، فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة، الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به عنها، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقُبول خبرهم، إذ كانوا عندنا غير متَّهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم».

وقال ابن رجب: «والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير، فإنه ــ أي: علم التأثير ــ باطل محرم قليله وكثيره، وأما علم التسيير، فيتعلم ما يحتاج إليه من الاهتداء ومعرفة القبلة والطرق، وهو جائز عند الجمهور. . .»، انتهى.

وكذلك تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول ومعرفة الزوال.

قال الخطابي: «أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نهي عنه، وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا أكثر من أن الظل ما دام متناقصًا، فالشمس بعدُ صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة، فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصلح إدراكه بالمشاهدة، إلاَّ أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته. . .»، انتهى.

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلَّم الرجل منازل القمر.

**(ضرورة الحفاظ على العقيدة الصحيحة الصافية)**

وبعد، فإن عقيدة المسلم هي أعز شيء عنده، لأن بها نجاته وسعادته، فيجب عليه أن يحرص على تجنُّب ما يسيء إليها أو يمسها من الشركيات والخرافات والبدع، لتبقى صافية مضيئة، وذلك بالتزام الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح، ولا يتم ذلك إلاَّ بتعلم هذه العقيدة، ومعرفة ما يضادها من العقائد المنحرفة، لا سيما وأنه قد كثر اليوم في صفوف المسلمين من يحترف التدجيل

والشعوذة والتعلق بالقبور والأضرحة لطلب الحاجات وتفريج الكربات، كما كان عليه المشركون الأولون أو أشد، إضافة إلى اتخاذ السادة وأصحاب الطرق الصوفية أربابًا من دون الله، يشرعون لأتباعهم من الدين ما لم يأذن به الله، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

**٨ ــ الاستسقاء بالأنواء:**

وهو عبارة عن نسبة المطر إلى طلوع النجم أو غروبه على ما كانت الجاهلية تعتقده من أن طلوع النجم أو سقوطه في المغيب يؤثر في إنزال المطر، فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وهم يريدون بذلك النجم، ويعبرون عنه بالنوء، وهو طلوع النجم، من ناء ينوء: إذا نهض وطلع، فيقولون: إذا طلع النجم الفلاني، ينزل المطر.

المراد بالأنواء لدىٰ أهل الجاهلية

والمراد بالأنواء عندهم: منازل القمر الثمانية والعشرون، في كل ثلاث عشرة ليلة يغرب واحد منها عند طلوع الفجر ويطلع مقابله، وتنقضي جميعها عند انقضاء السنة القمرية، وتزعم العرب في جاهليتها أنه عند طلوع ذلك النجم في الفجر ومغيب مقابله ينزل المطر، ويسمى ذلك الاستسقاء بالأنواء، ومعنى ذلك نسبة السقيا إلى هذه الطوالع.

وهذا من اعتقاد الجاهلية الذي جاء الإسلام بإبطاله والنهي عنه، لأن نزول المطر وانحباسه يرجع إلى إرادة الله وتقديره وحكمته، وليس لطلوع النجوم تأثير فيه، قال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة/ ٧٥ ــ ٨٢].

فقولــه تعــالــى: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ ﴾ [الواقعة/ ٨٢]، معناه: نسبة المطر الذي هو الرزق النازل من الله إلى النجم، بأن يقال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا من أعظم الكذب والافتراء، كما روى الإمام أحمد والترمذي وحسَّنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في «المختارة» عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ ﴾ [الواقعة/ ٨٢]، **يقول: شكركم** ﴿ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ ﴾ [الواقعة/ ٨٢]، **تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا»**.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وهذا أولى ما فسِّرت به الآية، وروي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين»، انتهى.

كل مخالفة للشريعة فهي جاهلية

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»، والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل بعثة النبي ﷺ، وكل ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو جاهلية.

كل ما أضيف للجاهلية فهو مذموم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معنى الحديث: «أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذمًا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم، فهو مذموم في دين الإسلام، وإلاَّ، لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾ [الأحزاب/ ٣٣]، فإن ذلك ذمٌّ للتبرُّج وذم لحال الجاهلية الأولى،

وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة . . . »، انتهى.

وقوله في هذا الحديث: «والاستسقاء بالنجوم»: معناه نسبة المطر إلى النوء، وهو سقوط النجم بأن يقول: مطرنا بنجم كذا وكذا.

دوران الاستسقاء بالأنواء بين: الشرك الأكبر والأصغر

وحكم الاستسقاء بالأنواء أنه إن كان يعتقد أن له تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا شرك وكفر أكبر، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، وإن كان لا يعتقد للنجم تأثيرًا، وأن المؤثر هو الله وحده، ولكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، فهذا لا يصل إلى الشرك الأكبر، ويكون من الشرك الأصغر، لأنه يحرم نسبة المطر إلى النجم، ولو على سبيل المجاز، سدًّا للذريعة.

وقد روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد رضي الله عنه، قال: صلَّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

## (لا تجوز نسبة أفعال الله إلى غيره)

فقوله ﷺ: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»، وفسَّر المؤمن بأنه الذي ينسب المطر إلى فضل الله ورحمته، وفسَّر الكافر بأنه الذي ينسب المطر إلى الكوكب، وهذا فيه دليل على أنه لا تجوز نسبة أفعال الله إلى غيره، وأن ذلك كفر، فإن اعتقد أن للكواكب تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفر أكبر، لأنه إشراك في الربوبية،

اعتقاد تأثير الكواكب في إنزال المطر، كفر أكبر، وإشراك في الربوبية

من الشرك الأصغر: نسبة نعمة الله إلى غيره

والمشرك كافر؛ وإن لم يعتقد أن للكواكب تأثيرًا في إنزال المطر، وإنما نسبه إليها مجازًا، فهذا محرم وهو من الشرك الأصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره.

قال القرطبي رحمه الله: «وكانت العرب إذا طلع نجم من المشرق، وسقط آخر من المغرب، فحدث عند ذلك مطر أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب نسبة إيجاد واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث، فنهى الشارع عن إطلاق ذلك، لئلا يعتقد أحد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم...»، انتهى.

حرمة التشبه بأهل الجهالة

وقد روى مسلم في «صحيحه» في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ ...﴾ الآيات [الواقعة/ ٧٥ ــ ٨٢]، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة/ ٧٥] إلى قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة/ ٨٢].

أفعال الله سبحانه، لا دخل لمخلوق فيها

فإنزال المطر من الله، وبحوله وقوته، لا دخل لمخلوق فيه، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ۝٦٩﴾ [الواقعة/ ٦٨، ٦٩]، فمن نسب إنزال المطر إلى الكواكب، أو إلى الظواهر الطبيعية، كالانخفاض الجوي أو المناخ، فقد كذب وافترى، وهذا شرك أكبر، وإن كان يعتقد أن المنزل هو الله، ولكن نسبه إلى هذه الأشياء من باب المجاز، فهذا حرام وكفر أصغر، لأنه نسب النعمة إلى غير الله، كالذي يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا، وما أكثر التساهل في هذا الأمر على ألسنة

بعض الصحفيين أو الإعلاميين، فيجب على المسلم أن ينتبه لهذا، والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

### ٩ ـ نسبة النعم إلى غير الله:

سبق الكلام عن حكم نسبة المطر إلى الأنواء والاستسقاء بها، والكلام الآن في حكم نسبة النعم عمومًا إلى غير الله.

الاعتراف بفضل الله، والقيام بشكره، من صميم العقيدة

إن الاعتراف بفضل الله وإنعامه والقيام بشكره من صميم العقيدة، لأن من نسب النعمة إلى غير موليها، وهو الله سبحانه، فقد كفرها، وأشرك بالله بنسبتها إلى غيره.

قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل/ ٨٣].

قال بعض المفسرين: «يعرفون أن النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرن ذلك، فيزعمون أنهم ورثوها عن آبائهم، وبعضهم يقول: لولا فلان، لم يكن كذا وكذا، وبعضهم يقول: هذا بشفاعة آلهتنا».

وهكذا كل من ينسب النعمة إلى من يعظمه من الآباء والآلهة والأشخاص، متناسين مصدرها الصحيح، والمنعم بها على الحقيقة، وهو الله سبحانه.

### (ألفاظ ينبغي الاحتراز منها)

كما أن بعضهم ينسب نعمة السير في البحر والسلامة من خطره إلى الريح وحذق الملاح، فيقول: كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا.

ومثله اليوم ما يجري على ألسنة الكثير من نسبة حصول النعم واندفاع النقم إلى مجهود الحكومات، أو الأفراد، أو تقدم العلم

التجريبـي، فيقولون مثلاً: تقدم الطب تغلب على الأمراض أو قضى عليها، والمجهودات الفلانية تقضي على الفقر والجهل... وما أشبه ذلك من الألفاظ التي يجب على المسلم أن يبتعد عنها ويتحفظ منها غاية التحفُّظ، وأن ينسب النعم إلى الله وحده، ويشكره عليها، وما يجري على يد بعض المخلوقين أفرادًا أو جماعات من المجهودات إنما هي أسباب قد تثمر وقد لا تثمر، وهم يُشْكرون على قدر ما بذلوه، ولكن لا يجوز نسبة حصول النتائج إلاَّ إلى الله سبحانه.

نتائج الأسباب لا تجوز نسبتها إلاَّ إلى الله تعالى

وقد ذكر الله في كتابه الكريم عن أقوام أنكروا نعمة الله عليهم، ونسبوا ما حصلوا عليه من المال والنعمة إلى غير الله، إما إلى كونهم يستحقونها، أو إلى خبرتهم ومعرفتهم ومهارتهم.

قال تعالى عن الإنسان: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت/ ٥٠]، فقوله: ﴿هَٰذَا لِى﴾، أي: حصلت على هذا بعلمي، وأنا محقوق به، لا أنه تفضل من الله ونعمة، ليس بحول العبد ولا بقوته.

وقال تعالى عن قارون الذي آتاه الله الكنوز العظيمة فبغى على قومه، وقد وعظه الناصحون وأمروه بالاعتراف بنعمة الله والقيام بشكرها، فكابر عند ذلك وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ [القصص/ ٧٨]، أي: حصلت على هذه الكنوز بسبب حذقي ومعرفتي بوجوه المكاسب، لا أنها تفضُّل من الله تعالى، فكانت عاقبته من أسوأ العواقب، وعقوبته من أشد العقوبات، حيث

عاقبة جحود نعم الله أسوأ العواقب

خسف الله به وبداره الأرض لما جحد نعمة الله ونسبها إلى غيره، وأنه حصل عليها بحوله وقوته.

وما أحرى هؤلاء الذين اغتروا في زماننا بما توصلّوا إليه من مخترعات وقُدرات أقدرهم الله عليها امتحانًا لهم، فلم يشكروا نعمة الله، وصاروا يتشدَّقون ويتفاخرون بحولهم وقوتهم، وبغوا في الأرض بغير الحق، وتطاولوا على عباد الله، ما أحراهم بالعقوبة!

فقد اغترت قبلهم عاد بقوتها، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦) ﴾ [فصلت/ ١٥، ١٦].

وهاكم قصة قصَّها رسول الله ﷺ عن جماعة ممَّن كان قبلنا، ابتلاهم الله فأنعم عليهم، فمنهم من جحد نعمة الله ونسب ما حصل عليه من المال إلى وراثته عن آبائه، فسخط الله عليه، ومنهم من اعترف بفضل الله وشكر نعمة الله، فرضي الله عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص، وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا: فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل (أو: البقر شك إسحاق)، فأُعطي ناقه عشراء، وقال: بارك الله لك فيها**».

**قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر**

حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر (أو: الإبل)، فأعطي بقرة حاملًا. قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يردَّ الله إليَّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم».

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلَّغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا، فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل هذا، فقال: إن كنت كاذبًا، فصيَّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلَّغ بها في سفري؟ فقال: كنت أعمى، فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك»، رواه البخاري ومسلم.

وهذا حديث عظيم فيه معتبر، فإن الأوَّلَيْن جحدا نعمة الله، ولم ينسباها إليه، ومنعا حق الله في مالهما، فحلَّ عليهما سخط الله، وسلبت منهما النعمة، والآخر اعترف بنعمة الله، وأدَّى حق الله فيها، فاستحق الرضى من الله، ووفر الله ماله لقيامه بشكر النعمة.

كيفية شكر النعمة

قال ابن القيم: «أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المُنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها، لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمُنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر النعمة والمنعم عليه بها، فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقرَّ بها، ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرض به وعنه، لم يشكره أيضًا، ومن عرفها، وعرف المنعم بها، وأقرَّ بها، وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محبته وطاعته، فهذا هو الشاكر لها، فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له...»[1].



(١) الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد ص ٩٩ ـ ١١٧.

## المبحث السادس

# التحذير من ألفاظ لا ينبغي أن تقال في حق الله سبحانه

إن تعظيم الله من أجلِّ وسائل وغايات التوحيد، وضد ذلك من أخطر وسائل الشرك والتنديد، ولذلك ينبغي أن نراعي تجنب بعض الألفاظ التي لا يجوز أن تقال في حق الله، تعظيمًا لشأنه سبحانه:

**قال الشيخ صالح الفوزان يحفظه الله:**

«الله جلَّ وعلا عظيم، يجب أن يعظَّم، وهناك ألفاظ لا يجوز أن تقال في حقه سبحانه، تعظيمًا له، وقد ورد النهي عنها.

لا يجوز «السلام على الله» لأن السلامة تطلب منه لا له

ومن هذه الألفاظ: أنه لا يقال: «السلام على الله»، لأن السلام دعاء للمسلَّم عليه بطلب السلامة له من الشرور، والله سبحانه يُطلب منه ذلك، ولا يطلب له، ويُدعى ولا يُدعى له، لأنه الغني، له ما في السماوات والأرض، وهو السالم من كل عيب ونقص، ومانح السلامة ومعطيها، وهو السلام ومنه السلام.

وفي «الصحيح» عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده،

السلام على فلان وفلان. فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام**»، أي: إن الله سالم من كل نقص.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «السلام مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمَّن الإنشاء والإخبار، فجهة الإخبارية تناقض الجهة الإنشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية...».

إلى أن قال: «والمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى في طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى، وهو السلام الذي تطلب منه السلامة، فتضمن معنيين: أحدهما: ذكر الله... والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم».

الاستثناء في طلب الحاجات من الله لا يجوز، لأنه سبحانه لا مكره له، والتعليق على المشيئة في هذا يدل على الفتور في الطلب، وعدم افتقار العبد لمولاه

ومن الألفاظ التي لا تقال في حق الله تعالى: «اللهم اغفر لي إن شئت»، فطلب الحاجة من الله لا يعلَّق على المشيئة، وإنما يجزم به.

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**»، ولمسلم: «**وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**».

والنهي عن ذلك لأمرين:

**الأول**: أن الله سبحانه لا مُكره له على الفعل، وإنما هو يفعل ما يريد، بخلاف العبد، فإنه قد يفعل الشيء وهو كاره، ولكن يفعله لخوف أو رجاء من أحد، والله ليس كذلك.

**الثاني**: أن التعليق على المشيئة يدل على فتور في الطلب وقلة رغبة فيه، فإن حصل، وإلاَّ استغني عنه، وهذا يدل على عدم الافتقار إلى الله.

وفي رواية مسلم الأمر بتعظيم الطلب، لأن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، أي: لا يكبر عليه سبحانه ولا يعسره، وليس عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق، وذلك لكمال فضله وجوده وسعة غناه، فهو يعطي العظائم، ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

ومن الألفاظ التي لا تقال في حق الله تعالى الإقسام على الله إذا كان على جهة الحجر عليه أن لا يفعل الخير.

## (حرمة التألِّي على الله تعالى)

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك**»، رواه مسلم.

والتألِّي من الأليّة ــ بتشديد الياء ــ، وهي اليمين، ومعنى «يتألى»: يحلف، وقوله: «من ذا الذي»: استفهام إنكار.

عاقبة التألي

وهذا الرجل أساء الأدب مع الله، وحكم عليه، وقطع أنه لا يغفر لهذا المذنب، فكأنه حكم على الله سبحانه، وهذا من جهله بمقام الربوبية، واغتراره بنفسه وبعلمه، وإدلاله بذلك، فعومل بنقيض قصده، وغفر لهذا المذنب بسببه، وأحبط عمله بسبب هذه الكلمة السيئة التي قالها، مع أنه كان عابدًا.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته».

وجوب التأدب مع الله سبحانه

ففي الحديث: وجوب التأدب مع الله سبحانه في الأقوال والأفعال، وتحريم الإدلال على الله والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين، وتحريم الحلف على الله إذا كان على جهة الحجر عليه أن لا يفعل الخير بعباده.

أما إذا كان الحلف على الله على جهة حسن الظن به سبحانه، ورجاء الخير منهه، فهذا جائز، كما جاء في الحديث: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**».

خطورة زلَّات اللسان

وفي حديث جندب بيان خطر اللسان ووجوب التحفظ منه.

وعن معاذ رضي الله عنه قلت: يا رسول الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم** (أو قال: على مناخرهم) **إلاَّ حصائد ألسنتهم؟!**»، رواه الترمذي وصحَّحه.

**(وجوب دراسة العقيدة، ومعرفة ما يصحِّحها وما يخل بها)**

ومما سبق يتبيَّن أنه يجب التحفظ في الألفاظ، والابتعاد عن اللفظ الذي فيه سوء أدب مع الله سبحانه، لأن هذا يخل بالعقيدة، وينقص التوحيد، فلا يقال: السلام على الله، لأنه هو السلام سبحانه، ولأن السلام على أحد دعاء له بالسلامة، والله سبحانه يُدعى ولا يُدعى له، ولا يقال: اللهم اغفر لي وارحمني إن شئت... ونحو ذلك، بل كل دعاء يؤتى به على سبيل الجزم بلا تعليق بالمشيئة، لأن الله يفعل ما يشاء، ولا مكره له، وإنه لا يقسم على الله أن لا يرحم فلانًا أو يغفر لفلان، لأن هذا حظر ومنع لرحمة الله وسوء ظن بالله عز وجل، كما أنه لا يجوز أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان، وإنما يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، لأن العطف بالواو يقتضي المشاركة

ولا أحد يشارك الله سبحانه ويساويه في أمر من الأمور، وأما العطف بـ (ثم)، فإنه يقتضي الترتيب والتبعية، فتكون مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله سبحانه وحاصلة بعدها، وليست مشاركة لها.

وكل هذا مما يؤكد على المسلم وجوب دراسة العقيدة ومعرفة ما يصحِّحها وما يخل بها، حتى يكون على بيِّنة من أمره، وحتى لا يقع في المحذور وهو لا يشعر.

وفَّق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح[1].

* * *

(١) الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد ص ١٣٨ ــ ١٤١.

● فالمرء مكلَّف بمعرفة التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وأرسل جميع الرسل يدعون إليه، ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لا يغفر، ولا عذر لمكلف في الجهل بذلك، ولا يجوز فيه التقليد لأنه أصل الأصول.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين]

● إن التوحيد أفرض من الصلاة والصوم، ويغفر الله لمن أتى به يوم القيامة، ولا يغفر لمن جهله ولو كان عابدًا، والشرك بالله لا يغفره الله لمن فعله، وهو عند الله أعظم من: الزنا، وقتل النفس، مع أن صاحبه يريد به التقرُّب من الله.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]

● أجمع العلماء سلفًا وخلفًا، من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، والبراءة منه وممن فعله.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● اعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، صفة شركهم: أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام والصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم يقرون أن الله سبحانه: هو النافع، الضار، المدبِّر.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]

● مشركو هذا الزمان، فإنهم وإن نطقوا ـ أي: لا إلـه إلاَّ الله ـ بها وصلُّوا وزكُّوا، لا يفهمون منها ما فهمته العرب من أن معناها: خلع الأنداد،

وإفراد الله سبحانه بالعبادة وحده لا شريك له، بل يخالفون معناها، فيصرفون التأله لغير الله تعالى، ويعتقدون ذلك قربة إلى الله، فيصرفون خالص حق الله الذي دلت عليه هذه الكلمة لغيره تعالى، بل أكبَّهم الجهل إلى الشرك في الربوبية، فلا تنفعهم لا إلـه إلاَّ الله. مع ذلك وإن قالوها، لأن الشرك محبط للعمل.

[الشيخ محمد بن إبراهيم]

● وقد دخل كثير من هذه الأمة في الشرك بالله، والتعلق على ما سواه، ويسمون ذلك: توسُّلاً وتشفُّعًا. وتغيير الأسماء لا اعتبار به، ولا تزول حقيقة الشيء ولا حكمه بزوال اسمه، وانتقاله في عرف الناس باسم آخر.

فتغيير الأسماء لا يزيل الحقائق، وكذا من ارتكب شيئًا من الأمور الشركية، فهو مشرك، وإن سمَّى ذلك توسلاً وتشفعًا... وحكم الشيء تابع لحقيقته، لا لاسمه، ولا لاعتقاد فاعله.

من صرف لغير الله شيئًا من أنواع العبادة، فقد عبد ذلك الغير، واتخذه إلهًا، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرّ من تسمية فعله ذلك: تألهًا، وعبادة، وشركًا.

ومعلوم عند كل عاقل: أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها...

ومن المعلوم: أن الشرك إنما حرم لقبحه في نفسه، وكونه متضمنًا مسبة الرب وتنقصه وتشبيهه بالمخلوقين، فلا تزول هذه المفاسد بتغير اسمه كتسميته: توسُّلاً وتشفُّعًا وتعظيمًا للصالحين وتوقيرًا لهم، ونحو ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبىٰ.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين]

● مَن ذبح للشيطان، ودعاه، واستعان به، وتقرب إليه بما يحبه، فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة، ويسميه استخدامًا من الشيطان له.

[الإمام العلامة ابن القيم الجوزية]

● فأصل الشرك: هو تعظيم الصالحين بما لم يشرع، والغلو في ذلك.
[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين]

● وبالجملة: فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة.
[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● كل ما عُبد من دون الله من: قبر، أو مشهد، أو صنم، أو طاغوت، فالأصل في عبادته هو الغلو، كما لا يخفى على ذوي البصائر.
[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلـٰهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك، أو نحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلاَّ قتل.

فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب، ليعبد وحده ولا يجعل معه إلـٰه آخر.
[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرَّاني]

● فنحن: ننكر الغلو في أهل القبور، والإطراء، والتعظيم، ونهدم البنايات التي على قبور الأموات لما فيها من الغلو والتعظيم، الذي هو أعظم وسائل الشرك بالله.
[الشيخ محمد بن عبد اللطيف]

● إن ودًّا وسواعًا، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي «العلم» عُبدت.
[حبر الأمة وترجمان القرآن الصحابي
الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما]

● وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسَّوا بهم، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا اجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها.

[الإمام القرطبي]

● فإنهم تركوا بذلك دين الإسلام الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك، وكفروا بعبادة تلك الصور، واتخذوهم شفعاء، وهذا أول شرك حدث في الأرض.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● لقد بيَّن تعالى أن من دعا من دون الله شركاء، فليس معه علم، ليس معه إلاَّ الظن والخرص. والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق...

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم: غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني]

● فمن جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعًا.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]

● والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين الله تعالى وخلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية، فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عبَّاد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائط يتقرَّبون بها إلى الله تعالى، وهو الشرك الذي أنكره الله على النصارى.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرَّاني]

● فكل من دعا نبيًا، أو وليًّا من دون الله، فقد اتخذه إلـٰهًا، وضاهأ النصارى في شركهم، وضاهأ اليهود في تفريطهم.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● والله هو المتفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها، أو صدَّق من يدَّعي ذلك، فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه، وهو مكذب لله ولرسوله.

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك، والتقرب إلى الوسائط التي يستعين بها صاحبها على دعوى العلوم الغيبية..

فالكهانة شرك، من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله. والسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، والإخبار عن الحوادث المستقبلية، عن طريق الاستدلال بالنجوم، من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فهو ادعاء لمشاركته سبحانه بعلمه الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهو ينافي التوحيد، لما فيه من هذه الدعوى الباطلة.

[الشيخ صالح الفوزان]

● خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأوَّل فيها غير ذلك، أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به.

[الإمام قتادة]

● من اعتقد: أن للكواكب تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا كفر أكبر، لأنه إشراك في الربوبية، والمشرك كافر وإن لم يعتقد أن للكواكب تأثيرًا من إنزال المطر، وإنما نسبه إليه مجازًا، فهذا محرم، وهو من الشرك الأصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره... والتطيُّر: شرك لكونه تعلق على غير الله،

واعتقاد بحصول الضرر من مخلوق لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولكونه من إلقاء الشيطان ووسوسته، ولكونه يصدر عن القلب خوفًا وخشية، وهو ينافي التوكل. . .

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها قبل استكمالها. . .

إن الاعتراف بفضل الله وإنعامه، والقيام بشكره، من صميم العقيدة، لأن من نسب النعمة إلى غير موليِّها، وهو الله سبحانه، فقد كفرها، وأشرك بالله بنسبتها إلى غيره. . .

لا ينبغي أن يقال: «السلام على الله»، لأن السلام دعاء للمسلَّم عليه بطلب السلامة له من الشرور، والله سبحانه يطلب منه ذلك، ولا يطلب له، ويدعى ولا يدعى له. . .

فإن عقيدة المسلم هي أعز شيء عنده، لأن بها نجاته وسعادته، فيجب عليه أن يحرص على تجنب ما يسيء إليها، أو يمسها من الشركيات والخرافات والبدع، لتبقى صافيه مضيئة، وذلك بالتزام الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح، ولا يتم ذلك إلاَّ بتعلم هذه العقيدة، ومعرفة ما يضادها من العقائد المنحرفة.

[الشيخ صالح الفوزان]



## الفصل الثالث

# الفتنة بالقبور والمفاسد المترتبة عليها مع الرد على أشهر شبهات أهلها

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : تعظيم القبور من أعظم أسباب الشرك، وعبادة الأوثان.

المبحث الثاني : لا يجوز تخصيص القبور بنوع من عبادة الله سبحانه، فكيف بعبادتها وعبادة أصحابها.

المبحث الثالث : حرمة اتخاذ القبور مساجد ووجوب هدمها، معلوم بالاضطرار من الدين.

المبحث الرابع : المفاسد المترتبة على الفتنة بالقبور.

المبحث الخامس : أشهر شبهات أهل القبور، والرد الباهر عليها.

## المبحث الأول

# تعظيم القبور من أعظم أسباب الشرك، وعبادة الأوثان

**قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:**

«وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته، حتى قال رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**». ونهى عن الحلف بغير الله وقال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، وقال في مرض موته: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذر ما فعلوا، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**».

لا يجوز بناء المساجد على القبور، ولا الصلاة عندها باتفاق أئمة الإسلام

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور.

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلَّم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق.

التوحيد: هو أصل الدين ورأسه

كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلاَّ به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء/ ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء/ ٤٨].

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلـه إلاَّ الله دخل الجنة**» والإلـه: هو الذي يؤلهه القلب عبادة واستعانة ورجاء له وخشية وإجلالاً. انتهى كلامه»[1].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى في شرحه على كتاب التوحيد:**

قوله: «اللَّـهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»، قد استجاب الله دعاءه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان

إذا عُبد قبر النبي ﷺ، لصار وثنًا، فكيف الأمر بقبور غيره!!

ودل الحديث على أن قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثنًا، ولكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه.

---

(١) عقيدة الموحدين، الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ص ٢٣٠.

ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها. وقد عظمت الفتنة بالقبور لتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة، إذا غيرت قيل: غيرت السنَّة. انتهى»[1].



(١) فتح المجيد ص ٢٣٩.

## المبحث الثاني

# لا يجوز تخصيص القبور بنوع من عبادة الله سبحانه، فكيف بعبادتها، وعبادة أصحابها!!!

**قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمهما الله تعالى في شرحه على كتاب التوحيد:**

**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!**

عباد القبور، يحسبون أنهم يحسنون صنعًا

أي: عبد القبر أو الرجل الصالح، ولما كان عباد القبور إنما دهوا من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ الآية [فاطر/ ٨].

نوَّع المصنف التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه في أبواب مختلفة، ليكون أوقع في القلب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب، فإذا كان قصد قبور الصالحين لعبادة الله عندها فيه من النهي والوعيد ما سيمر بك إن شاء الله، فكيف بعبادة أربابها من دون الله واعتيادها لذلك في اليوم والأسبوع والشهر مرات كثيرة.

قال: في «الصحيح» عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»**.

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل.

قوله: في «الصحيح»، أي: في «الصحيحين».

قوله: أن أم سلمة. هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية؛ تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، ماتت سنة اثنتين وستين.

قوله: ذكرت لرسول الله ﷺ. كان ذكر أم سلمة هذه الكنيسة للنبي ﷺ في مرض موته كما جاء مبينًا في رواية في «الصحيح» وفي «الصحيحين» أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ.

قوله: كنيسة. وفي رواية يقال: لها مارية، وهي بفتح الكاف وكسر النون: معبد النصارى.

قوله: أولئك. بفتح الكاف وكسرها.

قوله: إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح. هذا والله أعلم شك في بعض رواة الحديث. هل قال النبي ﷺ هذا أو هذا، ففيه التحري في الرواية، وجواز رواية الحديث بالمعنى.

قوله: بنوا على قبره مسجدًا، أي: موضعًا للعبادة، وإن لم يسم مسجدًا كالكنائس والمشاهد.

قوله: وصوروا فيه تلك الصور. الإشارة بتلك الصور إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التي في الكنيسة، كما في بعض ألفاظ الحديث فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها.

**(تحريم بناء المساجد على القبور، وعلة ذلك المنع)**

قوله: أولئك شرار الخلق عند الله. مقتضى هذا التحريم ما ذكر، لا سيما وقد ثبت اللعن عليه.

قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجَّهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانًا، لعنهم النبي ﷺ، ومنع المسلمين عن مثل ذلك.

قال القرطبي: وإنما صوَّر أوائلهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك سدًّا للذريعة المؤدية إلى ذلك.

قوله: فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين... إلى آخره. هذا من كلام شيخ الإسلام ذكره المصنف عنه. يعني أن الذين بنوا هذه الكنيسة جمعوا فيها بين فتنتين، ضل بها كثير من الخلق.

**الأولى**: فتنة القبور، لأنهم افتتنوا بقبور الصالحين، وعظموها تعظيمًا مبتدعًا، فآل بهم إلى الشرك، وهي أعظم الفتنتين، بل هي مبدأ الفتنة.

**الثانية**: وهي فتنة التماثيل، أي: الصور، فإنهم لما افتتنوا بقبور الصالحين وعظموها، وبنوا عليها المساجد، وصوَّروا فيها الصور للقصد الذي ذكره القرطبي، فآل الأمر إلى أن عبدت الصور ومن هي صورته من دون الله، وهاتان الفتنتان هما سبب عبادة الصالحين كاللاَّت وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وغيرهم من الصالحين.

## (الفتنة بالقبور من أخطر الذرائع المؤدية للوقوع في الشرك الأكبر، وتلك هي علة المنع من اتخاذها مساجد)

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وهذه العلة هي التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور، وهي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت تماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم لكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد.

الوسائل لها حكم المقاصد والغايات

كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها، لأنها أوقات يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذٍ وإن لم يقصد ما قصده المشركون سدًّا للذريعة.

قال: وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادَّة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله.

أجمع المسلمون: على حرمة الصلاة عند القبور

فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد.

لعن الذين يتخذون القبور مساجد، متواتر في الشريعة

فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه. وقد صرَّح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنَّة الصحيحة الصريحة.

وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة. والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم إحسانًا للظن بالعلماء، وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه.

قال: ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه.

هكذا ثبت في أول هذا الحديث «ولهما» في آخره: «أخرجاه» بخط المصنف، وأحد اللفظين يغني عن الآخر، لأن المراد صاحبا «الصحيحين».

قوله: لما نزل. هو بضم النون وكسر الزاي، أي: نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عليهم السلام.

قوله: طفق بكسر الفاء وفتحها والكسر أفصح، وبه جاء القرآن ومعناه: جعل.

قوله: خميصة بفتح المعجمة كساء له أعلام.

قوله: فإذا اغتم بها كشفها، أي: إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه.

قوله: لعن الله اليهود والنصارى... إلى آخره. لعنهم ﷺ على هذا الفعل بعينه وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، أي: كنائس وبِيَع يتعبَّدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسمُّوه مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم. ومثل ذلك القباب والمشاهد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، فإنها هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم وإن لم يسمها من بناها مساجد.

الاعتبار في الأحكام: بالمعاني، لا الأسماء

وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزًا لهم عن غيرهم، فإذا كان ﷺ لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء، فكيف بمن بناها على قبور غيرهم؟!

الرد على من أجاز البناء على القبور

قوله: يحذر ما صنعوا. الظاهر أن هذا من كلام عائشة رضي الله عنها، أي: أن الرسول ﷺ لعن اليهود والنصارى على ذلك تحذيرًا لأمته أن تصنع ما صنعوا.

قال القرطبي: وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام.

قوله: ولولا ذاك. أي لولا تحذير النبي ﷺ ما صنعوا ولعن من فعل ذلك.

قوله: لأبرز قبره، أي: لدفن خارج بيته، ومنه الحديث: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزًا للناس. أي: جالسًا خارج بيته.

قوله: غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. روي بفتح الخاء وضمها بالبناء للفاعل والمفعول، قالوا: فأما رواية الفتح، فإنها تقتضي أن النبي ﷺ هو الذي أمرهم بذلك، وأما رواية الضم، فيحتمل أن تكون عائشة هي التي خشيت كما في لفظ آخر، غير أني أخشى. أو هي ومن معها من الصحابة. قلت: وهذا أظهر ورواية: غير أني أخشى، لا تخالفه.

كيف صان المسلمون قبر نبيهم ﷺ من اتخاذه قبلة، أو عيدًا

قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسدُّوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرَّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يمكن أحد من استقبال قبره.

قلت: وفي الحديثين مسائل نبَّه المصنف على بعضها.

منها: ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحَّت نية الفاعل.

ومنها: النهي عن التماثيل بتغليظ الأمر.

ومنها: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

ومنها: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

ومنها: لعنه إياهم على ذلك.

ومنها: مراده بذلك تحذيره إيانا عن قبره.

ومنها: العلة في عدم إبراز قبره.

ومنها: ما يلي به ﷺ من شدة النزع.

قلت: ومنها التنبيه على علة تحريم ذلك، وعلة لعن من فعله.

استمر النبي ﷺ في الدعوة إلى حرمة بناء المساجد على القبور حتى موته ﷺ

قال: ولمسلم: عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، أني أنهاكم عن ذلك**».

فقد نهى عنه وهو في آخر حياته، ثم إنه لعن ــ وهو في السياق ــ من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجدًا، وهو معنى قوله: أخشى أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا. وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلي فيه يسمَّى مسجدًا كما قال ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» »[1].



(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢١٥ ــ ٢٢٠.

## المبحث الثالث

# حرمة اتخاذ القبور مساجد، ووجوب هدمها معلوم بالاضطرار من الدين

حرمة اتخاذ القبور مساجد معلومة من الدين بالضرورة، وذلك لئلا تقع الأمة في الشرك، وتلك هل علة المنع، وليست مظنة النجاسة، ومن ثمّ لُعن كل من أعان على تعظيمها خشية أن تقع الأمة في المحذور من حرمتها.

**قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه لكتاب التوحيد:**

قوله: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، إلى آخر الحديث. قال الخلخالي: وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين:

**أحدهما**: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لهم.

**والثاني**: أنهم يجوِّزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم، والتوجه إليه حالة الصلاة نظرًا منهم بذلك إلى عبادة الله، والمبالغة في تعظيم الأنبياء، والأول: هو الشرك الجلي، والثاني: الخفي، فلذلك استحقوا اللعن.

قلت: الحديث أعم من ذلك، فيشمله ويشمل بناء المساجد والقباب عليها.

قوله: فقد نهى عنه في آخر حياته، أي: كما في حديث جندب.

قوله: ثم أنه لعن ــ وهو في السياق ــ من فعله، أي: كما في حديث عائشة.

لا تجوز الصلاة في المقبرة، ولا إليها

قوله: والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجدًا، يعني: أن الصلاة عند القبور وإليها من اتخاذها مساجد الملعون من فعله، وإن لم يبن مسجدًا، فتحرم الصلاة في المقبرة وإلى القبور، بل لا تنعقد أصلاً لما في هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها، من لعن من اتخذها مساجد.

وروى مسلم عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلُّوا إليها**».

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**الأرض كلها مسجد إلاَّ المقبرة والحمام**» رواه أحمد وأهل السنن، وصحَّحه ابن حبان والحاكم من طرق على شرط الشيخين. وفي «صحيح البخاري» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: القبر القبر.

وهذا الحكم، مستقر عند الصحابة

وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة ما نهاهم عنه نبيهم ﷺ من الصلاة عند القبور، وفعل أنس لا يدل على اعتقاد جوازهِ، فإنه لعله لم يره، ولم يعلم أنه قبر أو ذهل عنه، فلما نبَّهه عمر تنبَّه.

الرد على من علل حرمة اتخاذ القبور مساجد، بمظنة النجاسة

وفي هذا كله إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ، بل العلة في ذلك الخوف على الأمة أن يقعوا فيما وقعت فيه اليهود

والنصارى، وعبَّاد اللاَّت والعزَّى من الشرك، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم قطعًا أن هذا ليس لأجل النجاسة، لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، فإن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادهم، فهم في قبورهم طريون.

وقد لعن النبي ﷺ متَّخذي المساجد عليها وموقدي السرج عليها، ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما هو لعن فاعله، لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعلها نصبًا يوفض إليها المشركون كما هو الواقع، فهكذا اتخاذ المساجد عليها.

قال ابن القيم: وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده جزم جزمًا لا يحتمل النقيض، أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته: صيغة «لا تفعلوا» وصيغة «إني أنهاكم» ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقلَّ نصيبه، أو عدم من تحقيق لا إلـه إلاَّ الله، فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه، فأبى المشركون إلاَّ معصية لأمره وارتكابًا لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا التعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيمًا، وأشد فيهم غلوًا كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد.

كيف صان النبي ﷺ التوحيد من نجاسة الشرك

الفتنة بالقبور: باب الشيطان العظيم للدخول منه دومًا على أوليائه المشركين

ولعمر الله من هذا الباب بعينه دخل على عبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ودخل على عبَّاد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة. فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، وهدى الله أهل

التوحيد لسلوك طريقهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية، وسلب خصائص الإلـٰهية.

بعض الأئمة الذين عللوا الحرمة بخوف الفتنة من الشرك

قلت: وممن علَّل بخوف الفتنة والشرك: الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام، وغيرهم، وهو الحق.

قوله: فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، أي: لما علموا من تشديده في ذلك وتغليظه، ولعن من فعله، فكيف يتخذون على قبره مسجدًا؟ وإنما خشوا أن يعتاده بعض الجهَّال للصلاة عنده، من غير شعور من الصحابة بذلك، فلذلك دفنوه في بيته.

قوله: وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، أي: وإن لم يبن مسجدًا.

قوله: بل كل موضع يُصلَّى فيه يسمَّى مسجدًا، الظاهر أن الأول في الأمكنة المعدة للصلاة، وإن لم يبن فيها مسجدًا، وهذا في أي موضع صلَّى فيه، وإن لم يعد لذلك، كالمواضع التي يصلي فيها المسافر ونحو ذلك. فعلى هذا إذا صلَّى عند القبور ولو مرة واحدة وإن لم يكن هناك مسجد، فقد اتخذها مساجد.

قوله: كما قال ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»، أي: فسمَّى الأرض: مسجدًا، وليست مسجدًا مبنيًا، لكن لما كانت يسجد فيها سمِّيت مسجدًا، فدل هذا الحديث أن من صلَّى عند القبور أو إليها فقد اتخذها مساجد. وهذا الحديث طرف من حديث صحيح متفق عليه عن جابر.

قال البغوي في «شرح السنَّة»: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلاَّ في بيعهم، وكنائسهم، وأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفًا عليهم وتيسيرًا، ثم خصَّ من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس.

مبالغة النبي ﷺ في التحذير من بناء المساجد على القبور

وقوله: طهورًا. أراد به التيمم. وفي حديث جندب من الفوائد أيضًا، العبرة في مبالغته ﷺ في النهي عن بناء المساجد على القبور، كيف بيَّن لهم ذلك أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في النزع لم يكتف بما تقدم، بل لعن من فعل ذلك.

هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة على تحريم البناء على القبور مطلقًا، فلذلك اكتفى المصنف بإيرادها عن غيرها، كحديث جابر أن النبي ﷺ: (**نهى أن يجصَّص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه**). رواه مسلم وغيره وزاد أبو داود والحاكم: (**وأن يكتب عليه**).

**(من شرار الخلق: الذين يتخذون القبور مساجد)**

قال: ولأحمد بسند جيد، عن ابن مسعود مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»، رواه أبو حاتم في «صحيحه».

قوله: إن من شرار الناس. هو بكسر الشين جمع شر.

قوله: من تدركهم الساعة وهم أحياء. أي: من تقوم عليهم الساعة بحيث ينفخ في الصور وهم أحياء، وهذا كحديثه الآخر الذي في مسلم: «**لا تقوم الساعة إلاَّ على شرار الخلق**».

فإن قلت: ما الجمع بين هذا وبين حديث ثوبان: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق**» وما في معناه.

قيل: حديث ثوبان مستغرق للأزمنة، عام فيها، وهذا مخصص وسيأتي زيادة لذلك عند الكلام على حديث ثوبان إن شاء الله تعالى.

حرمة اتخاذ القبور مساجد معلومة من الدين بالضرورة

قوله: والذين يتخذون القبور مساجد. «الذين» في محل نصب معلقًا على «من» الموصولة، أي: إن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها. وهذا المعنى متواتر عن النبي ﷺ، معلوم بالاضطرار من دينه. وكل ذلك شفقة على الأمة وخوفًا عليهم أن يقودهم ذلك إلى الشرك بها وبأصحابها، كما قاد إلى ذلك اليهود والنصارى.

تأويل أهل القبور لهذه الأحاديث، آل بهم إلى التردي به فأصبحوا من الخاسرين

فأبى عبّاد القبور إلاَّ الضرب بهذه الأحاديث الجدار ونبذها وراء الظهر، أو الدفع في صدورها وأعجازها، بحمل ذلك على غير قبور الأنبياء والصالحين.

أما قبورهم فتجوز الصلاة إليها وعندها، وبناء المساجد والقباب عليها، رجاء أن تصل إليهم العواطف الروحانية. ولا ريب أن هذا مراغمة ومحادَّة لله ورسوله، وهذا هو قول اليهود: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة/ ٩٣]، فإن النبي ﷺ إنما لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد كما هو نص حديث عائشة رضي الله عنها وغيره، وقبور غيرهم إنما أخذ النهي عن البناء عليها من هذه الأحاديث ونحوها بقياس الأولى، أو من عموم أحاديث أخر، فمن

من أعظم المحادّاة لله ولرسوله ﷺ، أن تحمل نصوص الله ورسوله على غير ما وردت فيه

أعظم المراغمة والمناصبة والمحادَّة لله ورسوله، أن تحمل على غير ما وردت فيه، ويباح ما وردت بالنهي عنه، ولعن من فعله، ولكن هذا شأن عبّاد القبور ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠].

## (أجمع العلماء على حرمة الأبنية على القبور، ووجوب هدمها)

وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه، لهذه الأحاديث الصحيحية الصريحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبلة، أو مملوكة، إلاَّ أنه في المملوكة أشد. ولا عبرة بمن شذَّ من المتأخرين فأباح ذلك، إما مطلقًا، وإما في المملوكة.

قال الإمام أبو محمد بن قدامة: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا. ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسّح بها والصلاة عندها.

تعظيم الأموات: بداية تعظيم الأصنام

وقال شيخ الإسلام: أما بناء المساجد على القبور، فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث الصحيحة، وصرَّح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه، قال: ولا ريب في القطع بتحريمه، ثم ذكر الأحاديث في ذلك. . . إلى أن قال: فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين،

لا ريب في القطع بحرمة بناء المساجد على القبور

أو الملوك وغيرهم، تتعين إزالتها بهدم أو بغيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين.

يجب هدم القباب المبنية على القبور

وقال ابن القيم: يجب هدم القباب التي على القبور، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ. وقال أبو حفص: تحرم الحجرة بل تهدم. فإذا كان هذا كلامه في الحجرة فكيف بالقبة.

وقال الشافعي: أكره أن يعظم مخلوق، حتى يجعل قبره مسجدًا مخافة الفتنة عليه، وعلى من بعده من الناس. وقال أيضًا: تسطَّح القبور ولا تبنى ولا ترفع، وتكون على وجه الأرض. وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية، منهم: ابن الجميزي، والظهير الترميني، وغيرهما.

لا يجوز تجصيص القبور

وقال القاضي ابن كج: ولا يجوز أن تجصَّص[1] القبور، ولا أن يبنى عليها قباب ولا غير قباب، والوصية بها باطلة. وقال الأذرعي: وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية العظيمة، وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه.

قلت: وجزم النووي في «شرح المهذب» بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في «شرح مسلم» نحوه أيضًا. وقال القرطبي في حديث جابر: نهى أن يجصَّص القبر أو يبنى عليه، وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجص على القبور وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه.

---

(١) تجصيص القبور: طلاؤها بالجَص، والجَص بالفتح ويمكن كسره عند بعض اللغويين، وهو نوع من الحجارة يبنى به، ويطلى كذلك، قاله عبد السلام بن محمد بن عمر في: الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير ص ٧٩، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

وجه علة المنع

ووجه النهي عن البناء والتجصيص في القبور أن ذلك مباهاة، واستعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبُّه بمن كان يعبد القبور ويعظمها، وباعتبار هذه المعاني وبظاهر هذا النص ينبغي أن يقال: هو حرام كما قال به بعض أهل العلم.

وقال ابن مرشد: كره مالك البناء على القبر، وجعل البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول، أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه. وقال الزيلعي في «شرح الكنز»: ويكره أن يبنى على القبر. وفي «الخلاصة» ولا يجصَّص القبر ولا يطيَّن، ولا يرفع عليه بناء.

وذكر أيضًا قاضي خان أنه لا يجصص القبر، ولا يبنى عليه، لما روي عن عن النبي ﷺ أنه نهى عن التجصيص وعن البناء فوق القبر، والمراد بالكراهة عند الحنفية كراهة التحريم التي هي في مقابلة ترك الواجب. وقد ذكر ذلك ابن نجيم في «شرح الكنز». ومثل هذا كثير في كلام العلماء أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، والمقصود أن كلام العلماء موافق لما دلت عليه السنَّة الصحيحة في النهي عن البناء على القبور.

المراد بالكراهة: عند الحنفية

## (المفاسد المترتبة على بناءات القبور)

واعلم أنه قد وقع بسبب البناء على القبور من المفاسد التي لا يحيط بها على التفصيل إلاَّ الله، ما يغضب من أجله كل من في قلبه رائحة إيمان، كما نبَّه عليه ابن القيم وغيره.

**فمنها**: اعتيادها للصلاة عندها، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

ومنها: تحري الدعاء عندها. ويقولون: من دعا الله عند قبر فلان استجاب له، وقبر فلان الترياق المجرَّب، وهذا بدعة منكرة.

قبور الصالحين، ليست لها خصوصيات، في دفع البلاء وجلب النعماء. دليل مفحم مهم.

ومنها: ظنهم أن لها خصوصيات بأنفسها في دفع البلاء وجلب النعماء، ويقولون: إن البلاء يدفع عن أهل البلدان بقبور من فيها من الصالحين، ولا ريب أن هذا مخالف للكتاب والسنَّة والإجماع. فالبيت المقدس كان عنده من قبور الأنبياء والصالحين ما شاء الله، فلما عصوا الرسول وخالفوا ما أمرهم الله به، سلَّط الله عليهم من انتقم منهم. وكذلك أهل المدينة لما تغيروا بعض التغير، جرى عليهم عام الحرَّة من النهب والقتل وغير ذلك من المصائب ما لم يجر عليهم قبل ذلك. وهذا أكثر من أن يحصر.

ومنها: الدخول في لعنة رسول الله ﷺ، باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج عليها.

ومنها: أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد، وخراب المساجد كما هو الواقع، ودين الله بضد ذلك.

ومنها: اجتماعهم لزيارتها واختلاط النساء بالرجال، وما يقع في ضمن ذلك من الفواحش وترك الصلوات، ويزعمون أن صاحب التربة تحمَّلها عنهم، بل اشتهر أن البغايا يسقطن أجرتهن على البغاء في أيام زيارة المشايخ، كالبدوي وغيره تقرّبًا إلى الله بذلك، فهل بعد هذا في الكفر غاية.

ومنها: كسوتها بالثياب النفيسة المنسوجة بالحرير والذهب والفضة ونحو ذلك.

ومنها: جعل الخزائن والأموال ووقف الوقوف لما يحتاج إليه من ترميمها ونحو ذلك.

سدنة القبور، هم أصل كل بلية وكفر

**ومنها**: إهداء الأموال ونذر النذور لسدنتها العاكفين عليها الذين هم أصل كل بلية وكفر، فإنهم الذين يكذبون على الجهال والطغام بأن فلانًا دعا صاحب التربة فأجابه، واستغاثه فأغاثه، ومرادهم بذلك تكثير النذر والهدايا لهم.

**ومنها**: جعل السدنة لها كسدنة عباد الأصنام.

**ومنها**: الإقسام على الله في الدعاء بالمدفون فيها.

**ومنها**: أن كثيرًا من الزوَّار إذا رأى البناء الذي على قبر صاحب التربة سجد له.

السجود لصاحب القبر، كفر بالكتاب والسنَّة وإجماع الأمة

ولا ريب أن هذا كفر بنص الكتاب والسنَّة وإجماع الأمة، بل هذا هو عبادة الأوثان، لأن السجود للقبة عبادة لها، وهو من جنس عبادة النصارى للصور التي في كنائسهم على صور من يعبدونه بزعمهم الباطل، فإنهم عبدوها ومن هي صورته، وكذلك عباد القبور لما بنوا القباب على القبور آل بهم إلى أن عُبدت القباب ومن بنيت عليه من دون الله عزَّ وجلّ.

**ومنها**: النذر للمدفون فيها، وفرض نصيب من المال والولد، وهذا هو الذي قال الله فيه: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ [الأنعام/ ١٣٦]، بل هذا أبلغ فإن المشركين ما كانوا يبيعون أولادهم لأوثانهم.

شرك المتأخرين، أعظم من شرك الأولين

**ومنها**: أن المدفون فيها أعظم في قلوب عباد القبور من الله وأخوف، ولهذا لو طلبت من أحدهم اليمين بالله تعالى أعطاك ما شئت من الإيمان كاذبًا أو صادقًا، وإذا طلبت بصاحب التربة لم يقدم إن كان كاذبًا.

ولا ريب أن عباد الأوثان ما بلغ شركهم إلى هذا الحد، بل كانوا إذا أرادوا تغليظ اليمين، غلَّظوها بالله كما في قصة القسامة[1] وغيرها.

---

(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنَّ أوَّلَ قَسَامةٍ كانت في الجاهلية لَفِينا بني هاشم: كان رجلٌ من بني هاشم استأجره رجُلٌ من قريش من فخذ أخرى فانطلق معهُ في إبله، فمرَّ به رجُلٌ من بني هاشم قد انقَطَعتْ عُروة جُوالقِهِ فقال: : أغثْني بعقالٍ أشُدُّ به عُروةَ جُوالقي لا تَنفرِ الإبلُ فأعطاه عِقالاً فشدَّ به عروةَ جُوالقِهِ. فلما نزَلوا عُقِلَتِ الإبُل إلاَّ بعيرًا واحدًا، فقال الذي استأجرهُ: ما شأن هذا البعير لم يُعقَلْ من بين الإبل؟ قال: ليس له عقال. قال: فأين عِقالُه؟ قال فحذَفَهُ بعصًا كان فيها أجله. فمرَّ به رجلٌ من أهل اليمن، فقال: أتشهدُ الموسم؟ قال: ما أشهدُ وربَّما شهِدتُه. قال: هل أنت مُبْلِغٌ عني رسالةً مرةً منَ الدهر؟ قال: نعم. قال فكتب. إذا أنتَ شهدتَ الموسم فنادِ يا آل قريش، فإذا أجابوك فنادِ يا آل بني هاشم، فإن أجابوك فاسأل عن أبـي طالب فأخبرْه أنَّ فلانًا قَتَلني في عقال. ومات المستأجر. فلما قدِمَ الذي استأجَرَه أتاهُ أبو طالب فقال: ما فعلَ صاحبُنا؟ قال: مرضَ فأحسنت القيامَ عليه، فوَليت دفْنَه. قال: قد كان أهلَ ذاك منك. فمكثَ حِينًا ثمَّ إن الرجُـلَ الذي أوصـى إليـهِ أن يُبلـغَ عنه وافـى الموسمَ فقال: يا آل قريش، قالوا: هذهِ قريش. قال يا بني هاشم، قالوا: هذهِ بنو هاشم. قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب. قال أمرَني فلان أن أبلِغَك رسالةً أنَّ فلانًا قتله في عقال. فأتاه أبو طالب فقال له: اخترَ منَّا إحدى ثلاث: إن شئت أن تؤدِّي مائةً من الإبل فإنكَ قَتلتَ صاحبَنا، وإن شئتَ حلف خمسون من قومِك إنك لم تقتُله، وإن أبيت قتلناك به. فأتى قومهُ فقالوا نحلِفُ. فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجلٍ منه قد وَلدَت له فقالت: يا أبا طالبٍ أحبُّ أن تُجيزَ ابني هذا برجُل من الخمسين ولا تُصبِرْ يمينَهُ حيثُ تُصبَرُ الأيمان، ففعل. فأتاه رجلٌ منهم فقال: يا أبا طالب أردتَ خمسين رجلاً أن يَحلِفوا مكان مائةٍ من الإبل، =

**ومنها**: سؤال الميت قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والإخلاص له من دون الله في أكثر الحالات.

**ومنها**: التضرع عند مصارع الأموات والبكاء بالهيبة والخشوع لمن فيها أعظم مما يفعلونه مع الله في المساجد والصلوات.

**ومنها**: تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله وهي المساجد، فيعتقدون أن العبادة والعكوف فيه أفضل من العبادة والعكوف في المساجد، وهذا أمر ما بلغ إليه شرك الأولين، فإنهم يعظمون المسجد الحرام أعظم من بيوت الأصنام يرون فضله عليها، وهؤلاء يرون العكوف في المساجد أفضل من العكوف في المساجد.

**ومنها**: أن الذي شرعه الرسول ﷺ في زيارة القبور إنما هو تذكرة الآخرة، كما قال: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**»، والإحسان إلى المزور بالترحُّم عليه، والدعاء له والاستغفار، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت، فقلبَ عبَّاد القبور الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم ونصرهم على الأعداء ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلى نفوسهم وإلى الميت، ولو

---

= يصيب كلَّ رجلٍ بَعيران، هذانِ بعيران فاقْبلهما مني ولا تصبرْ يَميني حيث تُصبَرُ الأيمان فقبلهما. وجاء ثمانيةٌ وأربعون فحلفوا. قال ابنُ عبَّاس: فوَالذي بيده ما حال الحول ومن الثمانيةِ وأربعين عينٌ تَطرِف». راجع فتح الباري ج ٧ كتاب مناقب الأنصار ــ باب القسامة في الجاهلية ص ١٩٠ ــ ١٩١ تحقيق محب الدين الخطيب ــ الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة.

لم يكن إلاَّ بحرمانه بركة ما شرعه الله من الدعاء والترحم عليه والاستغفار له.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله عباد القبور بها، فإنه يؤذيهم ما يفعلونه عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعله النصارى، وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء، يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرأون منهم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف/ ٥، ٦].

ومنها: محادَّة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها.

ومنها: التعب العظيم مع الوزر الكبير، والإثم العظيم.

وكل هذه المفاسد العظيمة وغيرها مما لم يذكر، إنما حدثت بسبب البناء على القبور، ولهذا تجد القبور التي ليس عليها قباب لا يأتيها أحد ولا يعتادها لشيء مما ذكر إلاَّ ما شاء الله، وصاحب الشرع أعلم بما يؤول إليه هذا الأمر، فلذلك غلَّظ فيه وأبدأ وأعاد، ولعن من فعله، فالخير والهدى في طاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته.

والعجب ممن يشاهد هذه المفاسد العظيمة عند القبور، ثم يظن أن النبي ﷺ إنما نهى عن اتخاذ المساجد عليها لأجل النجاسة كما يظنه بعض متأخري الفقهاء، ولو كان ذلك لأجل النجاسة، لكان ذكر المجازر والحشوش، بل ذكر التحرز من البول والغائط أولى. وإنما ذلك لأجل نجاسة الشرك التي وقعت من عبَّاد القبور لما

خالفوا ذلك ونبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلاً فبئس ما يشترون»[1].

**اتفق العلماء على وجوب هدم المساجد المبنية على القبور:**

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:**

«فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعيَّن إزالتها بهدم أو بغيره. هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين. ثم ذكر العلة في تحريم الصلاة عند القبور، وإنها ذريعة إلى تعظيم من فيها بالعبادة، وإنها مظنة لاتخاذها أوثانًا، كما قال الشافعي رحمه الله: «أكره أن يعظم مخلوق، حتى يجعل قبره مسجدًا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس». وذكر هذا عن أبي بكر الأثرم وغيره من أصحاب أحمد وسائر العلماء، ثم رد تعليل بعضهم النهي عن اتخاذ القبور مساجد بالنجاسة أو مظنتها، وردَّه بوجوه:

الرد على من علَّل حرمة اتخاذ القبور مساجد، بمظنة النجاسة

منها: أن قبور الأنبياء أطهر البقاع، وقد لعن من اتخذها مساجد، وتواتر الحديث بذلك، وبوجوه غير هذا ذكرها وقرَّرها. وذكر أن سبب عبادة اللات تعظيم قبره، وكذلك ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، أسماء قوم صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام، صوَّروا تماثيلهم ثم عبدوهم.

قال: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع، وهي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك. فإن

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٢١، ٢٢٨.

النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين وبتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب، ونحو ذلك. فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه أعظم ممن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله، ولهذا تجد أقوامًا كثيرًا يضرعون عندها ويخشعون، ويعبدون بقلوبهم عبادات لا يفعلونها في المسجد، بل ولا في السحر.

كيف حسم النبي ﷺ مادة الشرك

ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال، فهذه المفسدة، التي هي مفسدة الشرك كبيرة وصغيرة، هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بركة المساجد الثلاثة، ونحو ذلك. كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها، لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها، فينهى المسلم عن الصلاة حينئذٍ، وإن لم يقصد ذلك، سدًّا للذريعة.

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين متبركًا بالصلاة في تلك البقعة.

فهذا عين المحادَّة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول ﷺ من أن الصلاة عند القبر، أيّ قبر كان لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلاً بل فيه مزية شر.

الإسلام دين وسط بين المغالاة والجفاء

واعلم أن تلك البقعة وإن كانت تنزل عندها الملائكة والرحمة، ولها شرف وفضل، لكن دين الله تعالى بين الغالي فيه

والجافي عنه، فإن النصارى عظَّموا الأنبياء حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم، واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم، والأمة الوسط عرفوا مقاديرهم، فلم يغلوا فيهم غلو النصارى، ولم يجفوا جفاء اليهود، ولهذا قال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[1].

❑ ❑ ❑

(١) منهاج التأسيس والتقديس ص ١٤٦ ـ ١٤٨.

## المبحث الرابع

# المفاسد المترتبة على الفتنة بالقبور

ينبغي الحذر من فتنة القبور، ولمَّا غفل أكثر الناس عن ذلك، أصبحوا في ضد ونقيض تام عن المشروع من زيارة القبور، وترتب على ذلك مفاسد لا حصر لها، جراء الانزلاق في وحل هذه الفتنة الوخيمة.

**قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى في شرحه على كتاب التوحيد:**

قوله: ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي ــ حيان بن حصين ــ قال: قال لي علي رضي الله عنه، هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**أن لا تدع صورة إلاَّ طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلاَّ سويته**».

علة الأمر بطمس الصور، وتسوية القبور

فيه تصريح بأن النبي ﷺ بعث عليًّا لذلك. أما الصور فلمضاهاتها لخلق الله. وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله. فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

التساهل في وسائل الشرك، يوقع فيه لا محالة

ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًّا لرحال العابدين المعظِّمين لها. فصرفوا لها جلّ العبادة: من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والذبح لها، والنذور، وغير ذلك، من كل شرك محظور.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: ومن جمع بين سنَّة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم: رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا.

**فنهى** رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.

**ونهى** عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله.

**ونهى** عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها.

**ونهى** عن أن تتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

الأمر بتسوية القبور، لئلا تتخذ عيدًا وقبلة

وأمر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي ــ فذكر حديث الباب ــ وحديث ثمامة بن شفي وهو عند مسلم أيضًا قال: «كنا مع فضالة بن عُبيد بأرض الروم برودس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوّي ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها».

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

**ونهى** عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**».

**ونهى** عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود في سننه، عن جابر أن رسول الله ﷺ: «**نهى عن تجصيص القبور، وأن يكتب عليها**»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره.

**ونهى** أن يزاد عليها غير ترابها. كما روى أبو داود عن جابر أيضًا أن رسول الله ﷺ «**نهى أن يجصَّص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه**»، وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار[1]. قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم.

من الكبائر: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها

**والمقصود**: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادُّون لما جاء به، وأعظم ذلك

---

(١) اختصر المؤلف كلام ابن القيم هنا وحذف منه ما يأتي:
«ونهى عمر بن عبد العزيز أن يبنى القبر بآجر. وأوصى أن لا يفعل ذلك لقبره. وأوصى الأسود بن يزيد أن لا تجعلوا على قبري آجرا، وأوصى أبو هريرة حين الوفاة أن لا يضربوا على قبره فسطاطًا. وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاطًا». اهـ. إغاثة اللهفان ١/ ١٠٣. قاله محقق الكتاب محل النقل جزاه الله خيرًا.

اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها وهو من الكبائر. وقد صرَّح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله. لأنه فيه تضييعًا للمال في غير فائدة وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام. قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا**» متفق عليه.

تخصيص القبور بالصلاة عندها، يشبه عبادة الأصنام

ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه: تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها. انتهى.

مشابهة القبور للبيت العتيق في حجه ومناسكه

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلَّال المشركين أن شرعوا للقبور حجًّا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسمَّاه: «مناسك حج المشاهد» مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عبَّاد الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده، من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره.

### (بعض مفاسد تعظيم القبور)

**فمنها**: تعظيم المواقع في الافتتان بها.

**ومنها**: اتخاذها أعيادًا.

**ومنها**: السفر إليها.

ومنها: مشابهة عبَّاد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها، وسدانتها وعبَّادها يرجِّحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيِّمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها.

ومنها: النذر لها ولسدنتها.

ومنها: اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك.

ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم. فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعله النصارى عند قبره، وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ، يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرأون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان/ ١٧، ١٨].

براءة المعبودين من دون الله، من عابديهم يوم القيامة

قال الله تعالى للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان/ ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة/ ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ/ ٤٠، ٤١].

**ومنها**: إماتة السنن وإحياء البدع.

**ومنها**: تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله، فإن عُبَّاد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب، والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريبًا منه.

**ومنها**: أن الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك؛ فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت.

نهى النبي ﷺ الرجال عن زيارة القبور، إلى أن تمكن التوحيد من قلوبهم فأذن لهم

وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدًّا للذريعة. فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولاً وفعلاً.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**زوروا القبور، فإنها تذكر الموت**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر**»، رواه أحمد والترمذي وحسنه.

حدوث البدع والشرك جزاء ضعف الإيمان، وقلة التمسك بعهود الأنبياء

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلَّمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ ما أصلح أولها»، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم عوّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

كيف جرد السلف التوحيد، وحموا جانبه

ولقد جرَّد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلَّم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا، ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة.

وفي الترمذي وغيره «**الدعاء هو العبادة**»، فجرَّد السلف العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها، إلاَّ ما أذن فيه رسول الله ﷺ، من الدعاء لأصحابها والاستغفار لهم والترحُّم عليهم. وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، وإسناده جيد ورواته ثقات مشاهير.

وقوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»، أي: لا تعطِّلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحرِّي

النافلة في البيوت ونهى عن تحرِّي النافلة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم.

ثم إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلاَّ الله ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجُرح بميِّت إيلام.

**(بعض مفاسد الفتنة بالقبور)**

**فمن المفاسد**: اتخاذها أعيادًا والصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الدين وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

واحسرتاه!!! كيف عاد الإسلام إلى غربته الثانية

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبَّلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج؛ ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدىء ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلَّى إلى القبلتين!! فتراهم حول القبر ركعًا وسجَّدًا يبتغون فضلاً من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا.

أعمال المشركين للشيطان، وليس للرحمن منها نصيب

فلغير الله ــ بل للشيطان ــ ما يُراق هناك من العَبَرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي

العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين. ثم أخذوا في التقبيل والاستلام.

ذل المشركين، مصروف لغير الله تعالى

أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقد قربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين.

بئس للظالمين بدلاً

فلو رأيتهم يهنِّىء بعضهم بعضًا ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًّا، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلِّفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام.

هـذا ولـم نتجـاوز فيمـا حكينـاه عنهـم، ولا استقصينـا جميـع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق كل ما يخطر بالبال، ويدور في الخيال، وهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح كما تقدم. وكل من شمَّ أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحظور. وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته. انتهى كلامه رحمه الله تعالى»[1].

من أهم الأمور: سد الذريعة إلى المحذور

❑ ❑ ❑

(١) فتح المجيد ص ٤٦٨ ــ ٤٧٣.

## المبحث الخامس

# أشهر شبهات أهل القبور، والرد الباهر عليها

* لقد ظن المشركون في قوله ﷺ: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**»، أن المراد: اقصدوه في كل ساعة ووقت، ولا تجعلوه كالعيد الذي يكون من الحول إلى الحول:

**قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه على كتاب التوحيد:**

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، رواه أبو داود بإسناد حسن. رواته ثقات.

قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»، قال شيخ الإسلام نوَّر الله ضريحه: أي: لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريمها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم.

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر مرفوعًا: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**».

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر مرفوعًا: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه**»، وفيه: أن الصلاة في المقبرة لا تجوز، وأن التطوع في البيت أفضل منه في المسجد. وفي حديث أبي هريرة الذي ذكرنا كراهة القراءة في المقابر، وكل هذا إبعاد لأمته عن الشرك.

تعريف العيد

قوله: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**»، قال شيخ الإسلام: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدًا إما بعود السنَّة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك وتقدم ذلك.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإن كان اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة، أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيدًا، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر.

شبهة، وجوابها

وقال غيره: هذا أمر بملازمة قبره والعكوف عنده واعتياد قصده وانتيابه، ونهى أن يجعل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين، فكأنه قال: لا تجعلوه كالعيد الذي يكون من الحول إلى الحول، واقصدوه كل ساعة وكل وقت.

بعض لوازم هذا الافتراء اللعين

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا مراغمة ومحادَّة ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ وقلب للحقائق، ونسبة الرسول ﷺ إلى التلبيس والتدليس بعد التناقض، فقاتل الله أهل الباطل أنى يؤفكون.

لولا أن الله أقام لدينه الذابين عنه، لجرى عليه ما جرى على الأديان قبله

ولا ريب أن من أمر الناس باعتياد أمر وملازمته وكثرة انتيابه بقوله: لا تجعلوا عيدًا، فهو إلى التلبيس وضد البيان أقرب منه إلى الدلالة والبيان، وهكذا غيرت أديان الرسل، ولولا أن الله أقام لدينه الأنصار والأعوان الذابِّين عنه، لجرى عليه ما جرى على الأديان قبله، ولو أراد رسول الله ﷺ ما قاله هؤلاء الضلَّال لم ينه عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ويلعن فاعل ذلك، فإنه إذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله فيها، فكيف يأمر بملازمتها والعكوف عندها، وأن يعتاد قصدها وانتيابها، ولا تجعل كالعيد الذي يجيء من الحول إلى الحول؟ وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثنًا يُعبد، وكيف يقول أعلم الخلق بذلك: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجدًا، وكيف يقول: لا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي حيثما كنتم؟!

فهم الصحابة وأهل بيت النبوة، مفرق طريق بين الحق والباطل

وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء الضلال الذين جمعوا بين الشرك والتحريف؟! وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنهما، نهى ذلك الرجل أن يتحرَّى الدعاء عند قبره ﷺ، واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي رضي الله عنهما، وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال، وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته، كره أن يقصد الرجل القبر إذا لم يكن يريد المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيدًا. انتهى.

قلت: وكيف يريد النبي ﷺ هذا المعنى ويعبر عنه بهذا الكلام، مع أنه أفصح الخلق وأنصحهم، وكان يمكنه أن يقول: أكثروا زيارة قبري، أو اجعلوه عيدًا تعتادون المجيء إليه والعبادة عنده؟! فظهر بطلان هذا القول.

المعنى الصحيح المراد من الحديث

إذا تبين ذلك، فمعنى الحديث نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، واجتماع معهود كالعيد الذي يكون على وجه مخصوص، في زمان مخصوص، وذلك يدل على المنع في جميع القبور وغيرها، لأن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان. قال المصنف: وفيه النهي عن الإكثار من الزيارة.

**(الصلاة على النبي ﷺ بالقرب من قبره تستوي مع الصلاة عليه بعيدًا عنه)**

قوله: «**وصلّوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، قال شيخ الإسلام: يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا. انتهى.

وقد روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما من أحد يسلم علي إلاَّ ردَّ الله علي روحي حتي أرد عليه السلام**»، وعن أوس بن أوس مرفوعًا: «**أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي**»، قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: «**إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**» رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن صلاتنا عليه تبلغه سواء كنا عند قبره أو لم نكن، فلا مزية لمن سلَّم عليه أو صلَّى عند قبره، كما قال الحسن بن الحسن: ما أنتم ومن بالأندلس إلَّا سواء.

وأما حديث: «من صلَّى علي عند قبري سمعته، ومن صلَّى علي غائبًا بلغته»، فرواه البيهقي وغيره من حديث العلاء ابن عمرو الحنفي، حدثنا أبو عبد الرحمن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره. قال البيهقي: أبو عبد الرحمن هذا، هو محمد بن مروان السدي فيما أرى، وفيه نظر.

قلت: محمد بن مروان السدي الصغير قال فيه يحيى ابن معين: ليس بثقة، وقال الجوزجاني: ذاهب الحديث، قال النسائي: متروك الحديث، وكذلك قال أبو حاتم الرازي والأزدي. وقال صالح بن محمد: كان يضع الحديث على أن معناه صحيح معلوم من أحاديث أخر، كإخباره بسماع الموتى لسلام من يسلم عليهم إذا مرَّ على قبورهم.

فإن قيل: إذا سمع سلام المسلِّم عليه عند قبره حصلت المزية بسماعه:

قيل: هذا لو حصل الوصول إلى قبره، أما وقد منع الناس من الوصول إليه بثلاثة الجدران، فلا تحصل مزية، فسواء سلم عليه عند قبره أو في مسجده إذا دخله، أو في أقصى المشرق والمغرب، فالكل يبلغه كما وردت به الأحاديث، وليس في شيء منها أنه يسمع

صوت المصلي والمسلم بنفسه، إنما فيها أن ذلك يعرض عليه ويبلغه ﷺ.

ومعلوم أنه أراد بذلك الصلاة والسلام الذي أمر به الله، سواء صلَّى عليه في مسجده أو في مدينته أو في مكان آخر، فعلم أن ما في أمر الله به من ذلك فإنه يبلغه، وأما من سلَّم عليه عند قبره فإنه يرد عليه وذلك كالسلام على سائر المؤمنين ليس هو من خصائصه، ولكن لا يوصل إلى قبره ﷺ.

**(هدي أهل بيت النبي ﷺ في المشروع من زيارة القبور)**

قال: وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو؛ فنهاه. وقال ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أين ما كنتم**»، رواه في «المختارة».

هذان: الحديثان جيدان، حسنا الإسنادين، أما الحديث الأول فرواه أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصائغ قال: أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فذكره. ورواته ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع فيه لين لا يمنع الاحتجاج به. قال ابن معين: هو ثقة، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ تعرف وتنكر. قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومثال هذا قد يخاف أن يغلط أحيانًا، فإذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة. وقال

الحافظ ابن عبد الهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد. وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة.

وأما الحديث الثاني فرواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في «المختارة».

قال أبو يعلى: حدثنا أبو بكر بن أبـي شيبة، ثنا زيد ابن الحباب، ثنا جعفر بن إبراهيم من «ولد» ذي الجناحين، ثنا علي ابن عمر عن أبيه عن علي بن حسين فذكره. وعلي بن عمر: هو علي ابن عمر بن علي بن الحسين. قال شيخ الإسلام: فانظر كيف هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا أضبط.

أهل بيته من أعلم الناس بسنته ﷺ

قلت: وللحديثين شواهد، منها ما رواه ابن أبـي شيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر عن ابن عجلان عن سهيل عن جبير بن حنين قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا علي حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**».

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل بن أبـي سهيل قال: أتى الحسن بن الحسن بن علي ابن أبـي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشَّى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلَّمت على النبـي ﷺ فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّم، ثم قال: إن الرسول ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلُّوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم، لعن الله اليهود**

**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، ما أنتم ومن بالأندلس إلاَّ سواء.

ورواه القاضي إسماعيل في كتاب «فضل الصلاة على النبي ﷺ» ولم يذكر ما أنتم ومن بالأندلس إلاَّ سواء. قال سعيد: أيضًا حدثنا حبان بن علي ثنا محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلُّوا علي فإن صلاتكم تبلغني**».

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلاَّن على ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا.

قوله: عن علي بن الحسين، أي: ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنه وهو أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم. قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح، والحسين سبط النبي ﷺ وريحانته، وحفظ عن النبي ﷺ، واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة.

قوله: إنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة ــ وهو بضم الفاء وسكون الراء واحدة الفرج ــ وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما.

دلالة الحديث على حرمة: اتخاذ القبور والمشاهد عيدًا

قوله: فيدخل فيها فيدعو فنهاه إلى آخر الحديث. وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها كما تقدم بعض ذلك، لأن ذلك من اتخاذها عيدًا كما فهمه علي ابن الحسين من الحديث. فنهى ذلك الرجل عن المجيء إلى قبر النبي ﷺ للدعاء عنده، فكيف بقبر غيره.

مسائل مهمة، مستنطبة من الحديث، وعمل الصحابة، وسلف الأمة

ويدل أيضًا على أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من اتخاذه عيدًا المنهي عنه، ولهذا لما رأى الحسن ابن الحسن سهيلاً عند القبر نهاه عن ذلك وذكر له الحديث مستدلاً به، وأمر بالسلام عليه عند دخول المسجد.

قال شيخ الإسلام: ما علمت أحدًا، أي: من علماء السلف رخَّص فيه، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا، ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه، لأن ذلك من اتخاذه عيدًا، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ، لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك. قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ ما أصلح أولها، بل كان الصحابة والتابعون يأتون إلى مسجده ﷺ فيصلون خلف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ثم إذا قضوا الصلاة قعدوا، أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل.

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم بقوله: «**لا تتخذوا قبري عيدًا وصلُّوا علي فإن صلاتكم تبلغني**»، فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام.

ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذ كانت عائشة فيها، وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر. وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى

كيف تلاعب الشيطان بشيعته من عبَّاد القبور

يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم، فأضلَّهم عن قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم، فرأوها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج.

والمقصود أن الصحابة ما كانوا يعتادون الصلاة والسَّلام عليه عند قبره، كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر، كما كان ابن عمر رضي الله عنه يفعل.

قال عبيد الله بن عمر عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف.

قال عبيد الله: ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلاَّ ابن عمر. وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير. قال شيخ الإسلام: إن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة[1]. وفي «المبسوط» قال مالك: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن ليسلم ويمضي.

والحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال لمالك: يا أبا عبد الله استقبل القبلة

---

(١) انظر لنص الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ لهذه المسألة في الصفحة القادمة.

وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك. فهذه الرواية ضعيفة، أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد ومن يجهل حاله.

ونص أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته والسلام عليه، فظاهر هذا أنه يقف للدعاء بعد السلام. وذكر أصحاب مالك أنه يدعو مستقبلاً القبلة يوليه ظهره.

اتفق العلماء على عدم استقبال قبر النبي ﷺ عند الدعاء

وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وتنازعوا هل يستقبله عند السلام أم لا؟ ومن الحجة في ذلك ما روى ابن زبالة وهو في «أخبار المدينة» عن عمر بن هارون، عن سلمة ابن وردان وهما ساقطان قال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر، ثم يدعو.

## (تحريم شد الرحال إلى القبور، لأنه من أعظم أسباب الشرك بها وبأصحابها)

وفي الحديث[1] دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ، وإلى غيره من القبور والمشاهد، لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها، كما وقع من عبَّاد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال، وليس لهم مقصود إلَّا مجرد الزيارة للقبور تبركًا بتلك القباب والجدران فوقعوا في الشرك.

---

(١) أي: قوله ﷺ: (لا تجعلوا قبري عيدًا).

هذه المسألة التي أفتى فيها شيخ الإسلام، أعني من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ومشاهدهم ونقل فيها اختلاف العلماء في الإباحة والمنع، فمن مبيح لذلك كأبي حامد الغزالي وأبي محمد المقدسي، ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمد الجويني والقاضي عياض، وهو قول الجمهور نص عليه مالك ولم يكن يخالفه أحد من الأئمة وهو الصواب. فقام عليه بعض المعاصرين له كالسبكي ونحوه فنسبه إلى إنكار الزيارة مطلقًا وهو لم ينكر منها إلاَّ ما كان بشد رحل، كما أنكره جمهور العلماء قبله أو الزيارة التي يكون فيها دعاء الأموات والاستغاثة بهم في الملمات، مع ما ينضم إلى ذلك من أنواع المنكرات.

الأدلة على حرمة شد الرحال إلى القبور

ومما يدل على النهي عن شد الرحل إلى القبور ونحوها ما أخرجاه في «الصحيحين» عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»، فدخل في ذلك شدهما لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا للاستحباب. وقد جاء في رواية في «الصحيح» بصيغة النهي صريحًا فتعين أن يكون للنهي.

ولهذا فهم منه الصحابة المنع، كما في «الموطأ» و «السنن» عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة وقد أقبل من الطور: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ: «**لا تُعمل المطي إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**».

وروى الإمام أحمد، وعمر بن شبة في «أخبار المدينة» بإسناد جيد عن قزعة قال: أتيت ابن عمر فقلت: إني أريد الطور. فقال: إنما تشد، الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، فدع عنك الطور فلا تأته.

وروى أحمد وعمر بن شبة أيضًا عن شهر بن حوشب قال: سمعت أبا سعيد وذكر عنده الصلاة في الطور، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»، فأبو سعيد جعل الطور مما نهي عن شد الرحال إليه، مع أن اللفظ الذي ذكر إنما فيه النهي عن شدها إلى المساجد، فدل على أنه علم أن غير المساجد أولى بالنهي، والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة، وأن الله تعالى سماه الوادي المقدس والبقعة المباركة، وكلَّم الله موسى هناك.

وهذا ظاهر لا يخفى على أحد ممن يقول بفحوى الخطاب وتنبيهه، وهم الجمهور والأئمة الأربعة وأتباعهم، ولهذا لم يوجبوا على من نذر أن يسافر إلى أثر نبي من الأنبياء قبورهم أو غير قبورهم الوفاء بذلك، بل لو سافر إلى مسجد قباء من بلد بعيد لم يكن هذا مشروعًا باتفاق الأئمة الأربعة، مع أن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت راكبًا وماشيًا، وإن كان في وجوب الوفاء بنذر إتيانه خلاف والجمهور على أنه لا يجب. وقد صرح مالك وغيره بأن من نذر السفر إلى المدينة النبوية إن كان مقصوده الصلاة في مسجد النبي ﷺ وفى بنذره، وإن كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره. قال: لأن النبي ﷺ قال:

من نذر: السفر إلى المدينة لمجرد زيارة القبر، فلا وفاء لنذره

«**لا تُعمل المطي إلاَّ إلى ثلاثة مساجد**»، ذكره إسماعيل بن إسحاق في «المبسوط» ومعناه في «المدونة» و «الجلاب» وغيرهما من كتب أصحاب مالك.

وبالجملة فقد تنازع العلماء في شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، فالجمهور على المنع، وطائفة من المتأخرين على الجواز، فاستحباب شد الرحال إلى القبور والمشاهد والتقرب به إلى الله كما ظنه السبكي وغيره، قول مبتدع مخالف للإجماع قبله، والأحاديث التي احتج بها كحديث: «**من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**» ونحوها لا يصح منها شيء عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه البتة، بل هي ما بين ضعيف وموضوع، أو كلها موضوعة كما قد بين عللها شيخ الإسلام وغيره.

استحباب: شدّ الرحال إلى القبور للتقرب به إلى الله، قول مبتدع مخالف للإجماع القديم

وكثير منها لا يدل على محل النزاع إذ ليس فيه إلاَّ مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره شيخ الإسلام ولا غيره من العلماء، لأنه محمول على الزيارة الشرعية الجارية على وفق مراد النبي ﷺ وهي التي لا يكون فيها شرك ولا شد رحل إلى قبر، وبتقدير ثبوتها لا تدل على شد الرحال إلى قبر غيره، والسبكي أجاز ذلك في سائر القبور فخالف الأحاديث وخرق الإجماع، والله أعلم»[(١)].

* * *

* **لقد ظن عبّاد القبور**: جواز التوجه إلى الله بالأموات قياسًا على جواز التوجه إليه سبحانه بدعاء الأحياء، ثم جعلوا ذلك سُلَّمًا إلى عبادة الأموات، وإلى الشرك والتنديد بربِّ الأرض والسموات.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٣٦ ــ ٢٤٤.

**قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه على كتاب التوحيد:**

«ولكن لعباد القبور على هذا[1] شبهات، ذكر المصنف كثيرًا منها في «كشف الشبهات» ونحن نذكر هنا ما لم يذكره.

شبهة الاستدلال بحديث الأعمى على جواز الشرك والرد عليها من وجوه

فمن ذلك أنهم احتجوا بحديث رواه الترمذي في «جامعه» حيث قال: حدثنا محمود بن غيلان، ثنا عثمان بن عمرو، ثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك**» قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ، ويحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت به إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفِّعه فيَّ**»، قال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاَّ من رواية أبي جعفر، وهو غير الخطمي، هكذا رواه الترمذي ورواه النسائي وابن شاهين والبيهقي كذلك، وفي بعض الروايات «يا محمد إني أتوجه» إلى آخره.

وهذه اللفظة هي التي تعلق بها المشركون، وليست عند هؤلاء الأئمة. قالوا: فلو كان دعاء غير الله شركًا لم يعلم النبي ﷺ الأعمى هذا الدعاء الذي فيه نداء غير الله.

**والجواب من وجوه:**

الوجه الأول

**الأول**: أن هذا الحديث من أصله وإن صححه الترمذي، فإن في ثبوته نظرًا، لأن الترمذي يتساهل في التصحيح كالحاكم، لكن الترمذي أحسن نقدًا، كما نص على ذلك الأئمة، ووجه عدم ثبوته

---

(١) أي على جواز دعاء الأموات، فيما لا يقدر عليه إلاّ رب الأرض والسماوات.

أنه قد نص أن أبا جعفر الذي عليه مدار هذا الحديث هو غير الخطمي، وإذا كان غيره، فهو لا يعرف، ولعل عمدة الترمذي في تصحيحه أن شعبة لا يروى إلاَّ عن ثقة، وهذا فيه نظر، فقد قال عاصم بن علي: سمعت شعبة يقول: لو لم أحدثكم إلاَّ عن ثقة لم أحدثكم إلاَّ عن ثلاثة، وفي نسخة عن ثلاثين، ذكره الحافظ العراقي، وهذا اعتراف منه بأنه يروي عن الثقة وغيره فينظر في حاله، ويتوقف الاحتجاج به على ثبوت صحته.

الوجه الثاني

**الثاني**: أنه في غير محل النزاع، فأين طلب الأعمى من النبي ﷺ أن يدعو له، وتوجهه بدعائه مع حضوره، من دعاء الأموات والسجود لهم ولقبورهم، والتوكل عليهم، والالتجاء إليهم في الشدائد والنذر والذبح لهم، وخطابهم بالحوائج من الأمكنة البعيدة: يا سيدي يا مولاي افعل بـي كذا؟!

فحديث الأعمى شيء، ودعاء غير الله تعالى والاستغاثة به شيء آخر، فليس في حديث الأعمى شيء غير أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، ويشفع له، فهو توسل بدعائه وشفاعته، ولهذا قال في آخره: «اللهم فشفعه فيَّ» فعلم أنه شفع له.

وفي رواية أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، فدل الحديث على أنه ﷺ شفع له بدعائه، وأن النبي ﷺ أمره هو أن يدعو الله ويسأله قبول شفاعته، فهذا من أعظم الأدلة على أن دعاء غير الله شرك، لأن النبي ﷺ أمره أن يسأل قبول شفاعته، فدل على أن النبي ﷺ لا يدعى، ولأنه ﷺ لم يقدر على شفائه إلاَّ بدعاء الله له. فأين هذا من تلك الطوام، والكلام إنما هو في سؤال الغائب أو سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، أما أن تأتي شخصًا

يخاطبك فتسأله أن يدعو لك فلا إنكار في ذلك على ما في حديث الأعمى، فالحديث سواء كان صحيحًا أو لا، وسواء ثبت قوله فيه: (يا محمد) أو لا، لا يدل على سؤال الغائب، ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله بوجه من وجوه الدلالات. ومن ادعى ذلك، فهو مفتر على الله وعلى رسوله ﷺ، لأنه إن كان سأل النبي ﷺ نفسه، فهو لم يسأل منه إلاَّ ما يقدر عليه، وهو أن يدعو له، وهذا لا إنكار فيه وإن كان توجه به من غير سؤال منه نفسه، فهو لم يسأل منه، وإنما سأل من الله به، سواء كان متوجهًا بدعائه، كما هو نص أول الحديث وهو الصحيح، أو كان متوجهًا بذاته على قول ضعيف.

* * *

## (التوجه إلى الخالق بذوات المخلوقين بدعة منكرة، وأجنبية عن الشريعة وفهم حامليها)

فإن التوجه بذوات المخلوقين، والإقسام بهم على الله بدعة منكرة، لم تأت عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، ولا الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة الدين.

قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاَّ به، وقال أبو يوسف: أكره بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت، والمشعر الحرام. وقال القدوري: المسألة بحق المخلوق لا تجوز، فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، واختاره العز بن عبد السلام، إلاَّ في حق النبي ﷺ خاصة إن ثبت الحديث، يشير إلى حديث الأعمى، وقد تقدم أنه على تقدير ثبوته ليس فيه إلاَّ أنه توسل بدعائه لا بذاته.

وقد ورد في ذلك حديث رواه الحاكم في «مستدركه» فأبعد النجعة من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش، فقال: أسألك بحق محمد إلاَّ غفرت لي... الحديث. وهو حديث ضعيف بل موضوع، لأنه مخالف للقرآن.

قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣]، فهذا هو الذي قاله آدم. قال الذهبي في هذا الحديث: أظنه موضوعًا، وعبد الرحمن بن زيد متفق على ضعفه، قال ابن معين: ليس حديث بشيء.

الوجه الثالث

**الثالث أن قوله**: يا محمد إني أتوجه... إلخ لم تثبت في أكثر الروايات. وبتقدير ثبوتها لا يدل على جواز دعاء الله، لأن هذا خطاب الحاضر معين يراه ويسمع كلامه، ولا إنكار في ذلك، فإن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه ما يقدر عليه، فأين هذا من دعاء الغائب والميت لو كان أهل البدع والشرك يعلمون؟!

شبهة أخرى للمشركين، والجواب عليها

واحتجوا أيضًا بحديث رواه أبو يعلى وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، فقال ابن السني: حدثنا أبو يعلى، ثنا الحسن ابن عمرو بن شقيق، ثنا معروف بن حسان، ثنا أبو معاذ السمرقندي عن سعيد عن قتادة عن أبي بردة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فليناد يا عباد الله احبسوا»**، هكذا في كتاب ابن السني. وفي «الجامع الصغير»: **«فإن لله عز وجل في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم»**.

**والجواب**: أن هذا الحديث مداره على معروف بن حسان وهو أبو معاذ السمرقندي. فقوله في الأصل: ثنا أبو معاذ السمرقندي خطأ أظنه من الناسخ. قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال الذهبي في «الميزان»: قال ابن عدي: منكر الحديث، قد روي عن عمرو ابن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة، وقال السيوطي: حديث ضعيف، وأقول: بل هو باطل، إذ كيف يكون عند سعيد عن قتادة، ثم يغيب عن أصحاب سعيد الحفاظ الأثبات مثل: يحيى القطان، وإسماعيل بن علية، وأبي أسامة، وخالد بن الحارث، وأبي خالد الأحمر، وسفيان، وشعبة، وعبد الوارث، وابن المبارك، والأنصاري، وغندر، وابن أبي عدي ونحوهم، حتى يأتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث. فهذا من أقوى الأدلة على وضعه، وبتقدير ثبوته لا دليل فيه، لأن هذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه كما قال: «فإن لله في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم».

شبهة ثالثة، والرد عليها

واحتجوا أيضًا بحديث رواه الطبراني في «المعجم الكبير» فقال: حدثنا ظاهر بن عيسى بن قيرس المصري ثنا أصبغ بن الفرج، ثنا ابن وهب عن أبي سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المديني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك ليقضي لي حاجتي. . . الحديث.

والجواب من وجوه:

الوجه الأول **الأول**: أن راويه طاهر بن عيسى ممن لا يعرف بالعدالة بل هو مجهول، قال الذهبي: طاهر بن عيسى بن قيرس أبو الحسين المصري المؤدب عن سعيد بن أبي مريم، ويحيى بن بكير، وأصبغ بن الفرج، وعنه الطبراني. توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، فهو إذا مجهول الحال لا يجوز الاحتجاج بخبره، لا سيما فيما يخالف نصوص الكتاب والسنة.

الوجه الثاني **الثاني**: قوله: عن أبي سعيد المكي أشد جهالة من الأول، فإن مشايخ ابن وهب المكيين معروفون كداود بن عبد الرحمن، وزمعة بن صالح، وابن عيينة، وطلحة بن عمرو الحضرمي، وابن جريج، وعمر بن قيس، ومسلم بن خالد الزنجي، وليس فيهم من يكنى أبا سعيد، فتبين أنه مجهول.

**(الفرق بين: سؤال الله بالمخلوق، وسؤال المخلوق)**

الوجه الثالث **الثالث**: إن قلنا بتقدير ثبوته، فليس فيه دليل على دعاء الميت والغائب، غاية ما فيه أنه توجه به في دعائه، فأين هذا من دعاء الميت؟

فإن التوجه بالمخلوق سؤال به لا سؤال منه، والكلام إنما هو في سؤال المخلوق نفسه ودعائه والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، وكل أحد يفرق بين سؤال الشخص، وبين السؤال به، فإنه في السؤال به قد أخلص الدعاء لله، ولكن توجه إلى الله بذاته أو بدعائه. وأما في سؤاله ما لا يقدر عليه إلاَّ الله، فقد جعله شريكًا لله في عبادة الدعاء،

فليس في حديث الأعمى، وحديث ابن حنيف هذا إلاَّ إخلاص الدعاء لله كما هو صريح فيه، إلاَّ قوله، يا محمد إني أتوجه بك، وهذا ليس فيه المخاطبة لميت فيما لا يقدر عليه، إنما فيه مخاطبته مستحضرًا له في ذهنه كما يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

الوجه الرابع

**الرابع**: أنهم زعموا أنه دليل على دعاء كل غائب وميت من الصالحين فخرجوا عمَّا فهموه من الحديث بفهمهم الفاسد إلى أنه دليل على دعاء كل غائب وميت صالح، ولا دليل فيه أصلاً على دعاء الرسول ﷺ بعد موته، ولا في حياته فيما لا يقدر عليه، ثم لو كان فيه دليل على ذلك لم يكن فيه دليل على دعاء الغائب والميت مطلقًا، لأن هذا قياس مع وجود الفارق، وهو باطل بالإجماع، إذ ما ثبت للنبي ﷺ من الفضائل والكرامات لا يساويه فيه أحد، فلا يجوز قياس غيره عليه.

القياس مع وجود الفارق، باطل بالإجماع، وهو متحقق في هذه المسألة

وأيضًا فالقياس إنما يجوز للحاجة ولا حاجة إلى قياس غيره عليه، فبطل قياسهم بنفس مذهبهم، هذا غاية ما احتجوا به مما هو موجود في بعض الكتب المعروفة، وما سوى هذه الأحاديث الثلاثة فهو مما وضعوه بأنفسهم، كقولهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور، وقولهم: لو حسّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه. قال ابن القيم: وهو من وضع المشركين عباد الأوثان»[1].

* * *

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٦٤ ـ ١٦٨.

* لقد جزم عباد القبور بالتجربة العملية المعتادة، وبأخبار شيعتهم المتواترة: بأن الدعاء عند القبور هو الدواء الشافي لكافة الأدواء الدنيوية والأخروية:

**قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:**

شبهة عظيمة لأهل القبور

«ثم أورد[1] سؤالاً يورده من يتبرك بالدعاء عند القبور، ويرى فضله. قال: فإن قيل: فقد نقل عن بعضهم أنه قال: قبر معروف الترياق المجرب.

ويروى عن معروف أنه أوصى ابن أخيه أن يدعو عند قبره. وذكر أبو علي الخرقي في قصص من هجره أحمد: أن بعض هؤلاء المهجورين كان يجيء إلى قبر أحمد ويتوخى الدعاء عنده وأظنه ذكر ذلك عن المروزي. ونقل عن جماعات أنهم دعوا عند قبور جماعات من الأنبياء والصالحين من أهل البيت وغيرهم، فاستجيب لهم الدعاء، وعلى هذا عمل كثير من الناس.

وقد ذكر العلماء في مناسك الحج إذا زار قبر النبي ﷺ فإنه يدعو عنده، وذكر بعضهم أن من صلّى عليه سبعين مرة عند قبره ودعا استجيب له، وذكر بعض الفقهاء في حجة من يجوِّز القراءة على القبر أنه بقعة يجوِّز السلام والذكر والدعاء عندها فجازت القراءة، فقد رأى بعضهم منامات في الدعاء عند قبر بعض الأشياخ، وجرب قوم استجابة الدعاء عند قبور معروفة، كقبر الشيخ أبي الفرج الشيرازي المقدسي، وغيره، وقد أدركنا في أزماننا وما قاربها من ذوي الفضل علمًا وعملاً من كان يتحرَّى الدعاء عندها والعكوف عليها وفيهم من كان بارعًا في العلم وفيهم من كان له كرامات، فكيف يخالف هؤلاء؟

---

(١) أي: شيخ الإسلام ابن تيمية.

وإنما ذكرت هذا السؤال مع بعده عن طريق العلم والدين، لأنه غاية ما يتمسَّك به القبوريون.

الجواب

ثم أجاب عن هذا السؤال بقوله: قلنا الذي ذكرنا كراهته لا ينقل في استحبابه شيء ثابت عن القرون الثلاثة، التي أثنى النبي ﷺ عليها حيث قال: «**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، مع شدة المقتضى فيهم لذلك لو كان فيه فضيلة، فعد أمرهم وفعلهم لذلك مع قوة المقتضى لو كان فيه فضل يوجب القطع بأن لا فضل فيه، وأما من بعد هؤلاء فأكثر ما يفرض أن الأمة اختلفت فصار كثير من العلماء إلى فعل ذلك وصار بعضهم إلى النهي عن ذلك، فإنه لا يمكن أن يقال: قد اجتمعت الأمة على استحباب ذلك، لوجهين:

عدم فعل شيء من أصحاب القرون الثلاثة الأولى، مع شدة المقتضي له، دليل على خلوه من الفضل والمشروعية

**أحدهما**: أن كثيرًا من الأمة كره ذلك وأنكره قديمًا وحديثًا.

لا يمكن أن تتفق الأمة على استحباب فعل، تركه الأولون

**الثاني**: أنه من الممتنع أن تتفق الأمة على استحباب فعل لو كان حسنًا لفعله المتقدِّمون، ولم يفعلوه، فإن هذا من باب تناقض الإجماعات وهي لا تتناقض. وإذا اختلف فيه المتأخرون فالفاصل بينهم هو الكتاب أو السنة وإجماع المتقدمين نصًا واستنباطًا، فكيف والحمد لله لم ينقل هذا عن إمام معروف ولا عالم متبع؟

الفاصل في الخلاف: الكتاب والسنة والإجماع القديم

بل المنقول في ذلك إما أن يكون كذبًا على صاحبه، مثل ما حكى بعضهم عن الشافعي رحمه الله أنه قال: «إني إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعوا عند قبر أبي حنيفة، فأجاب» أو كلامًا هذا معناه.

وهذا كذب معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد لأبي حنيفة ولا غيره قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا معروفًا على عهد

الشافعي، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والعراق والشام ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبـي حنيفة وأمثاله من العلماء، فما باله لم يتوخ الدعاء إلاَّ عند أبـي حنيفة؟

ثـم أصحـاب أبـي حنيفة الذيـن أدركـوه مثل: أبـي يوسـف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرُّون الدعاء عند قبر أبـي حنيفة ولا غيره. ثم قد تقدم عن الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه.

الإسناد: مفرق طريق بين المشروع والممنوع

وإمـا أن يكـون المنقـول مـن هـذه الحكـايـات عـن مجهـول لا يعـرف ونحـن لـو روي لنـا بـالطـريـق التـي روي بهـا مثـل هـذه الحكـايـات المسيبـة أحـاديـث عمـن لا ينطـق عـن الهـوى لمـا جـاز التمسك بها، حتى تثبت، فكيف بالمنقول عن غيره؟

ومنها: ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطىء أو يصيب، أو قاله بقيود وشروط كثيرة، على وجه لا محذور فيه، فحرف النقل عنه كما أن النبـي ﷺ لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها من حجها للصلاة عندها والاستغاثة بها، سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله[1].

حجج المشركين والمبتدعين، دائرة بين نقل غير ثابت، أو قياس فاسد، وتلك هي سبيل النصارى

---

(١) هكذا في الأصل، وإن كان الظاهر من معنى السياق: أن ترك النبـي ﷺ للفعل، مع قيام المقتضي له، بمنزلة عدم مشروعيته.

وإنه لا يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الأنبياء إلاَّ النصارى وأمثالهم. وإنما المتبع في إثبات أحكام الله عز وجل: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسبيل السابقين الأولين، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصًا واستنباطًا بحال.

المتبع في إثبات أحكام الله: كتابه تعالى، وسنَّة نبيه ﷺ، وسبيل الصحابة

والجواب عنه من وجهين، مجمل ومفصل:

الجواب المجمل: استجابة الدعاء عند القبور، ليس دليلاً على مشروعيته

أما المجمل فالنقض، فإن اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير، بل المشركون الذين بعث إليهم الرسول ﷺ كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحيانًا كما يستجاب لهؤلاء أحيانًا، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة، فإن كان هذا وحده دليلاً على أن الله تعالى يرضى ذلك ويحبه فليطرد الدليل وذلك كفر متناقض.

ثم إنك تجد كثيرًا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنًا أحسن به الظن وأساء الظن بآخر، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره، فمن المحال إصابتهم جميعًا، وموافقة بعضهم دون بعض تحكم وترجيح بلا مرجح. والتدين بدينهم جميعًا جمع بين الأضداد فإن أكثر هؤلاء إنما يكون تأثرهم فيما يزعمون بقدر إقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره، وموافقتهم جميعًا فيما يثبتونه دون ما ينفونه يضعف التأثير على زعمهم.

فإن الواحد إذا أحسن الظن بالإجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثيره مثل تأثير الحسن بالظن بواحد دون آخر، وهذه كلها من

خصائص الأوثان، ثم قد استجيب لبلعام بن باعورا[1] في قوم موسى المؤمنين، وسلبه الله الإيمان، والمشركون قد يستسقونه فيسقون، ويستنصرونه فينصرون.

الجواب المفصل: الرد على حجتهم النقلية والعقلية المزعومة

وأما الجواب المفصل فنقول: مدار هذه الشبهة على أصلين: منقول: وهو ما يحكى عن فعل هذا الدعاء عن بعض الأعيان.

ومعقول: وهو ما يعتقد من منفعته بالتجارب والأقيسة.

**(العقل والنقل دليلان على بطلان هذه الشبهة المتهافتة)**

دحض الحجة النقلية لديهم

فأما النقل في ذلك فإما كذب أو غلط، أو ليس بحجة، بل قد ذكرنا من النقل عمن يقتدى به بخلاف ذلك.

دحض الحجة العقلية

وأما المعقول فنقول: عامة المذكور من المنافع كذب، فإن هؤلاء الذين يتحرّون الدعاء عند القبور وأمثالهم إنما يستجاب لهم في النادر، يدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوة، فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم فيستجاب للواحد بعد الواحد، وأين هذا من الذين يتحرون الدعاء أوقات الأسحار، ويدعون الله عز وجل في سجودهم وأدبار صلواتهم وفي بيوت الله؟ فإن هؤلاء إذا ابتهلوا من جنس ابتهال المقابرين لم يكد يسقط لهم دعوة إلاّ

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل موسى بهم ــ يعني بالجبارين ــ ومن معه، أتاه ــ يعني بلعام ــ بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه، ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله ما كان عليه ــ أي الصلاح ــ. اهـ. راجع تفسير ابن كثير سورة الأعراف: ١٧٥.

لمانع، بل الواقع أن الابتهال الذي يفعله المقابريون إذا فعله المخلصون لم يرد دعاء المخلصين إلاَّ نادرًا ولم يستجب للمقابريين إلاَّ نادرًا.

والمخلصون كما قال النبي ﷺ: «**ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلاَّ أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجِّل الله له دعوته، أو يدَّخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها**»، قالوا: يا رسول الله، إذ نكثر، قال: «**الله أكثر**»، فهم في دعائهم لا يزالون بخير.

وأما القبوريون فإنهم إذا استجيب لهم نادرًا فإن أحدهم يضعف توحيده ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأوَّلون، ولعله لا يكاد يبارك له في حاجته، اللهم إلاَّ أن يعفو الله عنهم، لعدم علمهم بأن ذلك بدعة.

هذه الأمور المزعومة مضرتها أعظم من منفعتها، وهذا يدل على عدم مشروعيتها، وهذا بخلاف الأمور المشروعة

فإن المجتهد إذا أخطأ أثابه الله عز وجل على اجتهاده، وغفر له خطأه، وجميع الأمور التي يظن أن لها تأثيرًا في العالم وهي محرمة في الشرع كالتمريخات الفلكية أو التوجهات النفسانية كالعين أو الدعاء المحرم والرقى المحرمة أو التمريخات[1] الطبيعية، ونحو ذلك، فإن مضرتها أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب.

فإن هذه الأمور لا يطلب بها غالبًا إلاَّ أمور دنيوية، فقلَّ أن يحصل لأحد بسببها أمر دنيوي إلاَّ كانت عاقبته فيه في الدنيا عاقبة

---

(١) مرخ: مَرَخَهُ بالدهن يَمْرخُه مَرْخًا، ومَرَّخَه تَمْرِيخًا: دَهَنَه، وتَمَرَّخ به: ادَّهَنَ. قاله صاحب لسان العرب، مادة (مرخ).

خبيثة. دع الآخرة، والمخفق من هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح، ثم إن فيها من النكد والضرر ما الله به عليم، فهي في نفسها مضرة لا يكاد يحصل الغرض بها إلاَّ نادرًا، وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه، والأسباب المشروعة في حصول هذه المطالب المباحة والمستحبة سواء كانت طبيعية كالتجارة والحراثة، أو كانت دينية كالتوكل على الله والثقة به، وكدعاء الله سبحانه على الوجه المشروع في الأمكنة والأزمنة التي فضَّلها الله ورسوله بالكلمات المأثورة عن إمام المتقين ﷺ، وكالصدقة وفعل المعروف يحصل بها الخير المحض أو الغالب، وما يحصل من ضرر بفعل مشروع أو ترك غير مشروع فيما نهى عنه فإن ذلك الضرر مكثور في جانب ما يحصل من المنفعة، وهذا الأمر كما أنه قد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، فهو أيضًا معقول في التجارب المشهورة والأقيسة الصحيحة، فإن الصلاة والزكاة يحصل بهما خير الدنيا والآخرة، ويجلبان كل خير ويدفعان كل شر، فهذا الكلام في بيان أنه لا يحصل بتلك الأسباب المحرمة لا خير محض ولا غالب، ومن كان له خبر بأحوال العالم وعقل يتيقن ذلك يقينًا لا شك فيه.

### (كيف نضع الأسباب في موضعها)

إذا ثبت ذلك فليس علينا من سبب التأثير أحيانًا، فإن الأسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الأرض والسماء لا يحصيها على الحقيقة إلاَّ هو، أما أعيانها فبلا ريب، وكذلك أنواعها أيضًا لا يضبطها المخلوق لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم يأمرون الخلق بما فيه صلاحهم وينهونهم عما فيه فسادهم، ولا يشغلونهم بالكلام بأسباب

الانشغال المحض بالأسباب، كثير التعب قليل الفائدة، وقد يكون فتنة لمن ضعف عقله ودينه

الكائنات، كما يفعل المتفلسفة، فإن ذلك كثير التعب قليل الفائدة، أو موجب للضرر.

مثل النبي ﷺ مثل طبيب دخل على مريض، فرأى مرضه فعلمه، فقال له: اشرب كذا، واجتنب كذا، ففعل ذلك، فحصل غرضه من الشفاء.

والمتفلسف قد يطول معه الكلام في سبب ذلك المرض وصفته وذمه وذم ما أوجبه، ولو قال له المريض: فما الذي يشفيني منه؟ لم يكن له بذلك علم تام.

والكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه، بحيث يختطف عقله، فيتألهه إذا لم يرزق من العلم والإيمان ما يوجب له الهدى واليقين، ويكفي العاقل أن يعلم أن ما سوى المشروع لا يؤثر بحال، فلا منفعة فيه، أو أنه وإن أثر فضرره أكبر من نفعه.

**(استجابة دعاء المتلبِّسين بالشرك، ليس دليلاً على مشروعيته)**

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة: أن الرجل منهم قد يكون مضطرًا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له لصدق توجهه إلى الله تعالى، وإن كان تحري الدعاء عند الوثن شركًا، ولو كان قد استجيب له على يد المتوسل به صاحب القبر أو غيره لاستغاثته فإنه يعاقب على ذلك ويهوي به في النار إذا لم يعف الله عنه فيوفِّقه لتوبة نصوح، كما لو طلب من الله عز وجل ما يكون فتنة له، كما أن ثعلبة لما سأل النبي ﷺ أن يدعو له بكثرة المال ونهاه النبي ﷺ عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته، حتى دعا له، وكان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة. وقد قال

النبي ﷺ: «**إن الرجل ليسألني المسألة فأعطيه إياها فيخرج بها يتأبطها نارًا**، قالوا: يا رسول الله، فلم تعطهم؟ قال: **يأبون إلاَّ أن يسألوني ويأبى الله لي البخل**».

قد تكون إجابة الدعاء لهلاك أصحابها

فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة، تارة بأن يسأله ما لا يصح له مسألته، كما فعل بلعام بن باعورا وثعلبة وخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم، وكان فيها هلاكهم، وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله، كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف/ ٥٥]، فهو سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين في صفة الدعاء ولا في السؤال، ولكن حاجتهم قد تقضى كأقوام ناجوا الله تعالى في دعواتهم بمناجاة بها جرأة على الله واعتداء لحدوده، وأعطوا طلبتهم فتنة ولما يشاء الله سبحانه وتعالى بل أشد من ذلك، ألست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذلك من المؤثرات في العالم بإذن الله قد يقضي بها كثير من أغراض النفوس الخبيثة. ومع هذا فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝١٠٢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝١٠٣﴾ [البقرة/ ١٠٢، ١٠٣]، فإنهم معترفون بأنه لا ينفع في الآخرة، وأن صاحبه خاسر في الآخرة، وإنما يتشبثون بمنفعته في الدنيا، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾ [البقرة/ ١٠٢].

كذلك أنواع من الداعين السائلين قد يدعون دعاء محرمًا يحصل معه ذلك الغرض، ويورثهم ضررًا أعظم منه. وقد يكون

الدعاء مكروهًا ويستجاب له أيضًا، ثم هذا التحريم والكراهة قد يعلمه الداعي وقد لا يعلمه على وجه لا يعذر فيه بتقصير في طلب العلم، أو ترك الحق، وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه بأن يكون فيه مجتهدًا أو مقلدًا كالمجتهد والمقلد اللذين يعذران في سائر الأعمال المعذور فيها. وغيره قد يتجاوز عنه في ذلك الدعاء لكثرة حسناته، وصدق قصده، أو لمحض رحمة الله عز وجل به، أو نحو ذلك من الأسباب.

**(قد يأتي بعض الشيوخ الصالحين دعاء مبتدعًا باجتهاد أو تأويل خاطىء، فيعفى عنهم لحسن قصدهم، ثم يتأسى بهم بعض الذين لم يقم بقلوبهم ما قام بقلوب شيوخهم، فيهلكون بذلك).**

فالحاصل: أن ما يقع من الدعاء المشتمل على كراهة شرعية قد تغفر تلك الكراهة بمنزلة سائر أنواع العبادات، وقد علم أن العبادات المشتملة على وصف مكروه قد تغفر تلك الكراهة لصاحبها لاجتهاده أو تقليده، أو حسناته أو غير ذلك. ثم ذلك لا يمنع أن يعلم أن ذلك مكروه ينهى عنه، وإن كان هذا الفاعل المعين قد زال موجب الكراهة في حقه.

ومن هنا يغلط كثير من الناس، فإنهم يبلغهم أن بعض الأعيان من الصالحين عبدوا عبادة أو دعوا دعاء وجدوا لتلك العبادة وذلك الدعاء أثرًا، فيجعلون ذلك دليلاً على استحسان تلك العبادة والدعاء، ويجعلون ذلك العمل سنة كأنه قد فعله نبي، وهذا غلط لما ذكرناه، خصوصًا إذا كان العمل إنما كان أثره لصدق قام بقلب

فاعله حين الفعل، ثم يفعله الأتباع صورة لا صدقًا، فيضَرُّون به، لأنه ليس العمل مشروعًا فيكون[1] لهم ثواب المتبعين، ولا قام بهم صدق ذلك الفاعل لفعله بصدق الطلب وصحة القصد يكفر[2] عن الفاعل.

ومن هذا الباب ما يحكى من آثار لبعض الشيوخ حصلت في السماع المبتدع، فإنما تلك الآثار إنما كانت عن أحوال قامت بقلوب أولئك الرجال حركها محرك كانوا في سماعه إما مجتهدين وإما مقصرين تقصيرًا غمره حسنات قصدهم، فيأخذ الأتباع حضور صورة السماع وليس حضور أولئك الرجال سنة تتبع، ولا مع المقتدين من الصدق والقصد ما لأجله عذروا أو غفر لهم، فيهلكون بذلك، وكما يحكى عن بعض الشيوخ أنه رؤي بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال: يا شيخ السوء أنت الذي كنت تتمثل فيَّ بسُعدى ولُبنى؟ لولا أني أعلم أنك صادق لعذبتك[3].

(١) هكذا في الأصل، ولعلها: «فلا يكون».
(٢) هكذا في الأصل ولعلها: «ما يكفر به».
(٣) ومن الذي يصدق مثل هذه المنامات التي يختلقها الصوفية الكذبة؟
وكل ما يحكونه عن شيوخهم من الأحوال والمواجيد فهو كذب كله وافتراء، يموِّهون به على العوام، وبأي وجه يصدق المؤمن مثل ما يحكيه سمنون وأمثاله عن أنفسهم ومواجيدهم، والتهمة إليهم أقرب، فضلاً عن أن يدعى لهم ما يشبه العصمة التي تجعل كل ما يحكون عن مواجيدهم الرهبانية والقسِّيسية الشيطانية صدقًا، يستدل بها على ما لا يقرّه الكتاب والسنة ولا يعرفه الصحابة أئمة الهدى رضي الله عنهم. قاله محقق الكتاب محل النقل جزاه الله خيرًا.

فإذا سمعت دعاء أو مناجاة مكروهة في الشرع قد قضيت حاجة صاحبها فكثيرًا ما يكون من هذا الباب، ولهذا كان الأئمة العلماء بشريعة الله يكرهون هذا من أصحابهم وإن وجد أصحابهم أثره، كما يحكى عن سمنون المحب، قال: وقع في قلبي شيء من هذه الآيات، فجئت إلى دجلة فقلت: وعزتك لا أذهب حتى يخرج لي حوت وخرج حوت عظيم، أو كما قال: فبلغ ذلك الجنيد، فقال: كنت أحب أن تخرج إليه حية فتقتله. وكذلك حكي لنا أن بعض المجاورين بالمدينة المنورة جاء إلى قبر النبي ﷺ فاشتهى عليه نوعًا من الأطعمة، فجاء بعض الهاشميين فقال إن النبي ﷺ بعث لك ذلك، وقال لك اخرج من عندنا، فإن من يكون عندنا لا يشتهي مثل هذا.

وآخرون قضيت حوائجهم ولم يقل لهم مثل هذا لاجتهادهم أو تقليدهم، أو قصورهم في العلم. فإنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره، كما حكي عن برخ العابد الذي استسقى في بني إسرائيل. وهكذا عامة ما يحكى من هذا الباب إنما هو من قاصري المعرفة، ولو كان هذا شرعًا ودينًا لكان أهل المعرفة أولى به.

لا يثبت استحباب الأفعال إلا بكتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السابقون الأولون

ثم قال: وقد علمت جماعة ممن سأل حاجته من بعض المقبورين من الأنبياء والصالحين، فقضيت حاجته، وهو لا يخرج عما ذكرته، وليس ذلك بشرع فيتبع، ولا سنة، وإنما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها دينًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السابقون الأولون، وما سوى هذا من الأمور المحدثات فلا يستحب وإن شملت أحيانًا على فوائد، لأنا نعلم أن مفاسدها راجحة على فوائدها.

**(استجابة الأدعية الشركية، إنما تتم بقدر الله وإذنه، وليس للمدعو من دونه من ذلك أدنى نصيب)**

ثم هذا التحريم أو الكراهة المقترنة بالأدعية المكروهة إما من جهة المطلوب وإما من جهة نفس الطلب.

وتكلم على الأول، ومثل له بأمثلة، ثم قال: وأما التحريم من جهة الطلب فيكون تارة دعاء لغير الله، مثل ما يفعله السحرة من مخاطبة الكواكب وعبادتها، ونحو ذلك. فإنه قد يقضى عقب ذلك أنواع من القضاء إذا لم يعارضه معارض، من دعاء أهل الإيمان وعباداتهم، وغير ذلك.

يتتشر الشرك دائمًا في أزمنة الفترات، وبلاد الكفر والنفاق

ولهذا تنفذ هذه الأمور في أزمان فترة من الرسل، وفي بلاد الكفر والنفاق ما لا تنفذ في دار الإيمان وزمانه.

ومن هذا أني أعرف رجالاً يستغيثون ببعض الأحياء في شدائد تنزل بهم، فيفرج عنهم، وربما عاينوا أمورًا. وذلك الحي المستغاث به لم يشعر بذلك، ولا علم له به البتة، وفيهم من يدعو على أقوام أو يتوجه في إيذائهم، فيرى بعض الأحياء أو بعض الأموات يحول بينه وبين إيذاء أولئك، وربما رآه ضاربًا له بسيف وإن كان الحائل لا شعور له بذلك، وإنما ذلك من فعل الله سبحانه وتعالى، بسبب يكون بين المقصود وبين الرجل الدافع من اتباع له وطاعة، فيما يأمره من طاعة الله عز وجل، ونحو ذلك فهذا قريب.

وقد يجري لعباد الأصنام أحيانًا من هذا الجنس المحرم محنة من الله عز وجل بما يفعله الشياطين لإغوائهم، فإذا كان الأثر قد يحصل عقب دعاء من تيقنا أنه لم يسمع الدعاء، فكيف يتوهم أنه هو الذي تسبب في ذلك؟ أو أن له فيه فعلاً؟

وإذا قيل: إن الله يفعله بذلك السبب، فإذا كان ذلك السبب محرمًا لم يجز، كالأمراض التي يحدثها الله عز وجل عقب أكل السموم، وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه دعاء لغير الله أن يدعو الله، كما تقول النصارى: يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الإله. وقد يكون دعاء لله لكنه توسل إليه بما لا يحب أن يتوسل به، كالمشركين الذين يتوسلون إلى الله عز وجل بأوثانهم. وقد يكون دعاء لله عز وجل بكلمات لا تصلح أن يناجى بها الله عز وجل ويدعى بها، لما في ذلك من الاعتداء، فهذه الأدعية ونحوها، وإن كان قد يحصل لصاحبها أحيانًا غرضه، لكنها محرمة لما فيها من الفساد الذي يربو على منفعتها كما تقدم.

**(الفرقان بين: الأمر القدري والأمر الشرعي، فرقان بين التوحيد والشرك، والمأمور والمحذور)**

ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده الله عز وجل وينوِّر قلبه، ويفرق بين أمر التكوين وأمر التشريع، ويفرق بين القدر والشرع، ويعلم أن الأقسام ثلاثة:

أمور قدَّرها الله عز وجل، وهو لا يحبها ولا يرضاها، فإن الأسباب المحصلة بهذه الأمور تكون محرمة موجبة لعقابه.

وأمور شرعها فهو يحبها من العبد ويرضاها، لكن لم يعنه على حصولها، فهذه محمودة عنده مرضية وإن لم توجد.

والقسم الثالث: أن يعين الله العبد على ما يحبه.

**فالأول**: إعـانة.

**والثاني**: عبادة.

والثالث: جمع له بين العبادة والإعانة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة/ ٥]، فما كان من الدعاء ــ غير المباح ــ ذا أثر فهو من باب الإعانة لا العبادة، كدعاء سائر الكفار والمنافقين والفساق. ولهذا قال تعالى في مريم ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾ [مريم/ ١٢].

وكان النبي ﷺ «يستعيذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»، ومن رحمة الله تعالى: أن الدعاء المتضمن شركًا، كدعاء غيره أن يفعل، أو دعائه أن يدعو الله، ونحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه، ولا يورث حصول الغرض إلَّا في الأمور الحقيرة، فأما الأمور العظيمة كإنزال الغيث عند القحوط، أو كشف العذاب النازل، فلا ينفع فيه هذا الشرك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠﴾ [الأنعام/ ٤٠، ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء/ ٦٧]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل/ ٦٢].

الأدعية المتضمنة شركًا لا يحصل بها ــ إن حصل ــ إلَّا الأمور الحقيرة دون العظيمة

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [النمل/ ٥٦، ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤].

**(القطع: بأن الله وحده هو القادر على إجابة الدعاء، وتقدير أسبابها دليل على وجوب وحدانيته في ألوهيته وربوبيته، وحجة على بطلان دعاء وتأله كل ما يعبد من دونه)**

فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب الدعاء فيها إلاَّ هو سبحانه، دل على توحيده، وقطع شبهة من أشرك به، وعلم بذلك أن ما دون هذا أيضًا من الإجابات إنما فعلها هو سبحانه وحده لا شريك له، وإن كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة، كما أن خلقه السموات والأرض والرياح والسحاب وغير ذلك من الأجسام العظيمة دل على وحدانيته، وأنه خالق لكل شيء وأن ما دون هذا بأن يكون خلقًا له أولى، إذ هو منفعل[1] عن الأسباب التي هي مخلوقاته العظيمة، فخالق السبب التام خالق للمسبب لا محالة.

من جعل لغير الله تدبيرًا معه في حاجات خلقه، فقد أشرك في الربوبية

وجماع الأمر: أن الشرك نوعان، شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبيرًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٢]، فبيَّن سبحانه وتعالى أنهم لا يملكون ذرة استقلالاً، ولا يشركونه في شيء من ذلك، ولا يعينونه على ملكه. ومن لم يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا فقد انقطعت علاقته.

دعاء غير الله، فيما لا يقدر عليه إلاَّ هو سبحانه شرك في الألوهية

وشرك الألوهية: بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة، كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٥]، فكما أن إثبات المخلوقات أسبابًا لا يقدح في توحيد

---

(١) أي: حادث وكائن، والمقصود به: إجابة الدعاء.

الربوبية ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء، ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاة استعانة.

**(إن إثبات بعض الأدعية الشركية في حال الضرورة، أسباب لقَبول الدعاء لا يقدح في وجوب إخلاص الدين كله لله، وكذا لا يجوز التعبد بها لحرمتها وعدم مشروعيتها)**

كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابًا لا تقدح في توحيد الألوهية، ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص، ولا يوجب أن تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك. إذ كان الله يسخط ذلك ويعاقب العبد عليه، وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته، إذ قد جعل الخير كله في إنا لا نعبد إلاَّ إياه ولا نستعين إلاَّ إياه، وعامة آيات القرآن لتثبيت هذا الأصل، حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام/ ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام/ ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...﴾ الآية [الأنعام/ ٧١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام/ ٩٤].

وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة/ ٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤]، وسورة الزمر أصل عظيم في هذا.

ومن هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج/ ١١ ــ ١٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت/ ٤١]، والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم، الذي هو أصل الأصول»[١].

عامة القرآن في تقرير التوحيد، الذي هو أصل الأصول

* * *

لقد اعتقد المشركون بأن الذي يملك النفع والضر هو الله، وظنوا أن هذا هو لب التوحيد، ومن ثم جعلوا بينهم وبين الله وسائط في عبادته، ليقربوهم إليه زلفى ــ بزعم أن هذا لا ينقض التوحيد ــ، وفرقوا في هذا المقام بين التوجه بالأصنام والأحجار، والتوجه بالأنبياء والأولياء والصالحين، وبهذا ترسخ الشرك في قلوبهم، وعضُّوا عليه بالنواجذ.

(١) منهاج التأسيس والتقديس ص ١٤٨ ــ ١٦٠.

**قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى في إبطال هذ الإفك:**

المشرك مكذب بـ لا إلـه إلاَّ الله، ويستتاب من شركه فإن تاب وإلاَّ قتل

فلا إلـه إلاَّ الله، نفي، وإثبات الإلهية كلها لله. فمن قصد شيئًا من قبر، أو شجر، أو نجم، أو ملك مقرب، أو نبي مرسل، لجلب نفع، وكشف ضر، فقد اتخذه إلـهًا من دون الله، مكذب بلا إلـه إلاَّ الله، يستتاب، فإن تاب وإلاَّ قتل.

شبهة وجوابها

فإن قال هذا المشرك: لم أقصد إلاَّ التبرك، وإني لأعلم أن الله هو الذي ينفع ويضر، فقل له: إن بني إسرائيل ما أرادوا إلاَّ ما أردت كما أخبر الله عنهم أنهم لما جاوزوا البحر: ﴿ **فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ [الأعراف/ ١٣٨]، فأجابهم بقوله: ﴿ **إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٣٨].

وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فممرنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف/ ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم**».

وقال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ** ﴿١٩﴾ ﴾ [النجم/ ١٩]، وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره: كان يلت السويق للحاج، فمات، فعكفوا على قبره.

شبهة وجوابها

فيرجع هذا المشرك، يقول: هذا في الشجر، والحجر، وأنا أعتقد في أناس صالحين، أنبياء وأولياء، أريد منهم الشفاعة، عند الله، كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله، فقل له: هذا دين الكفار بعينه، كما أخبر سبحانه بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر/ ٣]، وقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس/ ١٨].

وقد ذكر أناسًا يعبدون المسيح وعزيرًا، فقال الله: هؤلاء عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجونها، ويخافون عذابي كما تخافونه، وأنزل الله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ ﴾ الآية [الإسراء/ ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ... ﴾ الآيتين [سبأ/ ٤٠، ٤١].

الكتب السماوية كلها مصرِّحة ببطلان الشرك، وتكفير المشركين

والقرآن، بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرَّحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله، وأنهم أعداء الله ورسوله، وأنهم أولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم، ولا يقبل عملاً منهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء/ ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣ ﴾ [الفرقان/ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ [البقرة/ ٢٢].

النِّدّ: هو الكفء المطاع كطاعة الله

قال ابن مسعود وابن عباس: لا تجعلوا له أكْفاء من الرجال، تطيعونهم في معصية الله، وقال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «**اجعلتني لله ندًا؟ قل: ما شاء ا لله وحده**»، وقال ﷺ

لأصحابه: «**أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء**».

أكثر أهل الأرض مفتونون بالشرك

وبالجملة: فأكثر أهل الأرض، مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص من ذلك إلاَّ الحنفاء، أتباع ملة إبراهيم عليه السلاَّم، وعبادتها في الأرض من قبل قوم نوح كما ذكر الله، وهي كلها، ووقوفها، وسدانتها، وحجابتها، والكتب المصنفة في شرائع عبادتها، طبق الأرض، قال إمام الحنفاء: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٥]، كما قصَّ الله ذلك عنهم في القرآن، وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين»[١].

* * *

* **وأخيرًا لا آخرًا**: قرَّر المشركون أن دينهم قائم على أصل أصيل، وركن ركين، ألا وهو إجماع المسلمين، فالعلماء من كافة الأمصار، ـ والأمة من ورائهم تبع ـ قد استحسنوا دعاء الأموات، ولم يرونه شركًا ولا بدعة، بل ولا منكرًا من القول:

**وها هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين نراه يهدم هذا الأصل الذي ليس أصيلاً، والركن غير الركين، فقد سئل رحمه الله تعالى سؤالاً جاء فيه:**

قال السائل: إن قال قائل، تقرُّون: أن إجماع الأمة حجة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، وأنتم قد خالفتم جميع العلماء، من أهل الأمصار قاطبة، وادعيتم ما لم يدعه غيركم، وأنكرتم ما لم ينكر في جميع الأرض، وافتريتم أمرًا أنكرته جميع علماء الأمة، والإشارة هنا إلى التوحيد، وما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتكفير من

---

(١) الدرر السنية ٢/ ٨٧ ـ ٨٩.

أشرك بالله في ألوهيته عند المشاهد وغيرها، فما الجواب لذلك؟

يستحيل أن تجتمع الأمة على الشرك، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة

**فأجاب قدس الله روحه**: أما دعوى هذا المبطل إجماع العلماء، على جواز دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم، والتقرب إليهم بالنذور، والذبائح، فهذا كذب ظاهر، وشبهته: أن هذه الأمور ظاهرة في جميع الأمصار، ولم يسمعوا أن عالمًا أنكره، فيقال: بل أنكره كثير من علماء هذا الزمان، ووافق عليه خواص من علماء الحرمين واليمن، وسمعنا منهم مشافهة، ولكن الشوكة لغيرهم.

الطائفة المنصورة ظاهرة بالحجة دائمًا وبالسيف أحيانًا

وصنَّف فيه جماعة، كالنعمى من أهل اليمن، له مصنف في ذلك حسن، وكذلك الشوكاني، ومحمد بن إسماعيل، وغيرهم، ورأيت مصنفًا لعالم من أهل جبل سليمان في إنكار ذلك، وهذا مصداق قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**»، وليس المراد الظهور بالسيف، بل بالحجة دائمًا وبالسيف أحيانًا.

ولو قال هذا المجادل: إن أكثر الناس على ما يرى، لكان صادقًا، وهذا مصداق الحديث: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**».

بدع القبور ظاهرة غالبة في الأمصار

وأيضًا: فالبناء على القبور وإسراجها وتجصيصها، ظاهر غالب في الأمصار التي نعرف، مع أن النهي عن ذلك ثابت عن النبي ﷺ ومنصوص على النهي عنه في جميع المذاهب، فهل يمكن هذا المبطل، أن يقول: إن الأمة مجمعة على جواز ذلك لكونه ظاهرًا في الأمصار؟ والله سبحانه إنما افترض على الخلق طاعته،

لا يجوز التقليد في التوحيد والرسالة بإجماع الأمة

وطاعة رسوله وأمرهم أن يردوا إلى كتابه وسنَّة رسوله، ما تنازعوا فيه، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز التقليد في التوحيد والرسالة.

فإذا عرف: أن الشرك عبادة غير الله، وعرف معنى العبادة، وأنها كل قول وعمل يحبه الله ويرضاه، ومن أعظم ذلك الدعاء، لأنه مخ العبادة، وعلم ما يفعل عند القبور، من دعاء أصحابها بسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور والذبائح، عرف أن هذا هو الشرك الأكبر الذي هو عبادة غير الله تعالى، فإذا تحقق الإنسان ذلك، عرف الحق، ولم يبال بمخالفة أكثر الناس، ويعتقد أن الأمة لا تجتمع على ذلك، لأنه ضلالة.

بيان الحق، يجعل الإنسان لا يستوحش من قلة الموافقين وكثرة المخالفين

فإن قال هذا المجادل: إن هذه الأفعال التي تفعل عند القبور، وعلى القبور جائزة شرعًا، فهو محادٌّ لله ولرسوله، وإن قال: هذه الأمور لا تجوز، لكنها ليست شركًا، مع دعواه أن علماء الزمان أجمعوا على ذلك، فيلزمه أن الأمة أجمعت على ضلالة، والإنسان إذا تبيَّن له الحق، لم يستوحش من قلة الموافقين وكثرة المخالفين، لا سيما في آخر هذا الزمان.

اعرف الحق، تعرف أهله

وقول الجاهل: لو كان هذا حقًا ما خفي على فلان وفلان، هذه دعوى الكفار، في قولهم: ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف/ ١١]، ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ [الأنعام/ ٥٣]، وقد قال علي رضي الله عنه: اعرف الحق تعرف أهله.

غربة الإسلام تدل على غياب الحق عن كثير من المنتسبين إليه

وأما الذي في حَيرة ولبس، فكل شبهة تروج عليه، فلو كان أكثر الناس اليوم على الحق، لم يكن الإسلام غريبًا، وهو والله اليوم في غاية الغربة.

ولما ذكر ابن القيم رحمه الله: نوع الشرك وظهوره، قال: فما أعز من تخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره؟

يعني: ما أقل من لا يعادي من أنكره، وهذا قوله في زمانه، ولا يأتي عام إلاَّ وما بعده شر منه، كما قال النبي ﷺ، وقد نقلنا في الأوراق التي كتبناها ــ وهي عندكم ــ طرفًا من كلام العلماء في أنواع الشرك.

من جعل بينه وبين الله وسائط في عبادته، كفر إجماعًا

ومن ذلك قول شيخ الإسلام تقي الدين رضي الله عنه: فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، فهو كافر بإجماع المسلمين، انتهى. وهذا هو الذي يفعل اليوم عند هذه المشاهد، وهذا أظهر أمور الدين، ولكن ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور/ ٤٠].

ونسأل الله: أن يهدينا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين»[1].

❑ ❑ ❑

(١) الدرر السنية ١٠/ ٣٩٨ ــ ٤٠١.

## كلمات منتقاة، مضيئة

● كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على ألسنة الناس، يتخذونها سنة، إذا غيِّرت، قيل: غيِّرت السنة.

[الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

● لن يصلح آخر هذه الأمة، إلاَّ ما أصلح أولها.

[إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس]

● ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● فسائر حجج المشركين، دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله، ولا يثبت الدين بمثل هذه الأمور إلاَّ النصارى وأمثالهم.

وإنما المتَّبَع في إثبات أحكام الله عز وجل: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسبيل السابقين الأولين، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصًا واستنباطًا بحال.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني]

● والله سبحانه إنما افترض على الخلق طاعته، وطاعة رسوله، وأمرهم أن يردوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ما تنازعوا فيه، وأجمع العلماء: على أنه لا يجوز التقليد في التوحيد والرسالة . . .

قال علي رضي الله عنه: اعرف الحق تعرف أهله، وأما الذي في حيرة ولبس، فكل شبهة تروج عليه، فلو كان أكثر الناس اليوم على الحق، لم يكن الإسلام غريبًا، وهو والله اليوم في غاية الغربة.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين]

● من جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به وما نهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًا للآخر مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا . . . وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدًّا للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولاً وفعلاً.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● من أكبر أسباب عبادة الأوثان: تعظيم القبور.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرَّاني]

● لا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ما صنعوا.

ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا: أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسُّح بها، والصلاة عندها.

[الإمام الفقيه ابن قدامة الحنبلي]

● لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويجعلوها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانًا، لعنهم النبي ﷺ، ومنع المسلمين عن مثل ذلك.

[الإمام البيضاوي]

● إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا: من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلاَّ الله، ما يغضب لأجله كل من كان في قلبه وقار لله، وغيرة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميِّت إيلام.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● من نذر السفر إلى المدينة النبوية، إن كان مقصوده الصلاة في مسجد النبي ﷺ، وفَّى بنذره، وإن كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد، لم يف بنذره.

[إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس]

● استحباب شدِّ الرحال إلى القبور والمشاهد، والتقرب به إلى الله، قول مبتدع مخالف للإجماع.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر النبي ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوها حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره.

[الإمام القرطبي]

● الفتنة بالقبور: هي العلة التي لأجلها نهى الشارع من اتخاذ المساجد عليها، وهي التي أوقعت كثيرًا من الأمم، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك...

فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه، أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر.

ولهذا تجد أهل الشرك يتضرَّعون عندها، ويخشعون، ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر. . .

فلأجل هذه المفاسد، حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرَّاني]

● وبالجملة: فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض، أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه: صيغة «لا تفعلوا»، وصيغة «إني أنهاكم»، ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك. . .

فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ، صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له، وغضب لربه أن يعدل به سواه.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● وممَّن علَّل النهي عن اتخاذ القبور مساجد بخوف الفتنة والشرك: الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم، وهو الحق.

لقد لعن النبي ﷺ الذين يتخذون القبور مساجد، أي: كنائس وبيع، يتعبَّدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسموه مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم، ومثل ذلك: القباب والمشاهد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، فإنها هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم، وإن لم يسمها من بناها: مساجد.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم، يتعيَّن إزالتها بهدم أو بغيره.

هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرَّاني]

● إن من شرار الناس: الذين يتخذون القبور مساجد بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها. وهذا المعنى متواتر عن النبي ﷺ، معلوم بالاضطرار من دينه.

وكل ذلك شفقة على الأمة، وخوفًا عليها أن يقودها ذلك إلى الشرك بها وبأصحابهما، كما قاد ذلك اليهود والنصارى...

وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور، وتحريمه، ووجوب هدمه.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● لقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور، لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها وهو من ذرائع الشرك ووسائله.

فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

ولمّا وقع التساهل في هذه الأمور، ووقع المحذور، وعظمت الفتنة بأصحاب القبور، وصارت محطًّا لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة من: الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك ومحظور.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● وإذا قصد الرجل الصلاة عند القبور، متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادَّة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله.

فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه.

وقد صرَّح عامة الطوائف: بالنهي عن بناء المساجد عليها، متابعة منهم للسنَّة الصحيحة الصريحة.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرَّاني]

● وقد آل الأمر بهؤلاء الضلاَّل المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًّا، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه: «مناسك حج المشاهد»، مضاهاة منه القبور ببيت الله الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عبَّاد الأصنام.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● فإذا رجع عبَّاد القبور من حجهم لها، سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلِّف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● التوجه إلى الله بذات المخلوقين، والإقسام بهم على الله، بدعة منكرة لم تأت عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه والتابعين لهم بإحسان، ولا الأئمة الأربعة، ونحوهم من أئمة الدين.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاَّ به.

[الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان]

● أكره بحق فلان، وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام.

[الإمام أبو يوسف القاضي]

● المسألة بحق المخلوق لا تجوز، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو أنبيائك، ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

[الإمام القدوري]

● فلا إله إلاَّ الله، نفي، وإثبات الإلهية كلها لله، فمن قصد شيئًا من: قبر، أو شجر، أو نجم، أو ملَك مقرَّب، أو نبي مرسل، لجلب نفع أو كشف ضر، فقد اتخذه إلهًا من دون الله، مكذب بـ لا إله إلاَّ الله، يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل...

والقرآن بل الكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرِّحة ببطلان دين المشركين، وكفر أهله، وأنهم أعداء الله ورسوله، وأنهم أولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم، ولا يقبل عملاً منهم.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]



# الفصل الرابع

# الشفاعة وشروطها وأنواعها وأسباب تحصيلها وموانع الحرمان منها

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول : الشفاعة وشروطها.

المبحث الثاني : عدم فقه الفرق بين الشفاعة عند الخالق، ولدىٰ المخلوق، ورَّث الشرك وأصله في نفوس أهله.

المبحث الثالث : الفرق بين الشفاعة المثبتة والمنفية في القرآن العظيم.

## المبحث الأول
# الشفاعة وشروطها

إن الله له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهما، وكل ما دونه من الكائنات، مخلوق مربوب فقير مملوك لسيده سبحانه، وهو جلَّ في علاه الغني بذاته المقدسة عن كل ما سواه، وكل مخلوقاته في أشد ما يكونوا حاجة إليه، والله سبحانه ليس له شريك في ملكه، ولا معاون ولا ظهير، ولم يحتج لأحد من خلقه حتى يشفع عنده بغير إذنه، وذلك لكماله المطلق وملكه التام الذي لا نقص فيهما بوجه من الوجوه، ومن ثمّ كان لزامًا على كل عاقل لبيب أن يطلب الشفاعة بشروطها من مالكها، ويتضرَّع إليه وحده فيها، ويفوِّض أمره إليه، علَّه يفوز بحظ وافر منها، ويكتب من أهلها:

**قال الشيخ صالح الفوزان يحفظه الله تعالى:**

تعريف الشفاعة

«الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، وعرفًا: سؤال الخير للغير، وقيل: هي من الشفع الذي هو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له.

شروط الشفاعة

والشفاعة حق إذا تحققت شروطها، وهي أن تكون بإذن الله تعالى ورضاه عن المشفوع له، قال الله تعالى: ﴿ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم/ ٢٦].

ففي هذه الآية الكريمة أن الشفاعة لا تنفع إلاَّ بشرطين:

الشفاعة ملك لله وحده

**الأول**: إذن الله للشافع أن يشفع، لأن الشفاعة ملكه سبحانه ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر/ ٤٤].

من شروط الشفاعة: تحقيق التوحيد، مع البراءة من الشرك في حق الشافع والمشفوع فيه

**الثاني**: رضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد، لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر/ ٤٨].

فتبين بهذا بطلان ما عليه القبوريون اليوم، الذين يطلبون الشفاعة من الأموات، ويتقرَّبون إليهم بأنواع القربات، كما قال الله في سلفهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس/ ١٨]، وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤].

## (أنواع شفاعات النبي ﷺ)

وقد أعطي نبينا ﷺ الشفاعة، فيشفع لمن أذن الله له فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وله ﷺ ثلاث شفاعات:

**أما الشفاعة الأولى**: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن تتراجعَ الأنبياءُ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدِّيقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها».

الشفاعة في أهل الذنوب، من أصول أهل السنَّة، التي باينوا بها أصول أهل البدع

وقال رحمه الله: «وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته، فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها، وعند هؤلاء ما ثم إلاَّ من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب...».

أدلة المنكرين للشفاعة

إلى أن قال: «واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة/ ٤٨]، وبقوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر/ ١٨]، وبقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر/ ٤٨].

وجواب أهل السنة: أن هذا يراد به شيئان:

الرد على استدلالاتهم

الشفاعة لا تنفع المشركين

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين، كما قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر/ ٤٢ ـ ٤٨]، فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارًا.

الشفاعة عند الله بغير إذنه لا تقع

**والثاني**: أنه يراد بذلك الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس في بعضهم عند بعض»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

الأدلة على بطلان تأله غير الله سبحانه

أي: ﴿قُلِ﴾ [سبأ/ ٢٢] يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزمًا لهم بعجزها، ومبينًا بطلان عبادتها: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع. فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه.

كيف قطعت هذه الآية العظيمة مواد الشرك وأصوله

فإنهم ليس لهم أدنى ملك ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ/ ٢٢]، على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولهذا قال: ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم ﴿فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: في السموات والأرض.

﴿مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك.

---

(١) الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

بقي أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعوانًا للمالك، ووزراء له، فدعاؤهم يكون نافعًا، لأنهم ـ بسبب حاجة الملك إليهم ـ يقضون حوائج من تعلق بهم.

فنفى تعالى هذه المرتبة فقال: ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: لله تعالى الواحد القهار ﴿مِنْهُم﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: من هؤلاء المعبودين ﴿مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: معاون ووزير، يساعده على الملك والتدبير.

فلم يبق إلاَّ الشفاعة، فنفاها بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ/ ٢٣].

فهذه أنواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأندادهم، وأوثانهم، من البشر والشجر وغيرهم، قطعها الله وبيَّن بطلانها، تبيينًا حاسمًا لمواد الشرك، قاطعًا لأصوله، لأن المشرك، إنما يدعو ويعبد غير الله، لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا كان من يدعوه غير الله، لا مالكًا للنفع والضر، ولا شريكًا للمالك، ولا عونًا وظهيرًا للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء وهذه العبادة، ضلالاً في العقل، باطلة في الشرع، بل ينعكس على المشرك مطلوبه ومقصوده، فإنه يريد منها النفع، فبيَّن الله بطلانه وعدمه، وبين في آيات أخر، ضررها على عابديها، وأنه يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضًا، ومأواهم النار ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف/ ٦]، والعجب، أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل، بزعمه أنهم بشر، ورضي أن يعبد ويدعو الشجر والحجر استكبر عن الإخلاص للملك الرحمن

اتفاق العقول والشرع على بطلان الشرك

تناقض المشركين، لو كانو يفقهون

الديان، ورضي بعبادة من ضره أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له وهو الشيطان»[1].

**وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمهما الله تعالى في شرحه للآية السابقة أثناء شرحه على كتاب التوحيد:**

قوله: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، أي: أن الله تعالى نفى في الآية المذكورة قبل ما يتعلق به المشركون من الاعتقاد في غير الله من الملك والشركة فيه والمعاونة والشفاعة، فهذه الأمور الأربعة هي التي يتعلق بها المشركون.

قوله: فنفى أن يكون لغيره ملك، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ/ ٢٢]، ومن لا يملك هذا المقدار فليس بأهل أن يُدعى.

قوله: أو قسط منه، أي من الملك، والقسط ــ بكسر القاف ــ هو النصيب من الشيء، وذلك في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي ما لمن تدعون من الملائكة وغيرهم فيها، أي: في السموات والأرض من شرك، ومن ليس بمالك ولا شريك للمالك فكيف يدعى من دون الله؟

قوله: أو أن يكون عونًا لله، وذلك في قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ/ ٢٢]، أي: ما لله ممن تدعونهم عون.

قوله: ولم يبق إلاَّ الشفاعة، فتبين أنها لا تنفع إلاَّ لمن أذن له الرب... إلخ. جملة الشروط التي لا بد وأن يكون أحدها في المدعو، أربعة حتى يقدر على إجابة من دعاه:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٨٦، ١٨٧.

الأول: الملك، فنفاه بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ/ ٢٢].

الثاني: إذا لم يكن مالكًا فيكون شريكًا للمالك، فنفاه بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ/ ٢٢].

الثالث: إذا لم يكن مالكًا ولا شريكًا للمالك فيكون عونًا ووزيرًا، فنفاه بقوله: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ/ ٢٢].

كيف أبطل القرآن: دعوة غير الله تعالى

الرابع: إذا لم يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا فيكون شفيعًا، فنفى سبحانه وتعالى الشفاعة عنده إلاَّ بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع ابتداء فيشفع، فبنفي هذه الأمور بطلت دعوة غير الله، إذ ليس عند غيره من النفع والضر ما يوجب قصده بشيء من العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان/ ٣]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس/ ٧٤، ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان/ ٥٥]»[1].

**وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في شرحه لآية الكرسي:**

«فهو سبحانه المالك لجميع الممالك، وهو الذي له صفات الملك والتصرف والسلطان والكبرياء.

من تمام ملكه سبحانه: عدم الشفاعة في كونه، إلاَّ من بعد إذنه

ومن تمام ملكه أنه لا: ﴿يَشْفَعُ عِندَهُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، أحد ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. فكل الوجهاء والشفعاء، عبيد له مماليك، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم:

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٤/ ١٩٥.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الزمر/ ٤٤]. والله لا يأذن لأحد أن يشفع إلاَّ فيمن ارتضى ، ولا يرتضي إلاَّ توحيده، واتباع رسله، فمن لم يتصف بهذا، فليس له في الشفاعة نصيب»[1].

**وقال أيضًا رحمه الله تعالى في قول الله سبحانه:** ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ **[الزخرف/ ٨٦]**:

«ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئًا، ولا يقدم على الشفاعة عند أحد، إلاَّ بإذنه. ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الزخرف/ ٨٦]، أي: كل من دعى من دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة ولا يشفعون إلاَّ بإذن الله، ولا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزخرف/ ٨٦]، أي: نطق بلسانه، مقرًا بقلبه، عالمًا بما يشهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهي الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاؤا به، من أصول الدين وفروعه وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفعهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عقاب الله، الحائزون لثوابه»[2].

من شروط الشفاعة: العلم بمدلول الشهادتين، مع القيام به ظاهرًا وباطنًا

❑ ❑ ❑

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٢٠٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ٤٦١.

المبحث الثاني

## عدم فقه الفرق بين الشفاعة عند الخالق ولدىٰ المخلوق، ورَّث الشرك وأصَّله في نفوس أهله

الفرق بين الشفاعة عند الله سبحانه، والشفاعة المعهودة لدى بني البشر، كالفرق بين: الخالق، الرب، السيد، المالك، الغني، الذي لا حاجة له إلى أحد من خلقه... والمخلوق، المربوب، العبد، المملوك، الفقير، المحتاج إلى غيره من كافة الوجوه.

ولمّا لم يفقه المشركون ذلك الفرق، ترسَّخ الشرك في قلوبهم، طلبًا لشفاعة أندادهم عند الله، قياسًا منهم على طلبهم لها لدى المخلوقين بعضهم من بعض أمثالهم.

**قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى، في قوله سبحانه:**

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس/ ١٨].

* يقول تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾، أي: المشركون المكذبون لرسول الله ﷺ، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾، أي: إن معبوداتهم، لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع، ولا تدفع عنهم شيئًا، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، قولاً خاليًا من البرهان: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: يعبدونهم، ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم. ولهذا قال تعالى ـ مبطلاً لهذا القول ـ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أي: الله تعالى هو العالم الذي أحاط علمًا بجميع ما في السموات والأرض، وقد أخبركم، بأنه ليس له شريك ولا إلٰه معه، أفأنتم ـ يا معشر المشركين ـ تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتوه؟ أأنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلَّال الجهَّال السفهاء، أعلم من رب العالمين؟ فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه.

الشرك لا دليل عليه إلَّا الإفك والبهتان

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس/ ١٨]، أي: تقدَّس وتنزَّه أن يكون له شريك أو نظير بل هو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا إله في السموات والأرض إلَّا هو.

الشرك باطل، عقلاً وفطرة وشرعًا

وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلاً، وشرعًا، وفطرة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج/ ٦٢]»[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢/ ٣٠٩، ٣١٠.

وقال أيضًا رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤٣].

* ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء، يتعلَّق بهم، ويسألهم ويعبدهم:

﴿ قُلْ ﴾ لهم ـ مبينًا جهلهم، وأنها لا تستحق شيئًا من العبادة ـ: ﴿ أَوَلَوْ كَانُواْ ﴾، أي: من اتخذهم من الشفعاء ﴿ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا ﴾، أي: لا مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. بل ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾، أي: وليس لهم عقل، يستحقون أن يمدحوا به، لأنها جمادات من أحجار، وأشجار، وصور، وأموات، فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلاً؟ أم هو من أضل الناس وأجهلهم، وأعظمهم ظلمًا؟

الدليل العقلي والشرعي على بطلان الشرك

﴿ قُل ﴾ لهم: ﴿ لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ لأن الأمر كله لله، وكل شفيع، فهو يخافه، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه، فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين.

ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله: ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾، أي: جميع ما فيها من الذوات، والأفعال، والصفات، فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، وتخلص له العبادة. ﴿ ثُمَّ

فكما أن الله لا شريك له في ملكه، فكذلك لا شريك له في شفاعته

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾، فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، ومن أشرك به بالعذاب الوبيل»(١).

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمهما الله تعالى ـ مبينًا سر الشرك، وعلته، مع كيفية الرد الباهر عليه:**

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عبَّاد الأصنام، قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الألطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناه منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء على الجسم المقابل له، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله وإقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره. وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم كان أقرب إلى الانتفاع به.

انتبه: هنا سر الشرك وعلته!!!

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرَّح بها عبَّاد الكواكب في عبادتها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعبَّاد القبور اتخاذها أعيادًا وتعليق الستور عليها وإيقاد السرج وبناء المساجد عليها، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده. وكان رسول الله ﷺ في شق وهؤلاء في شق، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن

الرسول ﷺ في شق، والمشركون في شق آخر

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ٣٢٧.

آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله، قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرَّب عند الله وتوجَّه بهمَّته إليه وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به، فما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به، فهذا سر عبادة الأصنام، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم وأوجب لهم النار.

لقد أرسل الله رسله، وأنزل كتبه لإبطال الشرك وعلته

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم، قال الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤]، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده وهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه.

الشفاعة لله جميعًا ومنه وحده سبحانه، فالله عزَّ وجلّ يشفع بنفسه إلى نفسه، ليرحم عباده من عذابه

فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا ﴾ [البقرة/ ٤٨]، وقوله: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ [البقرة/ ٢٥٤]، وقال:

الفرق بين الشفاعة الصحيحة، والشفاعة الباطلة

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام/ ٥١].

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد سبحانه رحمة لعبده أذن هو لمن يشفع فيه. كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس/ ٣]، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

الفرق بين: شفاعة الشريك المعاون، وشفاعة العبد المأمور

فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل يشفع بإذنه، والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك، فإنه لا شريك له، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول: اشفع في فلان.

أسعد الناس بالشفاعة: أهل التوحيد الخُلَّص

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة: أهل التوحيد الذين جرَّدوا التوحيد وخلَّصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه/ ١٠٩].

فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلَّا بعد رضا قول المشفوع له وإذنه للشافع، فأما المشرك فإنه لا يرضاه ولا يرضى قوله، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فإنه سبحانه علَّقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

سر ذلك: أن الأمر كله لله وحده

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة

المقرَّبون، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلاَّ من بعد إذنه لهم، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه، فإذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه، ظنًا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه، فإن هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.

المشرك: من أجهل الناس بحق الرب، وما يجب له ويمتنع عليه

## (علة عظيمة تبيِّن فساد قياس الخالق على المخلوق في مسألة الشفاعة)

وبهذا القياس الفاسد عُبدت الأصنام، واتَّخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بينهما: هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيد والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به إلى أحد قط، والمحتاج من كل وجه إلى غيره.

فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم، فإن قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قَبول شفاعتهم، وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون إلى غيرهم، فلا يجدون بدًّا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا.

فأما الذي غناه من لوازم ذاته، وكل ما سواه فقير إليه لذاته، وكل من في السموات والأرض عبيد له مقهورون لقهره، مصرَّفون بمشيئته، لو أهلكهم جميعًا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة/ ١٧]، وقال في سيدة آي القرآن آية الكرسي: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فأخبر أن ملكه السموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وأن أحدًا لا يشفع عنده إلاَّ بإذنه، فإنه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض.

الشفاعة المنفية في القرآن هي التي من دونه، وأما المثبتة: فهي التي من بعد إذنه

فتبيَّن أن الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض. ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هي المعروفة عند الناس، ويقيدها تارة بأنها لا تنفع إلاَّ بإذنه، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه، فإنه الذي أذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع، والذي وفَّقه لفعل ما يستحق به الشفاعة.

## (الفرق بين سلوك الموحد والمشرك في الشفاعة)

فمتَّخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه، ومتخذ الرب وحده إلـٰهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه الذي يتقرب إليه

وحده ويطلب رضاه، ويتباعد من سخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس/ ١٨].

فبين سبحانه وتعالى أن متَّخذي الشفعاء: مشركون، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم.

سر الفرق بين الشفاعتين

وسر الفرق بين الشفاعتين: أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقًا ولا أمرًا ولا إذنًا، بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الأسباب، وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجله ما يوافقه، كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه، وقد يكون عنده ما يخالفه كمن يشفع إليه في أمر يكرهه، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض فيقبل شفاعة الشافع، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها، وقد يتعارض عنده الأمران فيبقى مترددًا بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد، وبين الشفاعة التي تقتضي القبول فيتوقف إلى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح.

وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه وتعالى، فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع لم يمكن أن توجد، والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له، فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامتثال الأمر، فإن أحدًا من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلاَّ بمشيئة الله وخلقه.

**(العلم بالفرق بين الشفاعة عند الخالق ولدى المخلوق، يبيِّن حقيقة الفرق بين التوحيد والشرك)**

فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبده، فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله من النفع والضر والمعاونة وغير ذلك. كما أن الشافع محتاج إليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره، فكل منهما محتاج إلى الآخر.

ومن وفَّقه الله لفهم هذا الموضوع، تبين له حقيقة التوحيد والشرك، والفرق بين ما أثبته الله من الشفاعة وما نفاه وأبطله. ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم علم: أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء والسلف على شيء، كما قيل:

سارت مشرِّقة وسرت مغرِّبًا ... شتان بين مشرِّق ومغرِّب

والأمر والله أعظم مما ذكرناه، انتهى.

وبه كمل الجواب، والحمد لله الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلَّى الله على سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا»[1].



(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/ ٢٨٠ ــ ٢٨٤.

## المبحث الثالث

# الفرق بين الشفاعة المثبتة والمنفية في القرآن العظيم

لقد أثبت القرآن الشفاعة في موضع، ونفاها في آخر، ليتجلّى بذلك الإثبات والنفي: الفرق بين حقيقة التوحيد والشرك.

والشفاعة المثبتة هي شفاعة العبد، المملوك، المربوب، المأمور من قبل سيده أن يشفع فيمن شاء من خلقه، ممن حقَّقوا شروطها.

والشفاعة المنفية: هي شفاعة الشريك، والمعاون، والوزير...

لأن الله سبحانه واحد في صفاته، وأفعاله، وربوبيته، وألوهيته، لا سميَّ له، ولا ندّ، ولا نظير. ومن ثمّ كان أسعد الناس بالشفاعة: أهل التوحيد الخلّص، الذين جرَّدوه من شوائب الشرك ومتعلِّقاته، وأما أهل الشرك والتنديد فليس لهم منها أدنى نصيب:

**قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

«الشفاعة نوعان: شفاعة منفية في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمشرك. قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ

وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة/ ٢٥٤]، وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر/ ٤٨]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة/ ٤٨]، ونحو هذه الآيات كقوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس/ ١٨].

ما لا يعلمه الله فلا وجود له، لأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية

يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله، أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك وما لا يعلمه لا وجود له، فنفى وقوع هذه الشفاعة، وأخبر أنها شرك بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس/ ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر/ ٣].

فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعًا يزعم أنه يقرِّبه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته، لأن جعل لله شريكًا يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عله ويحبه، كما يحب الله تعالى أو أعظم.

(النوع الثاني): الشفاعة التي أثبتها القرآن، وهي خالصة لأهل الإخلاص وقيَّدها تعالى بأمرين:

قيود الشفاعة المثبتة

(الأول): إذنه للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. وإذنه تعالى لا يصدر إلَّا إذا رحم عبده الموحد المذنب، فإذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له.

(الأمر الثاني): رضاه عمَّن أذن للشافع أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨].

فالإذن بالشفاعة له بعد الرضا، كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضى إلاَّ التوحيد»[1].

**وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى، أثناء عرضه لعقيدته لأهل القصيم:**

لا ينكر شفاعة النبي ﷺ، إلاَّ أهل البدع والضلال

«وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع، وأول مشفَّع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلاَّ أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلاَّ من بعد الإذن والرضى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم/ ٢٦]، وهو: لا يرضى إلاَّ التوحيد، ولا يأذن إلاَّ لأهله، وأما المشركون: فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر/ ٤٨]»[2].

الله سبحانه لا يرضى إلاَّ التوحيد، ولا يأذن في الشفاعة إلاَّ لأهله

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى في ذات المعنى والمقصد:**

«ونؤمن: بشفاعة النبي ﷺ، وأنه أول شافع وأول مشفِّع، ولا ينكرها إلاَّ مبتدع ضال، وأنها لا تقع إلاَّ بعد الإذن والرضا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨]، وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم/ ٢٦].

---

(١) قرة عيون الموحِّدين ص ٩٧.

(٢) الدرر السنية ١/ ٣١.

وهو سبحانه، لا يرضى إلاَّ التوحيد، ولا يأذن إلاَّ لأهله، قال أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**من قال لا إلـه إلاَّ الله، خالصًا من قلبه**».

المشركون ليس لهم في الشفاعة نصيب

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر/ ٤٨]»[1].

**وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمهما الله تعالى:**

الشفاعة الشركية باطلة في الدارين

«إن الشفاعة التي يطلبها المشركون من الشفعاء والأنداد من دون الله منتفية دنيا وآخرة، كما قال تعالى عن مؤمن يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [يس/ ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [غافر/ ٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف/ ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود/ ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام/ ٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟

---

(١) الدرر السنية ١/ ٥٧٤.

﴿لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص/ ٦٤]، فهذه حال كل من دعي من دون الله لشفاعة أو غيرها في الدنيا والآخرة»[١].

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني رحمه الله تعالى، وطيَّب مثواه:**

## فصل

وأما من يأتي إلى قبر نبي أو رجل صالح، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح، وليس كذلك يسأله ويستنجد به، فهذا على ثلاث درجات:

إحداهما: أن يسأل حاجته، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه، أو يقضي دَينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلَّا الله تعالى، فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلَّا قتل.

وإن قال: أنا أسأله لأنه أقرب إلى الله مني، ليشفع لي في هذه الأمور لأني أتوسل به إلى الله كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه.

الشفاعة الباطلة، هي التي أوقعت المشركين في شركهم

فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم. ولذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣].

الأمر كله لله، ولذلك فلا شفاعة إلَّا من بعد إذنه

وقد قال سبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ [الزمر/ ٤٣]، إلى قوله: ﴿تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر/ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُم

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٩٦.

﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة/ ٤]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

الفرق بين الخالق والمخلوق في مسألة الشفاعة

فبين الفرق بينه وبين خلقه، فإن من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته، إما رغبة وإما رهبة، وإما حبًّا وإما مودة، وإما غير ذلك، والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلاَّ ما يشاء، وشفاعة الشافع من إذنه، والأمر كله له، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: «**لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**».

فبين أن الرب لا يفعل إلاَّ ما يشاء، ولا يكرهه أحد على ما يختاره، كما قد يكره الشافع المشفوع إليه، وكما يكره السائل المسؤول إذا ألح عليه بالمسألة وآذاه، فالرغبة يجب أن تكون إليه، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝﴾ [الشرح/ ٧، ٨]، والرهبة يجب أن تكون منه قال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝﴾ [البقرة/ ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة/ ٤٤]، وقد أمرنا أن نصلي على النبي ﷺ في الدعاء، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا.

الصلاة على النبي ﷺ، من أسباب إجابة الدعاء

وقول كثير من الضلال: هذا أقرب إلى الله تعالى مني وأنا بعيد من الله، لا يمكن أن أدعوه إلاَّ بهذه الواسطة، ونحو ذلك، هو من قول المشركين، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

الرد على أعتى شبه المشركين

وقد روي أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا: «يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله الآية».

وفي الصحيح: «إنهم كانوا في سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالدعاء والتكبير والتلبية فقال النبي ﷺ: **يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب لأحدكم من عنق راحلته**».

وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة ومناجاته فيها، وأمر كلاًّ منهم أن يقول فيها: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة/ ٥]، وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣] »[1].

**وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد، وحفيده عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله جميعًا في شرحه عليه:**

## باب الشفاعة

وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١ ﴾ [الأنعام/ ٥١].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر/ ٤٤]، وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقوله: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦ ﴾ [النجم/ ٢٦]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) منهاج التأسيس والتقديس ص ١٧٨، ١٧٩.

﴿وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلاَّ الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلاَّ لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ـ لا يبدأ بالشفاعة أوَّلاً ـ ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقل تسمع وسل تُعط، واشفع تُشفَّع».

وقال أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إلـه إلاَّ الله خالصًا من قلبه**»، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

حقيقة الشفاعة

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضَّل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلاَّ لأهل التوحيد والإخلاص. اهـ. كلامه.

**فيه مسائل:**

**الأولى**: تفسير الآيات.

**الثانية**: صفة الشفاعة المنفية.

**الثالثة**: صفة الشفاعة المثبتة.

**الرابعة**: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

**الخامسة**: صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد فإذا أُذن له شفع.

**السادسة**: من أسعد الناس بها.

**السابعة**: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

**الثامنة**: بيان حقيقتها.

## [ الشـرح ]

قوله: باب الشفاعة أي: بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه. وحقيقة ما دل القرآن على إثباته.

### (المؤمنون أفردوا ربهم بالولاية والشفاعة)

قوله: وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام/ ٥١].

الإنذار: هو الإعلام بالمخافة والتحذير منها.

قوله: ﴿ بِهِۦ﴾ ، قال ابن عباس: «بالقرآن» ﴿ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام/ ٥١]، وهم: المؤمنون. وعن الفضيل ابن عياض: ليس كل خلقه عاتب، إنما عاتب الذين يعقلون، فقال: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام/ ٥١]، وهم المؤمنون أصحاب العقول الواعية.

وقوله: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام/ ٥١]، قال الزجاج: موضع «ليس» نصب على الحال، كأنه قال: متخلين من كل ولي وشفيع. والعامل فيه «يخافون».

قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام/ ٥١]، أي: فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر/ ٤٤]، وقبلها: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر/ ٣٤]، وهذه كقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس/ ٨].

فبيَّن تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع، وأن اتخاذهم شفعاء شرك، يتنزَّه الرب تعالى عنه. وقد قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف/ ٢٨].

فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليههم، أن ذلك منهم إفك وافتراء.

الشفاعة ملك لله، فلا تطلب إلاَّ منه سبحانه

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر/ ٤٤]، أي: هو مالكها، فليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه، لأن ذلك عبادة وتأليه لا يصلح إلاَّ لله.

قال البيضاوي: لعله ردّ لما عسى أن يجيبوا به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون.

وقوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة/ ١٠٧]، تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه، لأنه مالك الملك، فاندرج في

ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكها بطل أن تطلب ممن لا يملكها.

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء/ ٢٨].

قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلاَّ ليقرِّبونا إلى الله زلفى، قال الله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤٤].

قال وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، قد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله. وفي هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه/ ١٠٩]، فبين أنها لا تقع لأحد إلاَّ بشرطين: إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه، وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلاَّ ما أريد به وجهه، ولقي العبد به ربه مخلصًا غير شاك في ذلك، كما دل على ذلك الحديث الصحيح، وسيأتي ذلك مقررًا أيضًا في كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

الإخلاص شرط لقبول الأعمال الظاهرة والباطنة

**(كيف قطع القرآن: أسباب الشرك، وأصوله، ومواده، واجتث شجرته)**

وقوله: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم/ ٢٦]، كقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ/ ٢٣].

فإذا كان هذا في حق الملائكة المقرَّبين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟!!

الشرك محرم في كافة الشرائع

قال: وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلاَّ ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده.

فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا، منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى: الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك وموادِّه لمن عقلها.

تناول القرآن لمشركي اليوم، كتناوله لمشركي قريش

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمُّنه له، ويظنونها في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله، إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال: ومن أنواعه ــ أي: الشرك ــ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، وهذا أصل شرك العالم. فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلاً عمن استغاث به وسأله أن يشفع له إلى الله.

وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده. فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلاَّ بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها.

سبب الإذن بالشفاعة كمال التوحيد

وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقَّصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقُّص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

الشرك: تنقص بالخالق، شاء المشرك ذلك أم أبى

وما نجى من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلاَّ من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرَّد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله، متبعًا لأمره متطلبًا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله وبالله ومع الله. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

كيفية النجاة من الشرك الأكبر

وهذا الذي ذكره الإمام في معنى الآية هو حقيقة دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء/ ١٢٥].

قوله: قال أبو العباس هذه كنية شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرَّاني إمام المسلمين رحمه الله.

**(نفى الله عمّا سواه كل علائق المشركين)**

قوله: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله. فلم يبق إلاَّ الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلاَّ لمن أذنه له الرب، كما قال تعالى عن الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده»، لا يبدأ بالشفاعة أوَّلاً. ثم يقال له: «ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع». وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلاَّ الله خالصًا من قلبه**».

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقتها: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلاَّ لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى.

قوله: وقال أبو هريرة إلى آخره. هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبـي هريرة ورواه أحمد وصححه ابن حبان وفيه: «**وشفاعتي لمن قال لا إلـه إلاَّ الله مخلصًا، يصدق قلبه ولسانه، ولسانه قلبه**»، وشاهده في صحيح مسلم عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبـي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبـي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا**».

الشفاعة: لمن قال لا إله إلا الله مخلصًا صادقًا

وقد ساق المصنف رحمه الله كلام شيخ الإسلام هنا، فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات، وهو كاف واف بتحقيق مع الإيجاز. والله أعلم.

وقد عرف الإخلاص بتعريف حسن فقال: «الإخلاص محبة الله وحده وإرادة وجهه». اهـ.

تعريف: الإخلاص

**(التوحيد: مضاد لما عليه المشركون)**

وقال ابن القيم رحمه الله في معنى حديث أبـي هريرة: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال: باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبـي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة: تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهل المشرك: اعتقاده أن من اتخذه وليًّا أو شفيعًا أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن في الشفاعة إلاَّ لمن يرضى قوله وعمله،

لقد أوتي المشرك من قِبَل جهله

ثلاثة فصول: تقطع شجرة الشرك من جذور القلوب

كما قاله في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨].

وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلاَّ توحيده واتباع رسوله ﷺ، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ووعاها. اهـ.

وذكر أيضًا رحمه الله تعالى أن الشفاعة ستة أنواع:

أنواع الشفاعة المثبتة

**الأول**: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: «أنا لها»، وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف، وهذه شفاعة يختص بها من لا يشركه فيها أحد.

**الثاني**: شفاعته لأهل الجنة في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

**الثالث**: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

من أنكر شفاعة النبي ﷺ من عصاة الموحدين، فهو مبتدع ضال، مخالف لإجماع الصحابة

**الرابع**: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم. والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ. وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدَّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال.

**الخامس**: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد.

وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا شفيعًا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام/ ٥١].

السادس: شفاعته في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفَّف عذابه، وهذه خاصة بأبـي طالب وحده»[١].

❑ ❑ ❑

(١) فتح المجيدص ٢٠١ ـ ٢٠٨.

## كلمات منتقاة، مضيئة

• وأومن بشفاعة النبي ﷺ، وأنه أول شافع، وأول مشفَّع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلاَّ أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلاَّ من بعد الإذن والرضى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨].

وهو سبحانه لا يرضى إلاَّ التوحيد، ولا يأذن إلاَّ لأهله، وأما المشركون: فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر/ ٤٨].

**[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]**

• وله ﷺ ثلاث شفاعات:

**أما الشفاعة الأول**: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم، بعد أن تتراجع الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم، عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.

**وأما الشفاعة الثانية**: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

**وأما الشفاعة الثالثة**: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدّيقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته، فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها، وعند هؤلاء ما ثمّ إلاَّ من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد: ثواب وعقاب.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية]

● وأما شفاعته ﷺ في العصاة من أهل التوحيد، الذين يدخلون النار بذنوبهم، فالأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● إن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده، وهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه، ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه.

فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه وأمره، بعد شفاعته إلى نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وحتى التي أبطلها الله سبحانه وتعالى.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئًا، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلاَّ بإذنه.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الزخرف/ ٨٦]، أي: كل من دعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يشفعون إلَّا بإذن الله، ولا يشفعون إلَّا لمن ارتضى، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف/ ٨٦]، أي: نطق بلسانه، مقرًّا بقلبه، عالمًا بما يشهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهي: الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاءوا به من أصول الدين وفروعه وحقائقه وشرائعه.

فهؤلاء الذين تنفعهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عقاب الله، والحائزون لثوابه.

[الشيخ عبد الرحمن السعدي]

● فالشفاعة لا تنفع إلَّا بشرطين:

**الأول**: إذن الله للشافع أن يشفع، لأن الشفاعة ملكه سبحانه، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر/ ٤٤].

**الثاني**: رضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد، لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر/ ٤٨].

فتبين بهذا بطلان ما عليه القبوريون اليوم، الذين يطلبون الشفاعة من الأموات، ويتقرَّبون إليهم بأنواع القرُبات.

[الشيخ صالح الفوزان]

● فالشفاعة بإذنه سبحانه، وليس شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه بل يشفع بإذنه، والفرق بين الشفعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور.

فالشفاعة التي أبطلها القرآن: شفاعة الشريك، فإن الله لا شريك له سبحانه، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع، ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له، ويقول: اشفع في فلان.

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة: أهل التوحيد، الذين جرَّدوا التوحيد، وخلَّصوه من تعلقات الشرك وشوائبه.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعًا. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلاَّ ممن فيه خصلة من هذه الأربع:

إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكًا، كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له، كان معينًا وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا، كان شفيعًا عنده.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا، متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى: الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفى بهذه الآية: نورًا، وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك وموادِّه لمن عقلها.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● فالشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقتها: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن: ما كان فيها الشرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلاَّ لأهل التوحيد والإخلاص.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية]

● والله لم يجعل سؤال غيره واستغاثته به، سببًا لإذنه في الشفاعة، وإنما السبب: كمال التوحيد. فجاء المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها. وهذه حال كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقَّصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالون عليه.

وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

[الإمام ابن قيم الجوزية]

● وسر ذلك: أن الأمر كله لله وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم: الرسل، والملائكة المقرَّبون، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدَّمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلاَّ من بعد إذنه لهم، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه، فإذا أشركهم به المشرك، واتخذهم شفعاء من دونه، ظنًا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا

له عند الله فهم من أجهل الناس بحق الرب سبحانه، وما يجب له ويمتنع عليه، فإن هذا محال ممتنع، يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي. والفرق بينهما، هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيد والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● وأما من يأتي إلى قبر نبي، أو رجل صالح، وقال: أنا أسأله لأنه أقرب إلى الله مني ليشفع لي، لأني أتوسل به إلى الله، كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه.

فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء، يستشفعون بهم في مطالبهم...

وقول كثير من الضلال: هذا أقرب إلى الله تعالى مني، وأنا بعيد من الله، لا يمكن أن أدعوه إلاَّ بهذه الواسطة ونحو ذلك، هو من قول المشركين.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية]

● والعجب: أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل بزعمه أنهم بشر، ورضي أن يعبد ويدعو الشجر والحجر، واستكبر عن الإخلاص للملك الرحمن الديان، ورضي بعبادة من ضرّه أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له وهو الشيطان.

[الشيخ عبد الرحمن السعدي]

● من جهل المشرك: اعتقاده أن من اتخذه وليًا أو شفيعًا، أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الولاة والملوك، تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن في الشفاعة إلاَّ لمن رضي قوله وعمله، كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء/ ٢٨]، وبقي فصل ثالث: وهو أنه لا يرضى من القول والعمل، إلاَّ توحيده واتباع رسوله ﷺ.

فهذه ثلاثة فصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ووعاها.

[الإمام ابن قيم الجوزية]



## الفصل الخامس

# المشرك مغبون في دينه لإخلاله
# بكل قيود الكلمة العاصمة إلاَّ مجرد التلفظ بها

وفيه مبحثان:

المبحـث الأول : يجب إخلاص جميع أنواع العبادة لله وحده، فمن صرف أيًّا منها لغيره سبحانه يكون بذلك مشركًا وخارجًا عن ملَّة المسلمين.

المبحـث الثاني : كل من عبد غير الله، فقد أخلَّ بكل شروط الكلمة العاصمة، إلاَّ مجرَّد التلفظ بها، ولو أتى بعد ذلك بقُراب الأرض طاعة، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

المبحث الأول

## يجب إخلاص جميع أنواع العبادة لله وحده، فمن صرف أيًّا منها لغيره يكون بذلك مشركًا، وخارجًا عن ملة المسلمين

قال الشيخ سليمان بن عبد الله ــ بعد أن تكلَّم عن معنى الإسلام، والتوحيد ــ :

وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة، فيجب إخلاصها لله تعالى، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في شيء فليس بمسلم.

**(بعض أنواع العبادة التي من صرف واحدًا منها لغير الله لا يكون مسلمًا)**

فمنها: المحبة، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في المحبة التي لا تصلح إلَّا لله، فهو مشرك.

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥]، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة/ ١٦٧].

ومنها: التوكل، فلا يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، قال الله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

[المائدة/ ٢٣]، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المجادلة/ ١٠]، والتوكل على غير الله فيما يقدر عليه شرك أصغر.

ومنها: الخوف، فلا يخاف خوف السر إلاَّ من الله، ومعنى خوف السر، هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل/ ٥١]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة/ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس/ ١٠٧].

ومنها: الرجاء فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله كمن يدعو الأموات أو غيرهم راجيًا حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك أكبر. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ﴾ [البقرة/ ٢١٨]، وقال علي رضي الله عنه: لا يرجوَنَّ عبد إلاَّ ربه.

ومنها: الصلاة والركوع والسجود. قال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر/ ٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ ﴾ [الحج/ ٧٧].

ومنها: الدعاء فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، سواء كان طلبًا للشفاعة أو غيرها من المطالب.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر/ ١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس/ ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤].

ومنها: الذبح، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٢، ١٦٣]، والنسك: الذبح.

ومنها: النذر، قال الله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج/ ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان/ ٧].

ومنها: الطواف، فلا يطاف إلاَّ ببيت الله، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج/ ٢٩].

ومنها: التوبة، فلا يتاب إلاَّ لله. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران/ ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

ومنها: الاستعاذة فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق/ ١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس/ ١].

ومنها: الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال/ ٩].

تعريف الشرك

فمن أشرك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات أو غيرها، فهو مشرك.

وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة، لأن عبّاد القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى، أو أشركوا بين الله تعالى وبينهم فيها، وإلاَّ فكل نوع من أنواع العبادة، من صرفه لغير الله، أو شرَك بين الله تعالى وبين غيره فيه، فهو مشرك. قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء/ ٣٦]»[1].

**وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهم الله تعالى مبينًا حقيقة الاعتقاد الذي دان لله به هو وآباؤه رحمهم الله جميعًا:**

فاعلموا ــ أن حقيقة ما نحن عليه، وما ندعوا إليه، ونجاهد على التزامه، والعمل به ــ أنا ندعوا إلى دين الإسلام، والتزام أركانه، وأحكامه، الذي أصله وأساسه: شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله،

دعائم العبادة

والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وهذه العبادة، مبنية على أصلين: كمال الحب لله، مع كمال الخضوع والذل له.

الدعاء: من أجلِّ أنواع العبادة

والعبادة لها أنواع كثيرة، فمن أنواعها: الدعاء، وهو من أجلِّ أنواع العبادة، وسماه الله عبادة، في عدة مواضع من كتابه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠]، ونظائر هذا في القرآن كثير، وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة».

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٦ ــ ٢٨.

بيان حق الله على العباد

فنقول: لا يدعى إلاَّ الله، ولا يستغاث في الشدائد، وجلب الفوائد إلاَّ به، ولا يذبح القربان إلاَّ له، ولا ينذر إلاَّ له، ولا يخاف خوف السر إلاَّ منه وحده، ولا يتوكل إلاَّ عليه، ولا يستعان ولا يستعاذ إلاَّ به، وليس لأحد من الخلق شيء من ذلك، لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا الأولياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم فلله حق، لا يكون لغيره، وحقه تعالى: إفراده بجميع أنواع العبادة، فلا تأله القلوب محبة، وإجلالاً، وتعظيمًا، وخوفًا، ورجاء، إلاَّ الله، فهذه، هي: الحكمة الشرعية الدينية، والأمر المقصود في إيجاد البرية.

العبادة: هي التوحيد

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات/ ٥٦]، ومعنى: يعبدون، يوحِّدون، والعبادة هي: التوحيد، لأن الخصومة بين الرسل وأممهم فيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل/ ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء/ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن/ ١٨].

وقوع الشرك، مع عدم القصد

فمن دعا غير الله، من ميت، أو غائب، أو استغاث به، فهو مشرك كافر، وإن لم يقصد إلاَّ مجرَّد التقرُّب إلى الله، وطلب الشفاعة عنده»[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) الدرر السنية ١/ ٥٦٦، ٥٦٧.

المبحث الثاني

# كل من عبد غير الله، فقد أخل بكل شروط الكلمة العاصمة، إلاَّ مجرد التلفظ بها، ولو أتى بعد ذلك بقُراب الأرض طاعة، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:

الشرك يدور على التعظيم والمحبة

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥]، فكل من اتخذ ندًّا لله يدعوه من دون الله ويرغب إليه ويرجوه لما يؤمله منه من قضاء حاجاته وتفريج كرُباته ــ كحال عبَّاد القبور والطواغيت والأصنام ــ فلا بد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك، فإنهم أحبوهم مع الله وإن كانوا يحبون الله تعالى ويقولون: «لا إلـه إلاَّ الله» ويصلون ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره.

لا قبول لأعمال المشركين

فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله، يبطل كل قول يقولونه، وكل عمل يعملونه. لأن المشرك لا يقبل منه عمل، ولا يصح منه.

المشرك المنتسب للإسلام، قد تركَ كل قيود «لا إلـه إلاّ الله»

وهؤلاء وإن قالوا «لا إلـه إلاّ الله» فقد تركوا كل قيد قيدت به هذه الكلمة العظيمة: من العلم بمدلولها. لأن المشرك جاهل بمعناها، ومن جهله أيضًا بمعناها جعل لله شريكًا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص.

المشرك نفى الإثبات، وأثبت النفي في الكلمة العاصمة

ولم يكن صادقًا في قولها، لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يُثبت ما أثبتته من الإخلاص.

وترك اليقين أيضًا. لأنه لو عرف معناها وما دلت عليه لأنكره أو شك فيه، ولم يقبله وهو الحق.

ولم يكفر بما يعبد من دون الله، كما في الحديث، بل آمن بما يعبد من دون الله باتخاذه الند ومحبته له وعبادته إياه من دون الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة/ ١٦٥]، لأنهم أخلصوا له الحب فلم يحبوا إلاّ إياه، ، ويحبون من أحب ويخلصون أعمالهم جميعًا لله، ويكفرون بما عبد من دون الله.

حال الموحد مع ربه تعالى

فبهذا يتبين لمن وفَّقه الله تعالى لمعرفة الحق وقَبوله دلالة هذه الآيات العظيمة على معنى شهادة أن لا إلـه إلاّ الله وعلى التوحيد الذي هو معناها الذي دعا إليه جميع المرسلين. فتدبَّر»[1].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

«لا ريب: أن الكفر ينافي الإيمان، ويبطله، ويحبط الأعمال، بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى:

(١) فتح المجيد ص ١٠٢، ١٠٣.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة/ ٥] »[1].

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعًا:**

مجرد الإتيان بلفظ الشهادة، دون علم بمعناها، ولا عمل بمقتضاها، لا يكون به المرء مسلمًا

«ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلَّف مسلمًا، بل هو حجة على ابن آدم. خلافًا لمن زعم أن الإيمان مجرد الإقرار كالكرَّامية، أو مجرد التصديق كالجهمية. وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم، مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون/ ١]، فأكدوا بلفظ الشهادة و «إن» المؤكدة واللام والجملة الاسمية، فأكذبهم وأكد تكذيبهم، بمثل ما أكَّدوا به شهادتهم سواء بسواء، وزاد التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع الفظيع.

مسمَّى الإيمان، لا بد فيه من: الصدق والعمل

وبهذا تعلم أن مسمَّى الإيمان لا بد فيه من الصدق والعمل، ومن شهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وعبد غيره معه فلا شهادة له، وإن صلَّى وزكَّى وصام وأتى بشيء من أعمال الإسلام.

لا قبول للأعمال الصالحة من المشركين

قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب وردَّ بعضًا: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة/ ٨٥]، وقال تعالى:

---

(١) الدرر السنية ١١/ ٤٧٨.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾ [النساء/ ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ . . . ﴾ الآية [المؤمنون/ ١١٧].

نوعي الكفر

والكفر نوعان: مطلق ومقيد.

**فالمطلق**: أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول.

**والمقيد**: أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول، حتى إن بعض العلماء كفَّر من أنكر فرعًا مجمعًا عليه، كتوريث الجد والأخت وإن صلَّى وصام، فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولُبِّها؟

الأدلة على كفر عبَّاد القبور

وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة، بل كفَّروا ببعض الألفاظ التي تجري على ألسن بعض الجهال وإن صلَّى وصام من جرت على لسانه.

قال رحمه الله: والصحابة كفَّروا من منع الزكاة وقاتلوهم مع إقرارهم بالشهادتين والإتيان بالصلاة والصوم والحج.

قال رحمه الله: واجتمعت الأمة على كفر بني عبيد الله القداح مع أنهم كانوا يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبنون المساجد في قاهرة مصر وغيرها.

وذكر أن ابن الجوزي صنَّف كتابًا في وجوب غزوهم وقتالهم سمَّاه (النصر على مصر) قال: وهذا يعرفه من له أدنى إلمام بشيء من العلم والدين.

يأبى الله ورسوله والمؤمنون القول بإسلام عبَّاد القبور

فشبه عبَّاد القبور بأنهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام، وتلبيس لينفق شركهم، ويقال بإسلامهم وإيمانهم. ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون»[1].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى ــ في ردِّه على عثمان بن منصور أحد المعترضين على دعوة الشيخ والمجادلين عن أَسْلمة المشركين ــ :**

شبهة عظيمة

**المسألة الثالثة**: قوله: ثانيًا، من هم هؤلاء المشركون الذين يطلب عداوتهم، وهم يعمرون المدارس والمساجد، ويدعون بداعي الفلاح على رؤوس المنابر، ما هذا العمى؟!

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران/ ٨]. انتهى كلامه.

بيان تهافتها

**فالجواب**: أن هذا هو محط رحله الذي عليه اعتماده، وأن ما يقع في مصر والشام والعراق من تعظيم الأموات وعبادتهم، وبناء المساجد على قبورهم والرغبة إليهم، وسؤالهم قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، وكثير منهم يعتقد أنهم أسرع فرجًا من الله إذا دعي في كشف كربة، وكل هذا عنده جائز لا ينقض إسلامهم، لأنهم يعمرون المدارس والمساجد.

معرفة دين الله الذي أرسل به رسله

ولا ريب: أن هذا المعتقد لا يقوله إلَّا من هو من أجهل خلق الله وأبعدهم عن دين الله، وقد عرفت: أن دين الله الذي بعث به رسله، هو أن لا يعبد إلَّا الله، وأن لا يعبد إلَّا بما شرع، كما تقرر في الآيات، وبيَّنه تعالى في دعوة الرسل، فإنه أرسلهم بالإنذار عن هذا الشرك ونفيه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، كما

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس ص ٦٠، ٧١.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف/ ٤٥].

وهؤلاء الذين ذكرنا، قد ألَّهوا أرباب القبور بقلوبهم، وألسنتهم وأعمالهم، ليجلبوا لهم المنافع، ويدفعوا عنهم المضار، وقد أخبر تعالى أنهم ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء/ ٥٦]، وقد نزلت هذه الآية فيمن عبد المسيح وأمه، والعزيز والملائكة بالدعاء رجاء ورغبة، وغير ذلك مما كان يقصده عبَّاد القبور.

فإذا كانت هذه الآية نزلت فيمن ذكر، فكيف بمن دونهم؟!

مشركو هذا الزمان، أعظم شركًا من مشركي العرب

ومن المعلوم: أن هؤلاء قد جاوزوا ما كان عليه مشركو العرب، فإن أولئك أشركوا بالله في العبادة، وأقروا له بالربوبية، وهؤلاء بلغ من شركهم أنهم جعلوا التدبير والتصرف في الكون للأموات، الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، وهذا الأصل مقرر في كتب هذا الذي جمعها، فإن فيها من كتب شيخ الإسلام، وابن القيم وأمثالها من أهل السنة، وفيها بيان هذا الشرك الذي وقع في هذه الأمة في زمانهم وقبله، وبعده بأحسن بيان.

فليت شعري: ما الذي صدَّه عن محكم القرآن، وصريح السنة وتقرير العلماء والأئمة؟!

فسبحان المتصرِّف في القلوب بعلمه وحكمته وعدله، كيف جاز في عقل من يدعي العلم جعل الشرك إسلامًا، ويجعل الانتصار لهذا الشرك والدعوة إليه دينًا؟! ويعظم عند ذلك ويثنى عليه، أليس

الإجماع على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط في الدعاء والسؤال

يدعي أنه حنبلي، وكتب الحنابلة عنده، وفيها حكم المرتد، وحكاية الإجماع: على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم كفر إجماعًا؟! قاله شيخ الإسلام، وتلقاه العلماء عنه بالقبول ورضوه.

الأعمال الصالحة، لا تصح إلاَّ بشرط الإسلام

ويقول أيضًا: عمارة المدارس والمساجد، والدعاء إلى الصلاة على المنابر، لا تصح إلاَّ بشرط الإسلام، فسبحان الله كيف يذكر العمل، ويترك شرطه الذي لا تصح الأعمال إلاَّ به؟! وهذا الشرط مذكور في مذهبه، ومذهب غيره من العلماء لما ذكروا الصلاة، قالوا: تصح بشروط، أولها: الإسلام، وكذلك ذكروه في الصيام والزكاة والحج وغير ذلك من العبادات.

## (المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالبراءة من الشرك والمشركين بالإجماع)

أساس الإسلام: التوحيد والإخلاص، والإخلاص لا يقوم إلا بنفي الشرك والبراءة منه

وعبادة أرباب القبور تنافي الإسلام، فإن أساسه التوحيد والإخلاص، ولا يقوم الإخلاص إلاَّ بنفي الشرك، والبراءة منه، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة/ ٢٥٦].

الأعمال الصالحة مع الشرك، تكون هباءً منثورًا

وهذه الأعمال مع الشرك تكون ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم/ ١٨]، وتكون هباء منثورًا ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا . . .﴾ الآية [النور/ ٣٩].

فلا إله إلاَّ الله، كيف خفي عليه هذا الشرك، حتى اتخذه دينًا تجب نصرته؟

وأجمع العلماء سلفًا وخلفًا، من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنَّة، أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، والبراءة منه وممن فعله، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله، كما في حديث معاذ الذي في الصحيحين: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[(١)].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

«وأما قوله ـ أحد المجادلين عن المشركين ـ: وهم يبنون المساجد، والمدارس، ويدعون بداع الفلاح.

فالجواب من وجوه:

اليهود والنصارى، يعملون كثيرًا من الأعمال الصالحة، ولم يتركوا دينهم رأسًا، ومع هذا فهم مشركون

**الوجه الأول**: أن اليهود والنصارى بنوا الكنائس، والبيع، ويتعبدون فيها، فلم يتركوا دينهم رأسًا، ويقرأون التوراة والإنجيل، ويحكمون بكثير من الأحكام الشرعية، مع ما وقع منهم من الكفر والشرك، وقد قال تعالى: ﴿ **لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ** . . . ﴾ الآية [المائدة/ ٧٨ ـ ٨١]. وقال قبلها في حق عيسى: ﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾** ﴾ [المائدة/ ٧٦]. وذكرهم في صدر سورة البقرة لما وقع منهم من عظائم الذنوب.

**(الشرك: مبطل للأعمال الصالحة، فتقع غير نافعة)**

الإخلاص والمتابعة أساسا قبول الأعمال الصالحة

**الوجه الثاني**: أن الشرك مبطل للأعمال، فلا ينفع معه عمل لامرىء، وإن قام ليله وصام نهاره، فصورة العمل لا تنفع إلاَّ

(١) الدرر السنية ١١/ ٥٤٢ ـ ٥٤٥.

بالإخلاص والمتابعة، وكثير من الجهال اغتروا بصورة الأعمال، ولم يأتوا بشرطها وهو التوحيد، فصارت كسراب بقيعة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ . . .﴾ الآية [النور/ ٣٩]، فهذه الأعمال مع الشرك، كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

قال الفضيل بن عياض، في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود/ ٧]. قال: أخلصه وأصوبه، قيل له؛ يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص أن يكون لله، والصواب، أن يكون على سنة رسول الله ﷺ.

الموت على الكفر محبط للعمل، ولو كان صاحبه يصلي ويصوم ويتصدّق...

وأيضًا: فقد ذكر الفقهاء، في حكم المرتد: أن الرجل قد يكفر بقول يقوله، أو عمل يعمله، وإن كان يشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله ويصلي، ويصوم، ويتصدَّق، فيكون مرتدًّا تحبط أعماله ما قال أو فعل، خصوصًا إن مات على ذلك، فيكون حبوط أعماله إجماعًا، بخلاف ما إذا تاب قبل الموت، ففيه الخلاف.

التوحيد شرط لقبول الأعمال الصالحة

والمقصود: أن الأعمال لا ينفع منها شيء مع الشرك، ولهذا ذكر الفقهاء أن الردة تنقض الوضوء، لفوات النية بالردة، فيفوت استصحابها، وكل هذا بيِّن لا يخفى إلاَّ على البلداء الأغبياء، فبهذه الأمور يبطل ما احتج به من أن الصلاة والأذان ينفع مع الشرك، وهذا لا يقوله من له أدنى مسكة من عقل، والله أعلم.

نسأل الله الثبات على الإسلام والسنة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم»[1].

**وتحدَّث أيضًا رحمه الله تعالى عن حكم المشرك في الآخرة، أثناء شرحه لكتاب التوحيد فقال:**

«قال المصنف رحمه الله تعالى: ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**».

«جابر»: هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام ـ بمهملتين ـ الأنصاري ثم السَّلَمي ـ بفتحتين ـ صحابي جليل هو وأبوه، ولأبيه مناقب مشهورة رضي الله عنهما، مات بالمدينة بعد السبعين، وقد كُفَّ بصره، وله أربع وتسعون.

قوله: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا**» قال القرطبي: أي لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة.

وقع الإجماع على أن من مات على التوحيد، فمصيره إلى الجنة إن عاجلاً أو آجلاً، ومن مات على الشرك فمأواه جهنم خالدًا فيها أبدًا

ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة. وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذاب ولا تصرُّم آماد.

وقال النووي: أما دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي

(١) الدرر السنية ١١/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦.

والنصراني، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك.

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به. لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفا الله عنه دخل الجنة أولاً، وإلاَّ عُذب في النار ثم أخرج من النار وأدخل الجنة»[1].

**وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:**

«السؤال الثالث من الفتوى رقم ٩٠٢٧.

س: يقول الناس عند النوازل والشدائد يا رسول الله وغيره من الأولياء ويذهبون إلى مقابر الصالحين في حالة المرض ويستغيثون بهم ويقولون إن الله يدفع البلاء بهم نحن نستمدهم لكن نيتنا إلى الله لأن المؤثر هو الله، هل هذا شرك أم لا، وهل يقال لهم: إنهم مشركون؟ والحال أنهم يصلون ويقرأون القرآن وغيره من العمل الصالح.

شرك عبّاد القبور اليوم، كشرك أهل الجاهلية الأولى

ج: ما يفعله هؤلاء هو: الشرك الذي كان عليه أهل الجاهلية الأولى، فإنهم كانوا يدعون اللاَّت والعزى ومناة وغيرهم ويستغيثون بهم، تعظيمًا لهم ورجاء أن يقربوهم إلى الله ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، ويقولون أيضًا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس/ ١٨].

---

(١) فتح المجيد ص ٧٨، ٧٩.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن الدعاء: عبادة، وأنها لا تكون إلاَّ لله، ونهى الله تعالى عن دعاء غيره، فقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧ ﴾ [يونس/ ١٠٦، ١٠٧].

وعلى المسلمين أن يقولوا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة/ ٥]، في كل ركعة من صلواتهم، إرشادًا لهم إلى أن العبادة لا تكون إلاَّ له وأن الاستعانة لا تكون إلاَّ به دون الأموات من الأنبياء وسائر الصالحين.

الأعمال الصالحة التي لم تبن على أساس التوحيد الخالص، تكون هباءً منثورًا

ولا يغرنَّك مع ذلك كثرة صلاة هؤلاء وصيامهم وقراءتهم، فإنهم ممَّن ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وذلك أنها لم تُبن على أساس التوحيد الخالص، فكانت هباء منثورًا، والأدلة من الكتاب والسنة على شركهم وإحباط عملهم كثيرة، فراجع في ذلك آيات القرآن والسنة الصحيحة وكتب أهل السنة، نسأل الله لنا ولك الهداية.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى وآله وصحبه وسلَّم.

**اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**

| عضو | عضو | نائب رئيس اللجنة | الرئيس |
| --- | --- | --- | --- |
| عبد الله بن قعود | عبد الله بن غديان | عبد الرزاق عفيفي | عبد العزيز بن عبد الله بن باز»[1] |

---

(١) كتاب: فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٨٥، ٨٦.

## كلمات منتقاة، مضيئة

• إن دين الله الذي بعث به رسله: هو أن لا يعبد إلَّا الله، وأن لا يعبد إلَّا بما شرع، كما تقرَّر في الآيات، وبيَّنه تعالى في دعوة الرسل، فإنه أرسلهم بالإنذار عن الشرك ونفيه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى...

وعبادة القبور تنافي الإسلام، فإن أساسه: التوحيد والإخلاص، ولا يقوم الإخلاص، إلَّا بنفي الشرك والبراءة منه.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

• فللّه حق لا يكون لغيره، وحقه تعالى: إفراده بجميع أنواع العبادة، فلا تأله القلوب محبة وإجلالاً وتعظيمًا وخوفًا ورجاء إلَّا الله، فهذه هي الحكمة الشرعية الدينية، والأمر المقصود من إيجاد البرية.

[الشيخ محمد بن عبد اللطيف]

• ومجرد الإتيان: بلفظ الشهادة، من غير علم بمعناها، ولا عمل بمقتضاها، لا يكون به المكلف مسلمًا، بل هو حجة على ابن آدم، خلافًا لمن زعم أن الإيمان: مجرد الإقرار كالكرامية، أو مجرد التصديق كالجهمية...

إن مسمَّى الإيمان لا بد فيه من: الصدق والعمل، ومن شهد أن لا إلـه إلَّا الله، وعبد غيره معه، فلا شهادة منه، وإن صلَّى وزكى وصام، وأتى بشيء من أعمال الإسلام.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]

● فكـل مـن اتخـذ نـدًّا يـدعـوه مـن دون الله، ويرغب إليه، ويرجوه لمـا يؤملـه مـن قضـاء حـاجـاتـه، وتفـريـج كربـاتـه ــ كحـال عبـاد القبور والطـواغيت والأصنـام ــ فـلا بـد أن يعظمـوهم ويحبـوهم لذلـك، فإنهم أحبوهم مع الله، وإن كانوا يحبون الله تعالى، ويقولون: لا إلـه إلَّا الله، ويصلـون ويصـومـون، فقـد أشـركـوا بالله في المحبة، بمحبة غيره وعبادة غيـره.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● فكل نوع من أنواع العبادة، من صرفه لغير الله، أو أشرك بين الله تعالى وبين غيره فيه، فهو مشرك. قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء/ ٣٦].

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● لا ريـب: أن الكفـر ينـافـي الإيمـان، ويبطلـه، ويحبـط الأعمـال، بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ ﴾ [المائدة/ ٥].

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● وهـؤلاء المشـركـون، وإن قـالـوا: لا إلـه إلَّا الله، فقـد تـركـوا: كـل قـيـد قـيـدت بـه هـذه الكلـمـة العظيـمـة، مـن: العلـم بمـدلـولهـا، والصـدق في قولهـا، فلـم ينفـوا مـا نفتـه مـن الشرك، ولم يثبتوا ما أثبته من

الإخلاص، وتركوا اليقين أيضًا، ولم يكفروا بما يعبد من دون الله، بل آمنوا بما يعبد من دونه باتخاذهم: الند، ومحبتهم لهم، وعبادتهم إياه من دون الله.

إن الشرك مبطل للأعمال، فلا ينفع معه عمل لامرىء، وإن قام ليله وصام نهاره، فصورة العمل لا تنفع إلَّا بالإخلاص والمتابعة، وكثير من الجهال اغتروا بصورة الأعمال، ولم يأتوا بشرطها وهو التوحيد، فصارت كسراب بقيعة.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● لا يغرنَّك كثرة صلاة وصيام وقراءة من يعبد غير الله، فإنهم ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسبون صنعًا، وذلك أنها لم تبن على أساس التوحيد الخالص، فكانت هباء منثورًا، والأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على شركهم وإحباط عملهم كثيرة.

[الشيوخ: عبد الله بن قعود، وعبد الله بن غديان، وعبد الرزاق عفيفي وعبد العزيز بن باز]

● من المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على التوحيد فلا بد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل أنواع من العذاب والمحنة. وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة، ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذاب ولا تصرُّم آماد.

[الإمام القرطبي]

● أما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني، وبين عبدة الأوثان

وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا من خالف ملة الإسلام، وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده، وغير ذلـك.

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها، دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًّا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفا الله عنه دخل الجنة أولاً، وإلاَّ عذب بالنار، ثم أخرج من النار وأدخل الجنة.

[الإمام النووي]

● فشبه عباد القبور بأنهم يصلُّون، ويصومون، ويؤمنون بالبعث، مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم، ويقال بإسلامهم وإيمانهم، ويأبـى الله ذلك ورسوله والمؤمنون.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]



# الفصل السادس

# أشهر شبهات المشركين وعلمائهم مع سهام الردود عليها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الرد على أشهر شبهات المشركين.

المبحث الثاني : الرد على أشهر شبهات علماء المشركين.

## المبحث الأول

# الرد على أشهر شبهات المشركين

* لقد خان المشركون أنفسهم عندما أوهموها بأن الآيات التي نزلت في ذكر الكفار والمشركين، كانت في قوم قد خلوا، ولم يعقبوا وارثًا، وزين لهم ذلك علماء السوء في قلوبهم، فتأصَّل الشرك بذلك في أفئدتهم، وظنوا بالله ظن السوء، وأصبحوا قومًا بورًا.

**قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعًا نقلاً عن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:**

والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [نوح/ ٥٦]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن، كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا لم يع أهله الشرك والجاهلية

وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانًا، فالله المستعان»[1].

**وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد أن أبان وقرَّر كفر طواغيت عصره:**

«فإن جادل منافق، بكون الآية نزلت في الكفار، فقولوا له: هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم: إن هذه الآيات لا تعم من عمل بها من المسلمين؟ من قال هذا قبلك؟

وأيضًا فقولوا له: هذا رد على إجماع المسلمين، فإن استدلالهم بالآيات النازلة في الكفار، على من عمل بها ممن انتسب إلى الإسلام، أكثر من أن تذكر»[2].

---

(١) عقيدة الموحدين، الكلمات النافعة ص ٢٣٣.

(٢) الدرر السنية ١٠/٥٨، ٥٩.

**وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين:**

«وأما من يقول: إن الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين، فلا تتناول من فعل فعلهم، فهذا كفر عظيم، مع أن هذا قول لا يقوله إلاَّ ثور مرتكس في الجهل.

بعض لوازم هذا القول الخبيث

فهل يقول: إن الحدود المذكورة في القرآن والسنة لأناس كانوا وانقرضوا، فلا يحد الزاني اليوم، ولا تقطع يد السارق، ونحو ذلك، مع أن هذه قول يستحيا من ذكره. أفيقول هذا ـ أحد المجادلين عن المشركين ـ : إن المخاطبين بالصلاة، والزكاة، وسائر شرائع الإسلام، انقرضوا وبطل حكم القرآن»[1].

* * *

لقد استند المشركون إلى الجهال الذين ظهروا لهم بلباس العلماء والصلحاء، وقرَّروا لهم أن المقصود من التوحيد: مجرد التلفظ بالشهادتين، ولا يضر بعد ذلك فعل شيء، ثم حضروا حفلات شركهم ونوادي إفكهم فحسَّنوها لهم، ومن لم يحسنها لم ينكرها، فاطمئن عبَّاد القبور والمشركون إلى ذلك، وثلجت به صدورهم، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من براهين الموحدين، وحجج المتحنِّفين، فعلَت بذلك رايتهم، وارتفع إفكهم، وساد شركهم.

**قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر الإمام العلامة رحمه الله في ردِّ هذا الإفك المبين:**

شبهة وجوابها من وجوه

وأما قوله ـ أي أحد المجادلين عن المشركين ـ ومنها: أن كثيرًا من العلماء الكبار فعلوا هذه الأمور، وفعلت بحضرتهم، ولم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٢/ ١٣٠، رسائل وفتاوى عبد الله أبـي بطين.

تنكر، ومن ذلك تتابعهم على بناء القباب على القبور، واتخاذها أعيادًا في الغالب، فلكل شيخ يوم معروف، في شهر معلوم، يؤتى إليه من النواحي، وقد يحضرهم بعض العلماء فلا ينكر.

**فالجواب من وجوه:**

الوجه الأول: فرض الله طاعته وطاعة رسوله ﷺ على خلقه

**الوجه الأول**: أن يقال: قد افترض الله على الخلق طاعة رسول الله ﷺ، وأخبر أن من أطاعه فقد أطاع الله، فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء/ ٨٠]، وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران/ ٣١]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور/ ٥٤].

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر/ ٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ...﴾ الآية [النساء/ ٥٩].

وجوب ردّ الخلاف إلى الله ورسوله ﷺ

فإذا اختلف الناس في شيء من أمور الدين، هل هو واجب أو محرَّم أو جائز، وجب رد ما وقع فيه الاختلاف إلى الله والرسول، ويجب على المؤمن إذا دعي إلى ذلك أن يقول: سمعًا وطاعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ [النور/ ٥١]، فنحن نحاكم من نازعنا في هذه المسألة وغيرها من المسائل، إلى الله والرسول، لا إلى أقوال الرجال وآرائهم.

فنقول لمن أجاز بناء القباب على القبور بالجص والآجر، وأسرجها وفرشها بالرخام، وعلّق عليها قناديل الفضة وبيض النعام، وكساها كما يكسى بيت الله الحرام: هل أمر رسول الله ﷺ بهذا

وحثَّ عليه؟ أم نهى عنه وأمر بإزالة ما وضع من ذلك عليه؟ فما أمرنا به ائتمرنا، وما نهانا عنه انتهينا، وسنته هي الحاكمة بيننا وبين خصومنا في محل النزاع.

الأمر بطمس التماثيل وتسوية القبور حفاظا على صفاء التوحيد

فنقول: قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: (**أن لا أدع تمثالاً إلاَّ طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلاَّ سوَّيته**). وفي صحيحه أيضًا: عن ثمامة بن شفي الهمداني، قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوِّي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ: (**يأمر بتسويتها**).

وفي صحيحه أيضًا، عن جابر بن عبد الله، قال: (**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**). وفي سنن أبي داود، والترمذي، عن جابر رضي الله عنه: (**أن رسول الله ﷺ نهى أن تجصَّص القبور وأن يبنى عليها، ويكتب عليها**)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**). رواه الإمام أحمد، وأهل السنن.

فنهى رسول الله ﷺ عن البناء عليها، وأمر بهدمه بعدما يبنى، ونهى عن الكتابة عليها، ولعن من أسرجها، فنحن نأمر بما أمر به رسول الله ﷺ من تسويتها، وننهى عن البناء عليها، كما نهى عنه رسول الله ﷺ، فهو الذي افترض الله علينا طاعته واتباعه.

(وجوب اتباع النبي ﷺ، وحرمة تقليد الرجال بغير حجة)

وأما غيره فيؤخذ من قوله ويترك كما قال الإمام مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلاَّ رسول الله ﷺ. وقال الإمام أحمد: لا تقلد في دينك أحدًا، ما جاء عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه فخذه، ثم التابعين بعد، الرجل فيهم مخير، وقال أيضًا: لا تقلدوني، ولا تقلِّدوا مالكًا، ولا الثوري، ولا الأوزاعي، وخذوا من حيث أخذوا.

يجب إفراد الرسول ﷺ بالاتباع، تحقيقًا لشق الشهادة الثاني

والعجب: ممن يسمع هذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ من النهي عن تعظيم القبور، وعقد القباب عليها بالجص والآجر، وإسراجها، ولعن من أسرجها، ثم يقول: فعلت هذه الأمور، بحضرة العلماء الكبار ولم ينكروا، كأنه لم يسمع ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور/ ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

فإذا كان هذا كلام ابن عباس، فيمن عارض السنة لقول أبي بكر وعمر، وكلام أحمد فيمن ذهب إلى رأي سفيان، فكيف بمن عارض السنة، بقول فلان وفلتان؟

وقد روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشد ما أتخوف على أمتي ثلاثًا: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناق الرجال**».

خطورة زلة العالم على الأمة، وحرمة اتباعها

ومن المعلوم: أن المخوف في زلة العالم تقليده فيها، إذ لولا ذلك لم يخف من زلة العالم على غيره، فإذا عرف أنها زلة، لم يجز له أن يتبعه فيها باتفاق العلماء، فإنه اتباع للخطأ على عمد.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يفسد الزمان ثلاثة: أئمة مضلُّون، وجدال المنافق بالقرآن ـ والقرآن حق ـ وزلَّة العالم.

فإذا صح وثبت أن العالم يزل ويخطىء، ولم يجز لأحد أن يفتي ويدين الله بقول لا يعرف وجهه، فكيف إذا عارض بقوله أو فعله قول رسول الله ﷺ أو فعله؟

## (منزلة الصحابة في الاتباع)

الوجه الثاني: الصحابة هم أعلم المسلمين بسنة نبيهم ﷺ، فلذا يجب اتباعهم

**الوجه الثاني**: أن يقال: إذا لم تقنع ولم يطمئن قلبك بما جاء عن رسول الله ﷺ، وقلت: العلماء أعلم منا بالسنة، وأطوع لله ولرسوله ﷺ.

فنقول: أعلم الناس بما أمر به رسول الله ﷺ وما نهى عنه أصحابه رضي الله عنهم، فهم أعلم الناس بسنته، وأطوعهم لأمره، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ورضي عمَّن اتبعهم بإحسان.

وفي حديث العرباض بن سارية، رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**».

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**خير القرون قرني الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

يجب التمسك بهدي الصحابة، لأنهم كانوا على السنة المحضة

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم.

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: يا معشر القرَّاء، استقيموا وخذوا طريق من قبلكم، فوالله لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا.

الحجة في اتباع الرعيل الأول

فإن احتج أحد علينا بما عليه المتأخرون، قلنا: الحجة بما عليه الصحابة والتابعون الذين هم خير القرون، لا بما عليه الخلف، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، هل نقل عنهم: أنهم عقدوا القباب على القبور، وأسرجوها؟ وخلَّقوها وكسوها الحرير؟ أم هذا مما حدث بعدهم من المحدثات، التي هي بدع وضلالات؟

ومعلوم: أن عندهم من قبور الصحابة، الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ما لا يحصى، هل بنوا على قبورهم وعظَّموها، ودعوا عندها، وتمسَّحوا بها؟ فضلاً عن أن يسألوها حواجَّهم؟ أو يسألوا الله بأصحابها؟

فمن كان عنده في هذا أثر صحيح أو حسن، فليرشدنا إليه

وليدلنا عليه، وأنَّىٰ له بذلك؟ فهذه سنة رسول الله ﷺ في القبور وسنة خلفائه الراشدين»[1].

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

الظن بأن الشرك، والتعطيل لا يضر من نطق بالشهادتين واستقبل القبلة، فتح باب الغلو في: الشرك والتنديد

وهل حدث الشرك في الأرض إلَّا برأي أمثال هؤلاء المخالفين الذين يظهرون للناس في زي العلماء وملابس الصلحاء، وهم من أبعد خلق الله عما جاءت به الرسل من توحيده ومعرفته والدعاء إلى سبيله، بل هم جند محضرون للقباب وعابديها، وقد عقدوا الهدنة والمؤاخاة بينهم وبين من عبد الأنبياء والمشايخ، وأوهموهم أنهم إذا أتوا بالشهادتين واستقبلوا القبلة لا يضرهم مع ذلك شرك ولا تعطيل، وأنهم هم المسلمون وهم خير أمة أخرجت للناس، وهم صفوف أهل الجنة، فاغتروا بهذا القول منهم، وغلوا في شركهم وضلالهم، حتى جعلوا لمعبوديهم التصرف والتدبير والتأثير من دون الله رب العالمين، فهل ترى يا ذا العقل السليم أضل وأجهل ممن هذا شأنه، وهذه طريقه وعقيدته، وإن كان في هذه المظاهر الظاهرة، والرسوم الشائعة، معدودًا من أهل العلم بالشرع والإسلام، فهو والله أضل من سائمة الأنعام.

من جوَّز ذلك من العلماء فهو أضل من سائمة الأنعام

من صدر منه: الكفر أو الشرك أو الفسق، فإنما يحكم عليه بمقتضى ذلك، بلا خلاف بين أهل العلم والإيمان

وأهل العلم والإيمان لا يختلفون في أن من صدر منه: قول أو فعل يقتضي كفره أو شركه أو فسقه أنه يحكم عليه بمقتضى ذلك وإن كان ممن يقرُّ بالشهادتين ويأتي ببعض الأركان.

وإنما يكف عن الكافر الأصلي إذا أتى بهما، ولم يتبين منه خلافهما ومناقضتهما وهذا لا يخفى على صغار الطلبة وقد ذكروه في

(١) الدرر السنية ١١/ ٧٧ ــ ٨٣.

المختصرات من كل مذهب وهو في مواضع من كتاب الروض الذي تزعم أنك تقرأه وتدري ما فيه، ولكن الأمر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا. . .﴾ الآية [المائدة/ ٤١].

من الأدلة على كفر المشركين

بل قد ذكروا أنه من أنكر فرعًا مجمعًا عليه كتوريث البنت والجد أنه يكفر بذلك ولا يكون من خير أمة أخرجت للناس، وهذا منصوص في كتب الشافعية وغيرهم، فكيف ترى يا هذا فيمن أنكر التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، ودان بمحض الشرك والتنديد، فقاتل الله الجهل ماذا يفعل بأهله»[1].

* * *

لقد توارثت طوائف المشركين على مختلف العصور والدهور: شبهة الاحتجاج بفعل الآباء للشرك، الذين هم محل الثقة لديهم، ولا يجتمعون ـ بزعمهم ـ إلاَّ على هدى ورشاد، ولذا فلزم الاتباع دون الابتداع.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢ ـ ١٧٤].

**قال الشيخ صالح الفوزان رحمه الله تعالى في معرض إيراده لبعض شبه المشركين والرد عليها:**

المشركون يستندون إلى شبه من الأدلة

إنه بسبب رواج الشبه والحكايات التي ضل بها أكثر الناس وعدوُّها أدلة يستندون إليها في تبرير ضلالتهم وشركهم، استمرؤوا

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٢٢٤، ٢٢٥.

ما هم عليه، فكان لا بد من كشف زيفها وبيان بطلانها ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال/ ٤٢].

وهذه الشبه منها: ما هو قديم أدلى به المشركون من الأمم السابقة، ومنها: ما أدلى به مشركو هذه الأمة.

ومن هذه الشبه:

أولاً: شبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم، وهي شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفًا عن سلف، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف/ ٢٣].

حجة اتباع الآباء، هي حجة العجزة عن إقامة البراهين على صحة دعواهم

وهذه حجة يلجأ إليها من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه، وهي حجة داحضة، لا يقام لها وزن في سوق المناظرة، فإن هؤلاء الآباء الذين قلَّدوهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك، لا تجوز متابعته والاقتداء به، قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف/ ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة/ ١٠٤]، وقال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة/ ١٧٠].

المحمود من الاقتداء بالآباء، إذا كانوا على الحق

وإنما يكون الاقتداء بالآباء محمودًا إذا كانوا على حق، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام، أنه قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف/ ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور/ ٢١].

وشبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء الضالون متغلغلة في نفوس المشركين، يقابلون بها دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

فقوم نوح لما قال لهم نوح: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنين/ ٢٣، ٢٤].

فجعلوا ما عليه آباؤهم حجة يعارضون بها ما جاءهم به نبيهم نوح عليه السلام.

وقوم صالح يقولون له: ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود/ ٦٢].

وقوم إبراهيم يقولون له: ﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء/ ٧٤].

وفرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [طه/ ٥١].

ومشركو العرب يقولون لمحمد ﷺ لما قال لهم: «قولوا لا إلـه إلاَّ الله»، قالوا: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص/ ٧].

من أخطر شُبَه المشركين: ظنهم أن مجرد التلفظ بـ لا إلـه إلاَّ الله يكفي لدخول الجنَّة

**ثانيًا**: ومن الشبه التي يدلي بها عبّاد القبور اليوم: ظنهم أن مجرد النطق بـ (لا إلـه إلاَّ الله) يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل، فإنه لا يكفر وهو يقول: لا إلـه إلاَّ الله، متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين، حرم على النار.

الجواب على هذه الشبهة

**والجواب عن هذه الشبهة**: أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها، وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها أنه لا بد لمن قال: لا إلـه إلاَّ الله، أن يعتقد معناها بقلبه، ويعمل بمقتضاها، فيكفر بما يعبد من دون الله، كما في حديث عتبان: «**فإن الله حرَّم على النار من قال: لا إلـه إلاَّ الله يبتغي بذلك وجه الله**»، وإلاَّ، فالمنافقون يقولون لا إلـه إلاَّ الله بألسنتهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، ولم ينفعهم النطق بـ (لا إلـه إلاَّ الله)، لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم.

من نطق بالشهادتين ولم ينخلع من الشرك، لم يحرم ماله ودمه

وفي «صحيح مسلم»: «**من قال: لا إلـه إلاَّ الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**»، فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين: الأول: قول: لا إلـه إلاَّ الله، والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله ولم يكتف بمجرد النطق بـ (لا إلـه إلاَّ الله)، فدل على أن الذي يقول: لا إلـه إلاَّ الله، ولا يترك عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة، لا يحرم ماله ولا دمه.

شبهة أخرى

**ثالثًا**: ومن الشبه التي يدلون بها أيضًا دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون: لا إلـه إلاَّ الله محمد رسول الله، وأن هذا الذي يمارسونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمَّى شركًا عندهم.

الجواب عليها

**والجواب عن هذه الشبهة**: أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه، ومن جملة ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وأخبر ﷺ أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين، وحتى تعبد فئات من أمته الأوثان، وقد حدث في هذه الأمة من الشرك

والمبادىء الهدَّامة والنِّحل الضالة ما خرج به كثير من الناس عن دين الإسلام وهم يقولون: لا إلـه إلاَّ الله محمد رسول الله.

شبهة أخرى

رابعًا: ومن الشبه التي تعلقوا بها قضية الشفاعة، حيث يقولون: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله، لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله، فنحن نريد بجاههم وشفاعتهم.

الرد عليها

والجواب: أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تسويغ ما هم عليه، وقد كفَّرهم الله، وسمَّاهم مشركين، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس/ ١٨].

والشفاعة حق، ولكنها ملك لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر/ ٤٤]، فهي تطلب من الله لا من الأموات، لأن الله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا غيرهم، لأنها ملكه سبحانه، وتطلب منه ليأذن للشافع أن يشفع، وليس الأمر كما هو عند المخلوقين من تقدم الشفعاء لديهم بدون إذنهم، ويضطرون إلى قَبول الشفاعة لحاجتهم إليهم، وإن لم يرضوا عن المشفوع فيه، لأنهم يحتاجون إلى الأعوان والوزراء، أما الله سبحانه، فلا يشفع أحد إلاَّ بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه، قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم/ ٢٦].

شبهة أخرى

خامسًا: ومن شبه هؤلاء أنهم يقولون: إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

الـرد عليهـا

والجـواب: أن المـؤمنيـن كلهـم أوليـاء الله، ولكـن الجـزم لشخص معين أنه ولي الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة، ومن ثبت ولايته بالكتاب والسنة، لم يجز لنا الغلو فيه والتبرك به، لأن ذلك من وسائل الشرك، والله أمرنا بدعائه مباشرة، دون اتخاذ وسائط بيننا وبينه، ولأن هذا هو التعليل الذي علَّل به المشركون من قبل، أنهم اتخذوا هؤلاء شفعاء ووسائط بينهم وبين الله، يسألون الله بجاههم وقربهم، فأنكر الله عليهم ذلك»[1].

❏ ❏ ❏

(١) الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد ص ٦١ ــ ٦٥.

## المبحث الثاني
# الرد على أشهر شبهات علماء المشركين

* لقد قطع، وقرَّر بعض علماء المشركين بأن دعاء الموتى، والاستغاثة بهم في الشدائد، من أنواع الشرك العملي الأصغر، الذي لا يكفر به صاحبه إلَّا أن يستحلَّه، هذا من حيث الفعل والقول، وأما بالنظر إليه من حيث الاعتقاد، فهو كالطيرة التي هي من الشرك الأصغر بغير خلاف:

**قال الإمام العلامة الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله تعالى في التصدي لبيان هذا الافتراء العظيم:**

فيقال لمن أنكر: أن يكون دعاء الموتى، والاستغاثة بهم في الشدائد شركًا أكبر: أخبرنا عن هذا الشرك الذي عظمه الله، وأخبر أنه لا يغفره؟ أتظن أن الله يحرمه هذا التحريم، ولا يبينه لنا؟ ومعلوم: أن الله سبحانه نزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

**(الشرك وبيان حرمته من أعظم الأمور وضوحًا في كتاب الله تعالى)**

وقد أخبر في كتابه: أنه أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، فكيف يجوز أن يترك بيان الشرك الذي هو أعظم ذنب عصي الله به سبحانه؟!

فإذا أصغى الإنسان إلى كتاب الله وتدبَّره، وجد فيه الهدى والشفاء ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرعد/ ٣٣] ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور/ ٤٠].

**(صرف الدعاء لغير الله: شرك أكبر لأنه من أعظم أفراد العبادة)**

ويقال أيضًا: قد أمرنا الله سبحانه بدعائه وسؤاله، وأخبر أنه يجيب دعوة الداع إذا دعاه، وأمرنا أن ندعوه خوفًا وطمعًا، فإذا سمع الإنسان قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر/ ٦٠]، وقوله: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف/ ٥٥]، وأطاع الله ودعاه، وأنزل به حاجته، وسأله تضرعًا وخفية، فمعلوم أن هذا عبادة، فيقال: فإن دعا في تلك الحاجة نبيًّا، أو ملكًا، أو عبدًا صالحًا، هل أشرك في هذه العبادة؟ فلا بد أن يقر بذلك إلاَّ أن يكابر ويعاند.

الذبح: عبادة، وصرفه لغير الله شرك

ويقال أيضًا: إذا قال الله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر/ ٢]، وأطعت الله، ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم، فيقال له: فإذا ذبحت لمخلوق نبي أو ملك أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم إلاَّ أن يكابر ويعاند، وكذلك السجود عبادة، فلو سجد لغير الله لكان شركًا.

وكذلك السجود

الأدلة على أن صرف الدعاء لغير الله من الشرك الأكبر

ومعلوم: أن الله سبحانه وتعالى، ذكر في كتابه النهي عن دعاء غيره، وتكاثرت نصوص القرآن على النهي عن ذلك، أعظم مما ورد في النهي عن السجود لغير الله، والذبح لغير الله.

فإذا كان من سجد لقبر نبي، أو ملك أو عبد صالح، لا يشك أحد في كفره، وكذلك لو ذبح له القربان، لم يشك أحد في كفره،

لأنه أشرك في عبادة الله غيره، فيقال: السجود عبادة، وذبح القربان عبادة، والدعاء عبادة، فما الفارق بين السجود والذبح، وبين الدعاء إذ الكل عبادة، والدعاء عبادة؟ وما الدليل على أن السجود لغير الله، والذبح لغير الله شرك أكبر، والدعاء بما لا يقدر عليه إلاَّ الله شرك أصغر؟

لا فرق بين السجود والذبح والدعاء من حيث الأحكام المترتبة عليهم في التوحيد والشرك

ويقال أيضًا: قد ذكر أهل العلم من أهل كل مذهب، باب حكم المرتد، وذكروا فيه أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يكفر به الرجل، ويحل دمه وماله، ولم يرد في واحد منها ما ورد في الدعاء، بل لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله، بالنهي عنه والتحذير من فعله، والوعيد عليه.

لا يشتبه حكم شرك الدعاء، إلاَّ على من لا يعرف حقيقة دعوة النبي ﷺ

ولا يشتبه هذا إلاَّ على من لم يعرف حقيقة ما بعث الله به محمدًا ﷺ من التوحيد، ولم يعرف حقيقة شرك المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ، وأحل دماءهم وأموالهم، وأمره الله أن يقاتلهم ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال/ ٣٩]، أي: لا يكون شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال/ ٣٩].

دعاء غير الله من أعظم الشرك، وحرمته معلومة من الدين بالضرورة

فمن أصغى إلى كتاب الله، علم علمًا ضروريًا: أن دعاء الأموات من أعظم الشرك، الذي كفر الله به المشركين، فكيف يسوغ لمن عرف التوحيد، الذي بعث الله به محمدًا ﷺ أن يجعل ذلك من الشرك الأصغر، ويقول: قد عدم النص الصريح على كفر فاعله؟ فإن الأدلة القرآنية والنصوص النبوية، قد دلت على ذلك دلالة ظاهرة ليست خفية، ومن أعمى الله بصيرته فلا حيلة فيه ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٦].

وأيضًا: فإن كثيرًا من المسائل التي ذكرها العلماء في مسائل الكفر والردة، وانعقد عليها الإجماع، لم يرد فيها نصوص صريحة بتسميتها كفرًا، وإنما يستنبطها العلماء من عموم النصوص، كما إذا ذبح المسلم نسكًا متقربًا به إلى غير الله، فإن هذا كفر بالإجماع، كما نص على ذلك النووي وغيره، وكذلك لو سجد لغير الله.

نكتة مهمة، ينبغي التفطن لها

فإذا قيل: هذا شرك، لأن الذبح عبادة والسجود عبادة، فلا يجوز لغير الله، كما دل على ذلك قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر/ ٢]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢، ١٦٣]، فهذا صريح في الأمر بهما، وأنه لا يجوز صرفهما لغير الله؟ فينبغي أن يقال: فأين الدليل المصرِّح بأن هذا كفر بعينه؟

ولازم هذه المجادلة: الإنكار على العلماء في كل مسألة من مسائل الكفر والردة التي لم يرد فيها نص بعينها، مع أن هذه المسألة المسؤول عنها، قد وجدت فيها النصوص الصريحة من كلام الله وكلام رسوله، وأوردنا من ذلك ما فيه الهدى لمن هداه الله.

### (الأدلة على كفر من دعا غير الله)

وأما كلام العلماء: فنشير إلى قليل من كثير، ونذكر كلام من حكى الإجماع على ذلك، قال في الإقناع وشرحه: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم، كفر إجماعًا، لأن هذا كفعل عابدي الأصنام، قائلين: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر/ ٣]، انتهى.

دليل الإجماع

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله: وقد سئل عن رجلين

تناظرا، فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله، فإنا لا نقدر أن نصل إليه إلاَّ بذلك.

## (يجوز إثبات الواسطة بين الخالق والمخلوق باعتبار ولا يجوز باعتبار آخر)

فأجاب بقوله: إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله، فهذا حق.

فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما نهى عنه إلاَّ بالرسل، الذين أرسلهم الله إلى عباده، وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج/ ٧٥]، ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

من أنكر وساطة الأنبياء، لتبليغ أمر الله، فهو كافر بإجماع أهل الملل

وإن أراد بالواسطة: أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله، في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجعون إليه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع، ويدفعون بهم المضار، لكون الشفاعة لم يأذن الله له فيها.

من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين: اتخاذ الوسائط في العبادة، بصرفها إليهم

قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾ [السجدة/ ٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام/ ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام/ ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٥٦]، إلى قوله: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء/ ٥٧].

قال طائفة من السلف: كان أقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير، والملائكة والأنبياء، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً، وأنهم يتقرَّبون إليه، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه.

من جعل الملائكة أو النبيين وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، فهو كافر بإجماع المسلمين

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٠]، فبين الله سبحانه وتعالى: أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكربات، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين.

وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء/ ٢٦ ــ ٢٨]، إلى قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ﴾ [النساء/ ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى

﴿شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم/ ٢٦].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ . . .﴾ الآية [الأنعام/ ١٧]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر/ ٢].

## (حكم إثبات الوسائط بين الخالق والخلق في العبادة والدعاء)

فمن أثبت الوسائط: بين الله وبين خلقه، كالحجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم، وينصرهم بتوسطهم، بمعنى: أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك، يسألون الملوك حوائج الناس بقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب.

المشرك مشبِّه

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلاَّ قتل، وهؤلاء مشبِّهون شبَّهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أندادًا، وفي القرآن من الرد على هؤلاء، ما لا تتسع له هذه الفتوى.

فإن هذا دين المشركين عبَّاد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله تعالى، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى، حيث قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة/ ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

[البقرة/ ١٨٦]، أي: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي، ويؤمنوا بي أني أجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝ ﴾ [الشرح/ ٧، ٨].

**(كيف بيَّن الله التوحيد، وحسم مواد الشرك)**

وقد بيَّن الله هذا التوحيد في كتابه، وحسم مواد الإشراك به، حيث لا يخاف أحد غير الله، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلاَّ عليه، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة/ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [آل عمران/ ١٧٥]، وقال: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة/ ١٨].

وقــال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝ ﴾ [النور/ ٥٢].

فبين أن الطاعة لله والرسول، وأما الخشية والتقوى فللّه وحده.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝ ﴾ [التوبة/ ٥٩].

فبيَّن أن الإيتاء لله والرسول، وأما الحسب فهو لله وحده، كما قالوا: حسبنا الله، ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، ونظيره قوله تعــالــى: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ ﴾ [آل عمران/ ١٧٣].

وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم مواد الشرك، وهذا تحقيق قولنا: لا إلـه إلاَّ الله، فإن الإله: هو الذي تـألهـه القلـوب، بـالمحبـة والتعظيـم والإجـلال والإكـرام

تعريف الإلـه

والخوف، حتى قال لهم: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**».

وقال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**». وقال لابن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**». وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**». وقال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا علي حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**».

وقال في مرضه: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما فعلوا**». قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجدًا، وهذا باب واسع، انتهى ما لخصته من كلام الشيخ في مسألة الوسائط.

### (لا يجوز اتخاذ الوسائط في خصائص الربوبية والألوهية)

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر: والله سبحانه وتعالى لم يجعل أحدًا من الأنبياء والمؤمنين، واسطة في شيء من الربوبية والإلهية مثل ما ينفرد به، من الخلق والرزق وإجابة الدعاء، والنصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، بل غاية ما يكون العبد سببًا مثل أن يدعو ويشفع.

والله تعالى قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم/ ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران/ ٨٠].

فبيَّن سبحانه: أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر، ولهذا كانوا في الشفاعة على ثلاثة أقسام.

**(أقسام الناس في الشفاعة)**

فالمشركون: أثبتوا الشفاعة التي هي شرك، كشفاعة المخلوق عند المخلوق، كما يشفع عند الملوك خواصهم، لحاجة الملوك إلى ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم، ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم، فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار، لأن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه، ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافعين.

ولهذا قال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة/ ٤]، وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤]، وقال عن صاحب يسٓ: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يسٓ/ ٢٣].

وأما الخوارج والمعتزلة: فإنهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلَّال، مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ، ولإجماع خير القرون.

**القسم الثالث**: أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان: أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وسنة رسوله، ونفوا ما نفاه، فالشفاعة التي أثبتوها هي التي جاءت بها الأحاديث.

الشفاعة الشركية منفية بنصوص القرآن

وأما الشفاعة التي نفاها القرآن، كما عليه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الأمة، فينفيها أهل العلم والإيمان، مثل أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين، الغائبين والميّتين قضاء حوائجهم، ويقولون: إنهم إذا أرادوا ذلك قضوها، ويقولون: إنهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك، يشفعون بغير إذن الملوك، ولهم على الملوك إدلال يقضون به حوائجهم، فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك، والله سبحانه قد نزَّه نفسه عن ذلك. انتهى.

تعريف الشرك الأكبر، وحكمه

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما الشرك فنوعان: أصغر وأكبر، فالأكبر: الذي لا يغفره الله إلاَّ بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين.

الإقرار بالربوبية دون الألوهية، لا ينفع صاحبه

ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء/ ٩٧، ٩٨]، مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده، خالق كل شيء ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم يحبون معبوداتهم، ويعظمونها ويوالونها من دون الله.

## (أحوال المشركين بين التبديل والتغيير، وسبب ذلك)

وكثير منهم بل أكثرهم: يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون إذا انتقص أحد معبوداتهم وآلهتهم من المشايخ، أعظم

مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتقصت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم، غضبوا غضب الليث إذا حرب، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها.

بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئًا رضوا عنه، ولم تنكره قلوبهم، وقد شاهدنا هذا منهم نحن وغيرنا، ونرى أحدهم قد اتَّخذ ذِكر إلـٰهه ومعبوده من دون الله على لسانه إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن مرض، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على لسانه وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده، ووسيلته إليه، وهكذا كان عبَّاد الأصنام سواء.

القدر المشترك بين المشركين

وهذا القدر، هو الذي قام بقلوبهم، يتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر، قال تعالى حاكيًا عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر/ ٣]. ثم شهد عليهم بالكذب والكفر وأخبر أنه لا يهديهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر/ ٣]، فهذا حال من اتخذ من دون الله وليًا، يزعم أنه يقرِّبه إلى الله، وما أعز من يتخلَّص من هذا، بل ما أعزَّ من لا يعادي من أنكره.

والذي قام في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم: أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكره الله عليهم في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه لمن رضي: قوله وعمله، وهم أهل التوحيد، الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، ثم ساق كلامًا طويلاً وقرَّره أحسن تقرير.

فتأمَّل كلامه هذا، حيث قرَّر أن الذي يفعله مشركو زمانه، هو عين الشرك الذي فعله المشركون الأولون، ثم قال: وما أعز من يتخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره؟

ففي هذا شاهد لصحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»، وقوله فيما صح عنه ﷺ: «**لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم حذو القذَّة بالقذَّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»؟ أخرجاه في الصحيحين.

وقال الشيخ أبو العباس ابن تيمية رحمه الله، في رسالته «السنية» لما تكلم عن حديث الخوارج: فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه، ممن انتسب إلى الإسلام، من قد مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم: أن المنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان، قد يمرق أيضًا، وذلك بأمور:

الغلو من أعظم أسباب المروق من الإسلام

منها: الغلو الذي ذمة الله، كالغلو في المشائخ، كالشيخ عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح.

فكل من غلا في نبي أو في رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلـٰهية، مثل: أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: يا سيدي فلان أغثني، وأنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه فإن تاب وإلاَّ قتل.

الله أرسل رسله وأنزل كتبه، ليعبد وحده لا شريك له

فإن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ليعبد وحده، ولا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل الملائكة والمسيح، وعزير والصالحين، أو قبورهم، لم يكونوا

يعتقدون أنها تخلق وترزق، وإنما كانوا يدعونهم، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله الرسل تنهى أن يُدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة، انتهى.

صعوبة التكاليف قد تكون سببًا للتبديل والعدول

وقال أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله: لما صعبت التكاليف على الجهَّال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل: تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من إيقاد السرج، وتقبيلها، وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع، فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللاَّت والعزى.

والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف، ولم يتمسَّح بالآجر يوم الأربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق، أو محمد أو علي، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجًا بالجص والآجر، ولم يخرق ثيابه، ولم يرق ماء الورد على القبر، انتهى كلامه.

فتأمل رحمك الله ما ذكره هذا الإمام، وما كشف من الأمور التي يفعلها الخواص من الأنام، فضلاً عن النساء، والغوغاء والعوام، مع كونه في سادس القرون، والناس لما ذكره يفعلون، وجهابذة العلماء والنقدة لذلك مشاهدون، وحظهم من النهي مرتبته الثانية، فهم بها قائمون، يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون، وموَّه به المتعصِّبون والملحدون.

## فصـــل

شبهــة عظيمــة

وأما قوله الثاني: إن نظر فيه من حيثية القول، فهو كالحلف بغير الله، وقد ورد أنه شرك وكفر، ثم أوَّلوه بالأصغر، وإن نظر فيه من حيثية الاعتقاد، فهو كالطيرة وهي من الأصغر.

### (الفرق بين دعاء غير الله، والحلف بغيره سبحانه)

الرد الباهر عليها

فنقول: هذا كلام باطل، وليس يخفى ما بينهما من الفرق، فأي مشابهة بين من وحَّد الله وعبده، ولم يشرك معه أحدًا من خلقه، وأنزل حاجاته كلها بالله، واستغاث به في تفريج كرباته، وإغاثة لهفاته، لكنه حلف بغير الله يمينًا مجردة لم يقصد بها تعظيمه على ربه، ولم يسأله ولم يستغث به، وبين من استغاث بغير الله، وسأله جلب الفوائد وكشف الشدائد؟!

الـدعـاء: لـب العبـادة ومخهـا

فإن هذا صرف مخ العبادة، الذي هو لبها وخالصها لغير الله، وأشرك مع الله غيره في أجلِّ العبادات وأفضل القربات التي أمرنا الله بها في غير موضع من كتابه، وأخبر النبـي ﷺ أنه هو العبادة، كما تقدم في حديث النعمان بن بشير، أن الدعاء هو العبادة، وفي حديث أنس «الدعاء مخ العبادة»، وأخبر النبـي ﷺ: أن الله يحب الملحِّين فيه، وأن من لم يسأل الله يغضب عليه.

ففي الترمذي عن ابن مسعود عن النبـي ﷺ: «**سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل**». وفيه أيضًا: «**إن الله يحب الملحِّين في الدعاء**». وفيه أيضًا: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**». وفي الترمذي وابن ماجه، عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**».

حكم الحلف بالله تعالى

وأما الحلف: فلم يأمرنا الله به، بل أمرنا بحفظه، فقال: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [المائدة/ ٨٩]، قيل المعنى: لا تحلفوا، وقيل: لا تحنثوا، ولا يرد على هذا ما روي عن النبي ﷺ أنه حلف في مواضع، فاليمين تستحب إذا كان فيها مصلحة راجحة، وعلى هذا حمل العلماء ما روي في ذلك عن النبي ﷺ، فهو يحلف لمصالح مطلوبة للأمة، كزيادة إيمانهم، وطمأنينة قلوبهم، كما أمره الله بذلك في ثلاثة مواضع من كتابه، وأما الحلف لغير مصلحة فليس مشروعًا، بل يباح إذا كان صادقًا.

وأما الدعاء: فهو محبوب مشروع لله، بل سمَّاه الله في كتابه: الدين، وأمر بإخلاصه له، وسمَّاه رسوله ﷺ العبادة، ومخ العبادة، فكيف يقال: هو الحلف[1]؟

فمن صرف الدعاء لغير الله، فقد أشرك في الدين الذي أمر الله بإخلاصه، وفي العبادة التي أمر الله بها.

الرهبة والرغبة والرجاء والتوكل، من لوازم الدعاء، وذلك هو حقيقة العبادة

وأيضًا: فإن الداعي راغب راهب، فالعبد يدعو ربه رغبًا ورهبًا، ويتوكل عليه في حصول مطلوبه، ودفع مرهوبه، فإذا طلب فوائده، وكشف شدائده من غير الله، فقد أشرك مع الله في الرغبة والرهبة، والرجاء والتوكل، فإن هذا من لوازم الدعاء، وهو من العبادة التي أمر الله بها، كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨ ﴾ [الشرح/ ٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ ﴾ [النحل/ ٥١]، وقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾ [المائدة/ ٢٣].

---

(١) هكذا في الأصل، ولعلها: كالحلف.

فمن استغاث بغير الله، فهو راغب في حصول مطلوبه، راج له متوكل عليه، وذلك هو حقيقة العبادة التي لا تصلح إلاَّ لله، وهو معنى لا إلـٰه إلاَّ الله، فإن لإلـٰه: هو الذي تألهه القلوب، محبة ورجاء وخوفًا وتوكُّلاً.

من دعا غير الله، فقد ردّ عليه أمره، وكذب بآياته

ويقال أيضًا: الذي يدعو غير الله في مهماته، وكشف كرباته، قد رد على الله وكذب بآياته، فإن الله أخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه، وأن الشفاعة كلها لله، وهذا زعم أن الميت يشفع له، وأخبر الله أن الأولياء والصالحين لا يملكون كشف الضر ولا تحويله، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، ولا يسمعون الدعاء ولا يستجيبون، وهذا زعم: أنهم باب حوائجه إلى الله، وأنهم ينفعون ويشفعون، وللدعاء يسمعون، وله يستجيبون، فكذب على الله وكذَّب بآياته.

متى يصير الحلف بغير الله كفرًا أكبر

فكيف يقال: إن هذا كالحلف بغير الله؟ الذي قصاراه أن يكون شركًا أصغر، يعاقب عليه كما يعاقب الزاني، وقاتل النفس وآكل الربا، لأنه ارتكب محرمًا غير مستحل له، نظير ما يفعله الزاني وقاتل النفس، فأما إن فعله مستحلاً له، أو يكون المخلوق في قلبه أعظم من الخالق، كان ذلك كفرًا.

تعريف الشرك الأصغر

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتواضع للخلق، والحلف بغير الله، وما لي إلاَّ الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر، بحسب حال قائله ومقصده، انتهى.

### (الشرك أسبق تحريمًا من الحلف بغير الله)

وجوب التوحيد، وحرمة الشرك، معلومان بالضرورة من دين الإسلام

ويقال أيضًا: من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الإشراك،

فكان أول آية أرسله الله بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر/ ١ ــ ٥].

فأنذر عن الشرك، وهجر الأوثان، وكبّر الله، وعظَّمه بالتوحيد.

فاستجاب له من استجاب من المسلمين، وصبروا على الأذى من قومهم، وقاسوا الشدائد العظيمة، فهاجروا وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في الله، وتميز الكافر من المسلم. ومات من المسلمين من استوجب الجنة، ومات من الكفار من استوجب النار، هذا كله قبل النهي عن الحلف بغير الله.

الشرك محرم في جميع شرائع المرسلين، فور بعثهم وإرسالهم

فالاستغاثة بأهل القبور، واستنجادهم واستنصارهم، لم يبح في شرائع الرسل كلهم، بل بعث الله جميع رسله بالنهي عن ذلك، والأمر بعبادته وحده لا شريك له.

تأخر حرمة الحلف بغير الله

وأما الحلف: فكان الصحابة يحلفون بآبائهم، ويحلفون بالكعبة وغير ذلك، ولم ينهوا عن ذلك إلَّا بعد مدة طويلة، فقال لهم النبي ﷺ: «**إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»، وقال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».

ومن لا يميز بين دعاء الميت والحلف به، لا يعرف الشرك الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، ينهى عنه، ويقاتل أهله.

**(الفرق بين: الاستغاثة، والحلف بغيره سبحانه)**

وأي جامع بين الحلف والاستغاثة؟ فالمستغيث طالب سائل، والحالف لم يطلب ولم يسأل، فإن كان الجامع بينهما عند القائل باتحادهما: أن كلًّا منهما قول باللسان؟

فيقال له: والإنكار والدعوات، وقول الزور وقذف المحصنات، كل ذلك قول باللسان، ولو قال أحد: إنها ألفاظ متقاربة لعُدَّ من المجانين.

الشرك لا يدانيه أي معصية دونه

وإن أراد هذا القائل اتحادهما في المعنى، فهذا باطل كما تقدَّم بيانه، وأي مشابهة بين من جعل الله ندًّا من خلقه، يدعوه ويرجوه، ويستنصره ويستغيث به، وبين من لا يدعو إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأخلص له في عبادته؟

فالأول: أشرك مع الله في قوله وفعله واعتقاده، بخلاف الحالف، بل لو اعتقد الحالف تعظيم المخلوق على الخالق، لصار مشركًا شركًا أكبر كما تقدم.

ومما يبين ذلك أيضًا: أن الرسول ﷺ لما نهاهم عن الحلف بغير الله، وحلف بعض الصحابة حدثاء العهد، فقال في حلفه: واللات، قال النبي ﷺ: «**من حلف باللَّات والعزى، فليقل: لا إلـه إلاَّ الله**». ولما قال له بعض الصحابة حدثاء العهد بالكفر: اجعل لنا ذات أنواط، قال: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم**».

فانظر كيف نهى الحالف، وأرشده إلى الكفارة، بأن يقول: لا إلـه إلاَّ الله من غير تغليظ، والذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، غلَّظ عليهم التغليظ الشديد، وحلف لهم أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، وأن قولهم: اجعل لنا ذات أنواط، كقول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهًا سواء، فهما متفقان معنى، وإن اختلفا لفظًا، وهذا مما يبين لك شيئًا من معنى لا إلـه إلاَّ الله.

فإذا كان اتخاذ الشجرة للعكوف حولها، وتعليق الأسلحة بها للتبرك، اتخاذ إله مع الله، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر، ودعائه في إنزال الفوائد، والاستغاثة به في كشف الشدائد، وأخذ تربته تبركًا وإسراج القبر وتخليقه؟!

وأي شبهة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟

كيف كانت دلالة النصوص في حس السلف الصالح

قال بعض أهل العلم، من أصحاب مالك: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة، أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قِبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها، انتهى.

**(العلماء أبانوا الفرق بين: دعاء الأموات والحلف بهم)**

ومما يبين الفرق بين دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وبين الحلف بهم، أن العلماء قسَّموا الشرك: إلى أكبر وأصغر، جعلوا دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، فيما لا يقدر عليه إلاَّ رب السماوات والأرض، هو عينه شرك المشركين، الذين كفرهم الله في كتابه، وجعلوا الحلف بغير الله شركًا أصغر.

فيذكرون الأول في باب حكم المرتد، وأن من أشرك بالله فقد كفر، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء/ ٤٨]، ويفسرون هذا الشرك بما ذكرناه، ويذكرون الثاني في كتاب الإيمان[١]، فيفرِّقون بين هذا وهذا.

ولم نعلم أن أحدًا من العلماء الذين لهم لسان صدق في الأمة

---

(١) هكذا في الأصل، وإن كان السياق يحتمل: (الأيمان).

قال: إن طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم شرك أصغر، ولا قال إن ذلك كالحلف بغير الله، اللهم إلاَّ أن يكون بعض المنتسبين إلى العلم من المتأخرين الضالين، الذين قرَّروا الشرك، وحسَّنوه للناس، نظمًا ونثرًا، وصار لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء/ ٥١].

**(الرد على من سوَّى بين دعاء غير الله، والطيرة في الحكم)**

وأما قوله: وإن نظر فيه من جهة الاعتقاد، فهو كالطيرة، فهذا كلام باطل أيضًا، يظهر بطلانه مما تقدم، فيقال: وأين الجامع بين شرك من جعل بينه وبين الله واسطة، يدعوه ويسأله قضاء حاجاته، وكشف كرباته؟ ويقول: هذا وسيلتي إلى الله، وباب حاجتي إليه، وبين من عبد الله وحده لا شريك لهُ، ودعاه خوفًا وطمعًا، وأنزل به حاجاته كلها، وتبرَّأ من عبادة كل معبود سواه؟ ولكن وقع في قلبه شيء من الطيرة، فالأول: هو دين أبي جهل وأصحابه، وهو دين أعداء الرسل، من لدن نوح إلى يومنا هذا.

الطيرة قد تحصل لكثير من المؤمنين، بخلاف دعاء غير الله فإنه يذهب الإيمان بالكلية

**(حكم الطيرة وكفارتها)**

وأما الطيرة: فتقع على المؤمنين الموحِّدين، كما في حديث ابن مسعود المرفوع: «**الطيرة شرك**» وما منا إلاَّ، ولكن الله يذهبه بالتوكل. رواه أبو داود، ورواه الترمذي وصحَّحه، وجعل آخره من قول ابن مسعود، وفي مراسيل أبي داود: أن النبي ﷺ قال: «**ليس عبد إلاَّ سيدخل قلبه طيرة، فإذا أحس بذلك فليقل: أنا عبد الله، ما شاء الله لا قوة إلاَّ بالله، لا يأتي بالحسنات إلاَّ الله، ولا يذهب بالسيئات إلاَّ الله، أشهد أن الله على كل شيء قدير، ثم يمضي لوجهه**».

وفي مسند الإمام أحمد، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «**من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، وكفارة ذلك أن يقول أحدهم: اللهم لا طير إلاَّ طيرك، ولا خير إلاَّ خيرك، ولا إله غيرك**». وفي صحيح ابن حبان عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**لا طيرة، والطيرة على من تطيَّر**».

ومعنى هذا: من تطيَّر تطيرًا منهيًّا عنه، بأن يعتمد على ما يسمعه أو يراه من الأمور التي يتطير بها، حتى تمنعه مما يريد من حاجته، فإنه قد يصيبه ما يكرهه، وأما من توكل على الله، ولم ينظر إلى الأسباب المخوفة، وقال ما أمر به من هذه الكلمات، ومضى، فإنه لا يضره ذلك، فإذا كان هذا حال الطيرة، فأين الجامع بينها وبين الشرك الأكبر في الاعتقاد؟!

إذا صاحب التطير: اعتقاد علم الغيب في أي مخلوق، فيكون بهذا شركًا أكبر

فإن أراد السائل: أن التطيرَ إذا زجر الطير، أو تطير بما يراه من علم النجوم وغيره، أو يسمعه من الكلام، يعتقد في ذلك علم الغيب، وأن الطير تخبره عما هو صائر إليه في المستقبل، وأن الأفلاك تدبِّر أمر الخلائق، فليس هذا من الشرك الأصغر، بل هذا من الشرك الأكبر، نظير شرك عبَّاد الكواكب»[١].

* * *

لقد قرر كثير من أساطين الشرك لأتباعهم ومريديهم، وأصَّلوا لهم: أن زبدة الرسالة تتمثل في مجرد التلفظ بكلمة التوحيد، ولا أدلّ على ذلك من أن النبي ﷺ لم يطالب قومه بتحقيق معناها، بل وعلى ذلك الدرب سار صحابته الكرام في فتوحاتهم لبلاد العجم، فقد قنعوا منهم بمجرَّد النطق دون العلم والعمل.

---

(١) الدرر السنية ١١/ ١٨ ــ ٤١.

ومن ثمّ فمن وقع في حقيقة الكفر، وصريح الشرك، ووالى أصحابه، وذبَّ عنهم... فما زال مسلمًا معصوم الدم والمال، وذلك لعدم مساسه بحقوق الشهادتين، التي لا حق لها إلَّا مجرَّد التلفظ بها!!!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [الكهف: ٥].

**قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كشف هذه الشبهة، الصماء، العمياء، البكماء:**

هذه الشبهة، لا تصدر إلا عمّن لم يتصور ما يقول

«لكن: العجب العُجاب، استدلاله[1]: أن رسول الله ﷺ دعى الناس إلى قول: لا إلـه إلَّا الله، ولم يطالبهم بمعناها، وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فتحوا بلاد الأعاجم، وقنعوا منهم بلفظها، إلى آخر كلامه، فهل يقول هذا الكلام من يتصور ما يقول؟!

**(التلفظ: بـ لا إلـه إلَّا الله، لا ينفع صاحبه إلَّا بترك الشرك)**

فنقول، أولاً: هو الذي نقض كلامه، وكذبه، بقوله: دعاهم إلى ترك عباده الأوثان، فإذا كان لم يقنع منهم إلَّا بترك عبادة الأوثان، تبين أن النطق بها لا ينفع، إلَّا بالعمل بمقتضاها، وهو: ترك الشرك، وهذا هو المطلوب، ونحن إنما نهينا عن الأوثان، المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهما، في الشام وغيره.

تسويغ الشرك: كفر عظيم

فإن قلتم: ليس هذا من الأوثان، وإن دعاء أهل القبور، والاستغاثة بهم في الشدائد، ليست من الشرك، مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله ﷺ، يخلصون لله في الشدائد، ولا يدعون

---

(١) أحد المنافحين عن الشرك والمشركين.

أوثانهم، فهذا: كفر، وبيننا وبينكم: كلام العلماء، من الأولين، والآخرين، الحنابلة وغيرهم.

وإن أقررتم: أن ذلك كفر، وشرك، وتبيَّن أن قول: لا إلـه إلاَّ الله، لا ينفع إلاَّ مع ترك الشرك، فهذا هو المطلوب، وهو الذي نقول، وهو الذي أكثرتم النكير فيه، وزعمتم أنه لا يخرج إلاَّ من خراسان، وهذا القول، كما في أمثال العامة: لا وجه سمح، ولا بنت رجال، لا أقول صواب، بل خطأ ظاهر، وسب لدين الله، وهو أيضًا: متناقض، يكذب بعضه بعضًا، لا يصدر إلاَّ ممن هو أجهل الناس.

صاحب هذه الدعوى لا يفرق بين دين المؤمنين والمنافقين

وأما دعواه: أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم، إلاَّ مجرد هذه الكلمة، ولم يعرفوهم بمعناها، فهذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين، ودين المنافقين، الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فإن المؤمنين يقولونها، والمنافقين يقولونها، لكن المؤمنين يقولونها، مع معرفة قلوبهم بمعناها، وعمل جوارحهم، بمقتضاها، والمنافقون يقولونها، من غير فهم لمعناها، ولا عمل بمقتضاها، فمن أعظم المصائب، وأكبر الجهل من لا يعرف الفرق، بين الصحابة والمنافقين.

لكن هذا لا يعرف النفاق، ولا يظنه في أهل زماننا، بل يظنه في زمان رسول الله ﷺ وأصحابه، وأما زمانه: فصلح بعد ذلك! وإذا كان زمانه وبلدانه ينزهون عن البدع، ومخرجها من أهل خراسان، فكيف بالشرك والنفاق؟! ويا ويح هذا القائل، ما أجرأه على الله! وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم! حيث ظن أنهم لا يعلمون الناس معنى: لا إلـه إلاَّ الله.

أداء الزكاة من حقوق لا إلـه إلاّ الله، فكيف بالتوحيد وترك الشرك

أما علم هذا الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه، فضلاً عن مسائل الشرك، ففي الصحيحين: أن عمر رضي الله عنه لما أشكل عليه قتال مانعي الزكاة، لأجل قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلـه إلاَّ الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلاَّ بحقها**»، قال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها؛ فإذا كان منع الزكاة من منع حق لا إلـه إلاَّ الله، فكيف بعبادة القبور؟ والذبح للجن؟ ودعاء الأولياء؟ وغيرهم، مما هو دين المشركين؟!»[1].

**وقال أيضًا رحمه الله تعالى في تقرير أن لا إلـه إلاَّ الله لا تنفع إلاَّ بمعرفة معناها، والعمل بمقتضاها:**

كيف انتشر الشرك في الأمة

«هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله، وقد غلط أهل زماننا فيها، وأثبتوا لفظها دون معانيها، وقد يأتون بأدلة على ذلك، تلتبس على الجاهل المسكين، ومن ليس له معرفة في الدين، وذلك يفضي إلى أعظم المهالك.

فمن ذلك قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاَّ الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم**». الحديث، وكذلك قوله ﷺ لما سئل عن شفاعته من أحق بها يوم القيامة؟ قال: «**من قال لا إلـه إلاَّ الله خالصًا من قلبه**»، وقوله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلـه إلاَّ الله دخل الجنة**»، وكذلك حديث عتبان: «**فإن الله حرم على النار، من قال لا إلـه إلاَّ الله، يبتغي بذلك وجه الله**».

---

(١) الدرر السنية ٢/ ٤٥ ــ ٤٧.

وهـذه الأحـاديـث الصحيحـة، إذا رآهـا هـذا الجـاهـل، أو بعضها، أو سمعها من غيره، طابت نفسه وقرَّت عينه، واستفزَّه المساعد على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك، فلو أنه دعا غير الله، أو ذبح له، أو حلف به، أو نذر له، لم يرَ ذلك شركًا، ولا محرمًا، ولا مكروهًا، فإذا أنكر عليه أحد بعض ما ينافي التوحيد لله، والعمل بما أمر الله، اشمأز ونفر، وعارض بقوله: قال رسول الله، وقال رسول الله.

**(حقوق لا إلـه إلاَّ الله، التـي تستوجـب قتـال مـن لـم يقـم بـأيٍّ منهـا)**

الأدلة على ذلك

وهذا: لم يدر حقيقة الحال، فلو كان الأمر كما قال، لما قال الصدِّيق رضي الله عنه في أهل الردة: والله لو منعوني عناقًا، أو قال عقالاً، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا لا إلـه إلاَّ الله؟

وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم، فإنهم شر قتيل تحت أديم السماء**».

أفيظـن هـذا الجـاهـل: أن الخـوارج الـذيـن قـال فيهـم رسول الله ﷺ هذا، أنهم لم يقولوا لا إلـه إلاَّ الله؟ وقال ﷺ: «**في هذه الأمة** ــ ولم يقل: منها ــ **قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**».

كم من مريد للخير لم يصبه

وكذلك أهل حلقة الذكر، لما رآهم أبو موسى في المسجد، في كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائة، هلِّلوا مائة ــ الحديث ــ فلما

أنكر عليهم صاحب رسول الله ﷺ قالوا: والله ما أردنا إلاَّ الخير، قال: كم من مريد للخير لم يصبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا: «**أن قومًا يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلوقهم، أو قال تراقيهم**»، وأيم الله: لا أدري أن يكون فيكم أكثرهم، فما كان إلاَّ قليلاً، حتى رأوا أولئك يطاعنون أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج، أفيظن هذا الجاهل المشرك، أنهم يشركون لكونهم يسبحون ويهلِّلون ويكبرون؟

القيام بشروط الكلمة العاصمة، شرط لقبول الأعمال الصالحة

وكذلك المنافقون، على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس، ويحجون معه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء/ ١٤٥]، أفيظن هذا الجاهل، أنهم لم يقولوا لا إلـٰه إلاَّ الله؟ وكذلك قاتل النفس بغير الحق يقتل، أفيظن هذا الجاهل أنه لم يقل لا إلـٰه إلاَّ الله، وأنه لم يقلها خالصًا من قلبه؟

فسبحان من طبع على قلب من شاء من عباده، وأخفى عليه الصواب، وأسلكه مسلك البهائم والدواب، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان/ ٤٤]، حتى قال هؤلاء الجهلة، ممن ينتسب إلى العلم والفقه: قبلتنا من أمَّها لا يكفر.

حكم المشرك

فلا إلـٰه إلاَّ الله، نفي وإثبات الإلـٰهية كلها لله: فمن قصد شيئًا من قبر، أو شجر، أو نجم، أو ملك مقرَّب، أو نبي مرسل، لجلب نفع، وكشف ضر، فقد اتخذه إلهًا من دون الله مكذب بلا إلـٰه إلاَّ الله، يستتاب، فإن تاب وإلاَّ قتل»[1].

---

(١) الدرر السنية ٢/ ٨٤ ـــ ٨٧.

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى:**

«وأما قوله[1]: ومن تسمَّى بالإسلام، وأحبَّ محمدًا سيد الأنام، وأحب أصحابه الكرام، واتَّبع العلماء الأعلام، لا يكفر أحدًا من سائر المسلمين، فضلاً عن هداتهم في الدين، اللهم إلَّا أن يكون من الغلاة، الذين أسقطوا حرمة لا إلـٰه إلَّا الله، وسوَّل لهم الشيطان، وأملى لهم، حيث استباحوا دماء المسلمين، إلى آخر رسالته.

مخالفة هذا القول للكتاب والسنَّة والإجماع

فيقال في جوابه: هذا الجاهل يظن أن من أشرك بالله، واتَّخذ من الأنداد والآلهة، ودعاهم مع الله لتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات يحكم عليه ــ والحال هذه ــ بأنه من المسلمين، لأنه يتلفظ بالشهادتين، ومناقضتها لا تضره، ولا توجب عنده كفره، فمن كفره فهو من الغلاة الذين أسقطوا حرمة لا إلـٰه إلَّا الله، وهذا القول مخالف لكتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم، ويتوكل عليهم كفر إجماعًا، انتهى.

التلفظ بالشهادة من غير التزام بمعناها لا يجدي شيئًا

ومجرد التلفظ من غير التزام لما دلت عليه كلمة الشهادة، لا يجدي شيئًا، والمنافقون يقولونها، وهم في الدرك الأسفل من النار، نعم إذا قالها المشرك ولم يتبين منه ما يخالفها، فهو ممن يكف عنه بمجرد القول، ويحكم بإسلامه.

وأما إذا تبين منه وتكرر عدم التزام ما دلت عليه، من الإيمان بالله وتوحيده، والكفر بما يعبد من دونه، فهذا لا يحكم له بالإسلام، ولا كرامة له، ونصوص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة يدل على هذا.

---

(١) أي: أحد المنافحين عن الشرك وأهله.

تحقيق أصول الإيمان يقتضي تكفير المشرك

فمن تسمَّى بالإسلام حقيقة، وأحبَّ محمدًا واقتدى به في الطريقة، وأحب أصحابه الكرام، ومن تبعهم من علماء الشريعة، يجزم، ولا يتوقف بكفر من سوَّى بالله غيره، ودعا معه سواه من الأنداد والآلهة ولكن هذا الصحَّاف يغلط في مسمَّى الإسلام، ولا يعرف حقيقته، وكلامه يحتمل أنه قصد الخوارج، الذين يكفِّرون بما دون الشرك من الذنوب، وحينئذ يكون له وجه، ولكنه احتمال بعيد، والظاهر الأول.

شبهة وجوابها

دعاء غير الله: كفر بمجرده

وقد ابتلي بهذه الشبهة، وضل بها كثير من الناس، وظنوا مجرد التكلم بالشهادتين مانع من الكفر، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٧]، فكفره بدعاء غيره تعالى.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس/ ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد/ ١٤].

فالتكفير بدعاء غير الله، هو نصّ كتاب الله، وفي الحديث «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار**» وفي الحديث أيضًا: أن رسول الله ﷺ، قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـٰه إلاَّ الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها**»، وفي رواية: «**إلاَّ بحق الإسلام**».

التوحيد وترك الشرك: أعظم حقوق الإسلام وأصله الأصيل

المشرك شاهد على نفسه بالكفر

وأعظم حق الإسلام وأصله الأصيل، هو: عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فمن قالها وعبد غير الله، واستكبر عن عبادة الله، فهو مكذب لنفسه، شاهد عليها بالكفر والاشراك.

**(الأدلة على كفر من نطق بالشهادتين، ولم يلتزم بهما)**

وقد عقد كل طائفة من أتباع الأئمة، في كتب الفقه بابًا مستقلاً في حكم المرتد، وذكروا أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان، ولو كان يشهد أن لا إلـه إلاَّ الله.

وقد قال تعالى: في النفر الذين قالوا في غزوة تبوك بعض القول، الذي فيه ذم لرسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة/ ٦٥، ٦٦].

فكفرهم بعد إيمانهم بالاستهزاء، ولو كان على وجه المزح واللعب، ولم يمنع ذلك قولهم: لا إلـه إلاَّ الله.

وكذلك إجماع الأمة على كفر من صدَّق مسيلِمة الكذاب، ولو شهد أن لا إلـه إلاَّ الله، وقد كفر الصحابة أهل مسجد بالكوفة، بكلمة ذكرت عنهم في احتمال صدق مسيلمة، ولم يلتفت أصحاب رسول الله ﷺ إلىٰ أنهم يشهدون أن لا إلـه إلاَّ الله، لأنه قد وجد منهم ما ينافيها ويناقضها ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور/ ٤٠].

كيفية القيام بحرمة لا إلـه إلاَّ الله

وبالجملة: فالذي يقوم بحرمة لا إلـه إلاَّ الله، هم الذين جاهدوا الناس عليها، ودعوهم إلى التزامها، علمًا وعملاً، كما هي طريقة رسل الله وأنبيائه، ومن تبعهم بإحسان، كشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى.

وأما من أباح الشرك بالله، وعبادة غيره، وتولى المشركين وذبَّ عنهم، وعادى الموحِّدين وتبرَّأ منهم، فهو الذي أسقط حرمة

لا إلـه إلاَّ الله، ولـم يعظمها ولا قام بحقها، ولو زعم أنه من أهلها القائمين بحرمتها»[1].

* * *

وقـرَّر بعضهـم: أن الشـرك إذا وقـع مـع الخطـأ فهـو مغفـور لصـاحبـه، ويجـب علـى المسلميـن أن ينظمـوه فـي سلـك الأخـوَّة الإيمانية، لعدم إخلاله بحقوقها:

**قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

ثـم إن الجـاهـل المـرتـاب، قـال فـي أوراقـه قـولاً، قـد تقـدم الجواب عنه، ولا بد من ذكره، قال: فإذا قال المسلم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر/ ١٠].

يقصد من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تـأويـل تـأوَّلـه، أو قـال كفـرًا، أو فعلـه، وهـو لا يعلـم أنـه يضـاد الشهادتين، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان.

الكفر ينافي الإيمان من كل وجه، ويحبطه

فأقول: انظر إلى هذا التهافت والتخليط، والتناقض، ولا ريب أن الكفر ينافي الإيمان، ويبطله، ويحبط الأعمال، بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾ [المائدة/ ٥].

كل كافر مخطىء، والمشركون متأولون، إلاَّ أنهم لم يعذروا بخطأهم في التأويل

ويقال: وكل كافر قد أخطأ، والمشركون لا بد لهم من تأويلات، ويعتقدون أن شركهم بالصالحين، تعظيم لهم، ينفعهم، ويدفع عنهم، فلم يعذروا بذلك الخطأ، ولا بذلك التأويل، بل قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) الدرر السنية ١٢/ ٢٧٣ ــ ٢٧٦.

﴿يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر/ ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف/ ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ الآية [الكهف/ ١٠٣، ١٠٥].

لم يستثن العلماء: الجهال من المرتدين

فأين ذهب عقل هذا عن هذه الآيات، وأمثالها من الآيات المحكمات؟! والعلماء رحمهم الله تعالى سلكوا منهج الاستقامة، وذكروا باب حكم المرتد، ولم يقل أحد منهم: أنه إذا قال كفرًا، أو فعل كفرًا، وهو لا يعلم أنه يضاد الشهادتين، أنه لا يكفر لجهله.

جهل المشركين وتقليدهم لا يدفع عنهم عقاب الله

وقد بيّن الله في كتابه: أن بعض المشركين جهال مقلِّدون، فلم يدفع عنهم عقاب الله بجهلهم وتقليدهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [الحج/ ٣]، إلى قوله: ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج/ ٤].

سمة المبتدعين

ثم ذكر الصنف الثاني: وهم المبتدعون، بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج/ ٨]، فسلبهم العلم والهدى، ومع ذلك فقد اغترَّ بهم الأكثرون، لما عندهم من الشبهات والخيالات، فضلُّوا وأضلوا، كما قال تعالى في آخر السورة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج/ ٧١]. وتقرير هذا المقام، قد سلف في كلام العلامة ابن القيم، وكلام شيخ الإسلام»[1].

---

(١) الدرر السنية ١١/ ٤٧٨، ٤٧٩.

ولقد نص أعضاء لجنة الفتوى الدائمة على أن:

متى يعذر المخطىء، ومتى لا يعذر؟

«المخطىء المعذور: من أخطأ في المسائل النظرية الاجتهادية، لا من أخطأ فيما ثبت بنص صريح، ولا فيما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

**اللجنة العلمية للبحوث العلمية والإفتاء**

| نائب رئيس اللجنة | الرئيس |
| --- | --- |
| عبد الرزاق عفيفي | عبد العزيز بن عبد الله بن باز»[1] |

* * *

وعلَّل بعض علماء المشركين باستحالة وقوع الشرك ـ لاسيما بين عرب الجزيرة ـ بقول النبي ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**».

**قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله تعالى في بيان هذا الاشتباه ـ في أثناء تصديه لبعض المجادلين عن المشركين ـ:**

وأما قوله ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**» فقد يحتج بهذا الحديث من زعم: أن هذه الأمور الشركية التي تفعل عند القبور، ومع الجن، مثل سؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والاستعاذة بهم، والتقرب إليهم بالذبح لهم والنذر لهم، وغيرْ ذلك من أنواع العبادة، ليست عبادة لهم ولا شركًا.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٣٩.

فيقال أولاً: إن النبي ﷺ نسب الإياس إلى الشيطان، ولم يقل: إن الله آيسه، فالإياس الصائر من الشيطان لا يلزم تحقيقه واستمراره، ولكن عدو الله لما رأى ما ساءه من ظهور الإسلام في جزيرة العرب وعلوِّه، يئس من ترك المسلمين دينهم الذي أكرمهم الله به، ورجوعهم إلى الشرك الأكبر، وهذا كما أخبر الله سبحانه عن الكفار، في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة/ ٣].

الإياس منسوب إلى الشيطان، لا لفعل الله سبحانه به

قال المفسرون: لما رأى الكفار ظهور الإسلام في أرض العرب وتمكنه فيها، يئسوا من رجوع المسلمين عن الإسلام إلى الكفر، قال ابن عباس وغيره من المفسرين: يئسوا أن يراجعوا دينهم، قال ابن كثير: وعلى هذا يرد الحديث الثابت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»، يعني: أن إياس الشيطان مثل إياس الكفار، وأن الكل يئس من ارتداد المسلمين وتركهم دينهم، ولا يلزم من ذلك امتناع وجود الكفر في أرض العرب.

ليس المقصود من الحديث: امتناع وجود الكفر في أرض العرب

**(الأدلة على وقوع الكفر في جزيرة العرب)**

ولهذا قال ابن رجب على الحديث: يئس أن تجتمع الأمة على الشرك الأكبر، يوضح ذلك ما حصل من ارتداد أكثر أهل الجزيرة بعد موت النبي ﷺ، وقتال الصديق والصحابة لهم على اختلاف تنوعهم في الردة، قال أبو هريرة: لما مات النبي ﷺ وكفر من كفر من العرب، وردة بني حنيفة مشهورة.

وقول النبي ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون**»، معناه: أنه يئس أن يطيعه المصلون في الكفر بجميع أنواعه، لأن

طاعة الشيطان في الكفر: عبادة له

طاعته في ذلك هي عبادته، قال تعالى: ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس/ ٦٠].

اللوازم الشنيعة، لمن منع وقوع الكفر في جزيرة العرب

ومن استدل بالحديث على امتناع وجود كفر في جزيرة العرب، فهو ضال مضل، فماذا يقول هذا الضال في الذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه والصحابة من العرب، وسمُّوهم: مرتدين كفارًا؟! فلازم دعوى هذا الضال: أنه لم يكفر أحد من العرب بعد موته ﷺ، وأن الصحابة أخطؤوا في قتالهم، والحكم عليهم بالردة.

إذا تبين بطلان اللازم، دلّ ذلك على بطلان الملزوم يقينًا

وقد ثبت في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تُعبد اللّات والعزى**» ومكانهما معلوم، وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة**» وهو صنم لدوس، رهط أبي هريرة، بعث رسول الله ﷺ جرير ابن عبد الله الجبلي وهدمه.

وفي الحديث الصحيح من خبر الدجال: أنه لا يدخل المدينة، بل ينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج منها كل كافر ومنافق، فأخبر أن في المدينة إذ ذاك كفارًا ومنافقين.

بيان الشرك ووقوعه، من الأمور الفاصلة في المسألة

ويقال أيضًا لهذا المجادل: بيِّن لنا الشرك الذي حرَّمه الله وعظم أمره، فإنه لا يعرفه، أو يفسره بالشرك في الربوبية، الذي أقرَّ به المشركون، وحينئذٍ بينت له أن الشرك في الإلـٰهية، وهو: جعل شيء من العبادة لغير الله، كالسجود ودعاء الأموات والغائبين، والذبح لهم والنذر لهم، وهذه الأمور كانت تفعل، عند مشاهد شركية في اليمن والحرمين، ومع الجن في نجد وغيرها من الجزيرة.

أيظن هؤلاء المجادلون بالباطل: أن العلماء الذين نصوا على أن هذه الأفعال والأقوال من الشرك الأكبر، أنهم لا يعرفون معنى الحديث الذي أوردتموه؟ أو لا يعرفون الشرك؟ وهذا ظاهر ـ ولله الحمد ـ ونص العلماء وحكوا الإجماع عليه، وأقاموا عليه أدلة من الكتاب والسنة، فإن كابر وعاند، فإنه لا يضر إلاَّ نفسه، ولا يضر الله شيئًا، نسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهَّاب، وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم»[1].

* * *

وأخيرًا لا آخرًا، نص جمهورهم على أن من نطق بالشهادتين، مريدًا بهما الإسلام. فلا يجوز تكفيره بحال:

**ورد على الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله تعالى ـ سؤال جاء فيه: ما حكم من يقول: إن من تكلم بالشهادتين لم يجز تكفيره؟**

**فأجاب رحمه الله بقوله:**

إذا طرد هذا القائل مذهبه، وقع في الكفر الصريح

«وأما قول، من يقول: إن من تكلَّم بالشهادتين ما يجوز تكفيره، وقائل هذا القول لا بد أن يتناقض، ولا يمكنه طرد قوله، في مثل: من أنكر البعث، أو شك فيه مع إتيانه بالشهادتين، أو أنكر نبوة أحد من الأنبياء الذين سماهم الله في كتابه، أو قال: الزنا حلال، أو نحو ذلك، فلا أظن يتوقف في كفر هؤلاء وأمثالهم، إلاَّ من يكابر ويعاند.

---

(١) الدرر السنية ١٢/ ١٣١ ـ ١٣٤، ويراجع في هذا المعنى أيضًا رسالة قيمة للشيخ أبي بطين في الدرر السنية ١٢/ ١١٣ ـ ١١٩.

لا شك في كفر من شك في كفر هذا القائل إذا طرد مذهبه

فإن كابر وعاند وقال: لا يضر شيء من ذلك، ولا يكفر به من أتى بالشهادتين، فلا شك في كفره، ولا كفر من شك في كفره، لأنه بقوله هذا مكذب لله ولرسوله، ولإجماع المسلمين، والأدلة على ذلك ظاهرة بالكتاب والسنة والإجماع.

حكم هذا القائل

فمن قال: إن التلفظ بالشهادتين لا يضر معهما شيء، أو قال: من أتى بالشهادتين وصلّى وصام لا يجوز تكفيره وإن عبد غير الله، فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر، لأن قائل هذا القول مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين كما قدمنا، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك كثيرة، مع الإجماع القطعي، الذي لا يستريب فيه من له أدنى نظر في كلام العلماء، لكن التقليد والهوى يعمي ويصم ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور/ ٤٠].

اجتناب الشرك أعظم النعم التي توجب الفرح

وليعلم من أنعم الله عليه بمعرفة الشرك، الذي يخفى على أكثر الناس اليوم، أنه قد منح أعظم النعم ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ . . .﴾ الآية [يونس/ ٥٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحجرات/ ٧]، إلى قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات/ ٨]، ثم لا يأمن من منَّ الله عليه بذلك من الافتتان.

اللهم إذ هديتنا للإسلام فلا تنزعه منا، ولا تنزعنا منه حتى توفَّانا عليه، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران/ ٨].

انتهى ملخَّصًا، وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم»[1].



(١) الدرر السنية ١٠/ ٢٥٠، ٢٥١.

## كلمات منتقاة، مضيئة

● يفسد الزمان ثلاثة: أئمة مضلون، وجدال المنافق بالقرآن ـ والقرآن حق ـ ، وزلة العالم.

[الصدّيق الثاني الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

● يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

[حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما]

● كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلاَّ رسول الله ﷺ.

[إمام دار الهجرة: مالك بن أنس]

● عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور/ ٦٣].

أتدرون ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك. لعل إذا ردّ بعض قوله، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

[إمام أهل السنة والجماعة: أحمد بن حنبل]

● من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم.

[الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

● يا معشر القراء: استقيموا وخذوا طريق من قبلكم، فوالله لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا.

[الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه]

● من لم يعرف الشرك، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقرَّه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعة: سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل، بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع.

ومن له بصيرة وقلب حي، يرى ذلك عيانًا، فالله المستعان.

[الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية]

● فإن جادل منافق بكون الآية نزلت في الكفار، فقولوا له: هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم: إن هذه الآية لا تعم من عمل بها من المسلمين؟ من قال: هذا قبلك؟

وأيضًا فقولوا له: هذا ردّ على إجماع المسلمين، فإن استدلالهم بالآيات النازلة في الكفار، على من عمل بها ممن انتسب إلى الإسلام، أكثر من أن تذكر.

[شيخ الإسلاك محمد بن عبد الوهاب]

● وأما من يقول: إن الآيات التي نزلت بحكم المشركين الأولين، فلا تتناول من فعل فعلهم، فهذا كفر عظيم، مع أن هذا لا يقوله إلاَّ ثور مرتكس في الجهل.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين]

● والعجب ممن يسمع الأحاديث عن رسول الله ﷺ الناهية عن: تعظيم القبور، وعقد القباب عليها بالجص والآجر، وإسراجها، ولعن من أسرجها، ثم يقول: فُعلت هذه الأمور بحضرة العلماء الكبار ولم ينكروا، كأنه لم يسمع ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذلك.

[الإمام حمد بن ناصر بن معمر]

● لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع، إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذا لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل: تعظيم القبور، وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من إيقاد السرج، وتقبيلها، وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي أفعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداء بمن عبد اللات والعزىٰ.

[الإمام أبو الوفاء ابن عقيل]

● فإن احتج علينا أحد بما عليه المتأخرون، قلنا: الحجة بما عليه الصحابة والتابعون الذين هم خير القرون، لا بما عليه الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، هل نقل عنهم: أنهم عقدوا

القبـاب علـى القبور، وأسرجوها؟ وخلَّقوها وكسوها الحرير؟ أم هـذا ممـا حـدث بعـدهم من المحدثـات، التي هي بدع وضلالات.

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

● فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكربات، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين.

[شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني]

● فالداعي راغب راهب، فالعبد يدعو ربه رغبًا ورهبًا، ويتوكل عليه في حصول مطلوبه ودفع مرهوبه، فإذا طلب فوائده، وكشف شدائده من غير الله، فقد أشرك مع الله في الرغبة والرهبة، والرجاء والتوكل، فإن هذا من لوازم الدعاء، وهو من العبادة التي أمر الله بها، كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشـرح/ ٨]، وقـولـه تعـالـى: ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل/ ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٢٣].

فمن استغاث بغير الله، فهو راغب في حصول مطلوبه، راج له، متوكل عليه، وذلك هو حقيقة العبادة التي لا تصلح إلاَّ لله، وهو معنى: لا إلـه إلاَّ الله. فإن الإلـه: هو الذي تأله القلوب محبة، ورجاء، وخوفًا، وتوكلاً.

[الإمام حمد بن ناصر بن معمر]

● ومن الشبه التي يدلي بها عبَّاد القبور اليوم: ظنهم أن مجرد النطق بـ «لا إلـه إلاَّ الله» يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل، فإنه لا يكفر وهو يقول: لا إلـه إلاَّ الله، متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها: أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها، وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها، أنه لا بد لمن قال: لا إلـه إلاَّ الله، أن يعتقد معناها بقلبه، ويعمل بمقتضاها، فيكفر بما يعبد من دون الله. . .

فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين:

**الأول**: قول لا إلـه إلاَّ الله.

**والثاني**: الكفر بما يعبد من دون الله، ولم يكتف بمجرد النطق بـ لا إلـه إلاَّ الله، فدل على أن الذي يقول: لا إلـه إلاَّ الله، ولا يترك عبادة الموتى، والتعلق بالأضرحة، لا يحرم ماله ودمه.

[الشيخ صالح الفوزان]

● من زعم أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم إلاَّ مجرد هذه الكلمة، ولم يعرفوهم معناها، فهذا قول من لا يفرِّق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار. فإن المؤمنين يقولونها، والمنافقين يقولونها، لكن المؤمنين يقولونها، مع معرفة قلوبهم بمعناها، وعمل جوارحهم بمقتضاها، والمنافقون يقولونها، من غير فهم لمعناها، ولا عمل بمقتضاها.

فمن أعظم المصائب، وأكبر الجهل: من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]

● ومجرد التلفظ، من غير التزام لما دلت عليه كلمة الشهادة، لا يجدي شيئًا، والمنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار. . .

وقد ابتلي بهذه الشبهة، وضل بها كثير من الناس، وظنوا أن مجرد

التكلم بالشهادتين مانع من الكفر، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٧]، فكفره بدعاء غيره تعالى. . .

فالتكفير بدعاء غير الله، هو نص كتاب الله، وفي الحديث: «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار**».

وأعظم حق الإسلام وأصله الأصيل، هو: عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فمن قالها وعبد غير الله، واستكبر عن عبادة الله، فهو مكذب لنفسه، شاهد عليها بالكفر والإشراك.

[الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن]

● قد ذكر أهل العلم من أهل كل مذهب: باب حكم المرتد، وذكروا فيه أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يكفر به الرجل، ويحل دمه وماله، ولم يرد في واحد منها ما ورد في الدعاء، بل لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة، ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله، والوعيد عليه.

ولا يشتبه هذا إلاَّ على من لم يعرف حقيقة ما بعث الله به محمدًا ﷺ من التوحيد، ولم يعرف حقيقة شرك المشركين، الذين كفَّرهم النبي ﷺ، وأحل دماء هم وأموالهم. . .

فمن أصغى إلى كتاب الله، علم علمًا ضروريًا أن دعاء الأموات من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، فكيف يسوغ لمن عرف التوحيد الذي بعث الله به محمدًا ﷺ أن يجعل ذلك من الشرك الأصغر!!!.

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

● ولم نعلم أحدًا من العلماء، الذين لهم لسان صدق في الأمة، قال: إن طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم شرك أصغر، ولا قال: أن ذلك كالحلف بغير الله، اللهم إلاَّ أن يكون من بعض المتسببين إلى العلم، من المتأخرين الضالين، الذين قرَّروا الشرك وحسَّنوه للناس، نظمًا ونثرًا، وصار لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء/ ٥١].

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

● ومن استدل بقوله ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»، على امتناع وجود كفر في جزيرة العرب، فهو ضال مضل.

فماذا يقول هذا الضال: في الذين قاتلهم الصدِّيق رضي الله عنه والصحابة من العرب، وسموهم مرتدين كفار؟ فلازم دعوى هذا الضال: أنه لم يكفر أحد من العرب بعد موته ﷺ، وأن الصحابة أخطؤوا في قتالهم والحكم عليهم بالردة.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين]

● وأهل العلم والإيمان لا يختلفون في أن من صدر منه: قول أو فعل، يقتضي كفره أو شركه أو فسقه، أنه يحكم عليه بمقتضى ذلك، وإن كان ممن يقرُّ بالشهادتين، ويأتي ببعض الأركان.

[الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن]

● ولا ريب أن الكفر ينافي الإيمان ويبطله ويحبط الأعمال، بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة/ ٥]، ويقال: كل كافر قد أخطأ،

والمشركون لا بد لهم من تأويلات، ويعتقدون أن شركهم بالصالحين تعظيم لهم، ينفعهم ويدفع عنهم، فلم يعذروا بهذا الخطأ، ولا بذلك التأويل.

[الشيخ: عبد الرحمن بن حسن]

● المخطىء المعذور: هو من أخطأ في المسائل النظرية الاجتهادية، لا من أخطأ فيما ثبت بنهي صريح، ولا فيما هو معلوم من الدين بالضرورة.

[الشيخان: عبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن عبد الله بن باز]

● فمن قال: أن التلفظ بالشهادتين لا يضر معها شيء، أو قال: من أتى بالشهادتين وصلَّى وصام، لا يجوز تكفيره وإن عبد غير الله، فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر، لأن قائل هذا القول: مكذب لله ورسوله، وإجماع المسلمين كما قدمنا، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك كثيرة، مع الإجماع القطعي، الذي لا يستريب فيه من له أدنى نظر في كلام العلماء، لكن التقليد والهوى يعمي ويصم ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور/ ٤٠].

[الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب]



# الفصل السابع

# الأدلة الجلية من الشريعة الربانية على كفر من عبد غير الله تعالى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : دلالة الكتاب والسنة والإجماع، بفهم الأئمة العلماء، على كفر من عبد غير الله، وإن صلَّى وصام، وزعم أنه مسلم حرام الدم والمال.

المبحث الثاني : فعل الإنسان في الظاهر دليل على عقيدته في الباطن، ومن ثمّ كانت الأقوال والأعمال والأفعال دلائل منضبطة على وجود الكفر والإيمان، وبها تتكيَّف الأحكام سلبًا وإيجابًا.

## المبحث الأول

# دلالة الكتاب، والسنة، والإجماع، بفهم الأئمة العلماء، على كفر من عبد غير الله، وإن صلَّى وصام، وزعم أنه مسلم حرام الدم والمال

**قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمهما الله تعالى:**

«فاعلم أن العلماء أجمعوا: على أن من صرف شيئًا من نوعي الدعاء لغير الله، فهو مشرك، ولو قال: لا إلـٰه إلاَّ الله محمد رسول الله، وصلَّى، وصام، إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين أن لا يعبد إلاَّ الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما كاليهود الذين يقولون: لا إلـٰه إلاَّ الله وهم مشركون، ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده إجماعًا.

التلفظ بالشهادتين دون العلم والاعتقاد والعمل لا يكفي في الإسلام إجماعًا

ذكر شيء من كلام العلماء في ذلك وإن كنا غنيين بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ عن كل كلام، إلاَّ أنه قد صار بعض أناس منتسبًا إلى طائفة معينة، فلو أتيته بكل آية من كتاب الله وكل سنة عن رسول الله ﷺ لم يقبل حتى تأتيه بشيء من كلام العلماء، أو بشيء من كلام طائفته التي ينتسب إليها.

ذكر الأدلة من كلام العلماء

قال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي صاحب كتاب «الفنون» الذي ألَّفه في نحو أربعمائة مجلد، وغيره من التصانيف. قال في الكتاب المذكور: لما صعبت التكاليف على الجهَّال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار لهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، أو إلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللَّات والعُزَّى. نقله غير واحد، مقررين له، راضين به، منهم الإمام أبو الفرج بن الجوزي، والإمام ابن مفلح صاحب كتاب «الفروع» وغيرهما.

وقال شيخ الإسلام في «الرسالة السنية»: فإذا كان على عهد النبي ﷺ من انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان أيضًا قد يمرق أيضًا من الإسلام وذلك بأسباب:

منها: الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء/ ١٧١]. وكذلك الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح عليه السلام، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلـٰهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلَّا قتل، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده، ولا يُدعى معه إلـٰه آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح،

والملائكة، والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس/ ١٨]، فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة. انتهى.

وقد نص الحافظ أبو بكر أحمد بن علي المقريزي صاحب كتاب «الخطط» في كتاب له في التوحيد على أن دعاء غير الله شرك.

الإجماع على كفر من عبد غير الله

وقال شيخ الإسلام: من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم يدعوهم ويسألوهم، كفر إجماعًا، نقله عنه غير واحد مقررين له، منهم: ابن مفلح في «الفروع»، وصاحب «الإنصاف»، وصاحف «الغاية»، وصاحب «الإقناع» وشارحه وغيرهم، ونقله صاحب «القواطع» في كتابه عن صاحب «الفروع».

قلت: وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم في باب حكم المرتد، على أن من أشرك بالله فهو كافر، أي: عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات. وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة له، فيكون صرفه لغير الله شركًا.

كل ما ثبت أنه عبادة، فصرفه لغير الله شرك

وقال الإمام ابن النحاس الشافعي في كتاب «الكبائر»: ومنها: إيقادهم السرج عند الأحجار، والأشجار والعيون، والآبار، ويقولون: إنها تقبل النذر، وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب إزالتها ومحو أثرها، فإن أكثر الجهال يعتقدون أنها تنفع

وتضر، وتجلب وتدفع، وتشفي المرض وترد الغائب إذا نذر لها، وهذا شرك ومحادة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

الشرك بالأحجار والأصنام، كالشرك بالنبيين والملائكة والصالحين

قلت: فصرَّح رحمه الله أن الاعتقاد في هذه الأمور أنها تضر وتنفع، وتجلب وتدفع، وتشفي المريض وترد الغائب إذا نذر لها، أن ذلك شرك، وإذا ثبت أنه شرك، فلا فرق في ذلك بين اعتقاده في الملائكة والنبيين، ولا بين اعتقاده في الأصنام والأوثان، إذ لا يجوز الإشراك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران/ ٨٠]، وهذا بعينه هو الذي يعتقده من دعا الأنبياء والصالحين، ولهذا يسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشفاء ذوي الأمراض والعاهات، فثبت أن ذلك شرك.

عبادة الموتى أصل شرك العالم

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في «شرح المنازل»، ومن أنواعه أي: الشرك، طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلاً لمن استغاث به أو سأله أن يشفع إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله سبحانه لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه، والله سبحانه لم يجعل سؤال غيره سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمن الإذن، والميت محتاج إلى من يدعو له، كما أمرنا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، وندعو لهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد، فجمعوا بين الشرك

الشرك تنقُّص بالخالق سبحانه

بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبتهم إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقَّصوا الخالق سبحانه بالشرك وأولياءه الموحِّدين بذمهم ومعاداتهم، وتنقَّصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان. وما أكثر المستجيبين لهم! ولله در خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم/ ٣٥، ٣٦].

وما نجا من شرك هذا الشرك، إلاَّ من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرَّب بمقتهم إلى الله.

كيف يصل تعظيم القبور إلى الشرك الأكبر

وقال الإمام الحافظ ابن عبد الهادي في رده على السبكي وقوله: أي قول السبكي: إن المبالغة في تعظيمه، أي تعظيم الرسول ﷺ واجبة: إن أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيمًا، حتى الحج إلى قبره، والسجود له، والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين.

قلت: هذا هو اعتقاد عبَّاد القبور فيمن هو دون الرسول ﷺ فضلاً عن الرسول ﷺ كما تقدم بعض ذلك، والأمر أعظم وأطم من ذلك.

وفي «الفتاوى البزازية» من كتب الحنفية، قال علماؤنا: من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم، يكفر.

فإن أراد العلماء علماء الشريعة فهو حكاية للإجماع على كفر معتقد ذلك، وإن أراد علماء الحنفية خاصة، فهو حكاية لاتفاقهم على كفر معتقد ذلك، وعلى التقديرين تأمله تجده صريحًا في كفر من دعا أهل القبور، لأنه ما دعاهم حتى اعتقد أنهم يعلمون ذلك، ويقدرون على إجابة سؤاله، وقضاء مأموله.

**(الرد على من زعم أن للأولياء تصرُّفات في الكون حال حياتهم، وبعد مماتهم)**

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرُّفًا في الحياة وبعد الممات في سبيل الكرامة: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهممهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، ، وقالوا: منهم أبدال ونقباء، وأوتاد ونجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة.

والقطب: هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس وجوَّزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيها الأجور.

قال: وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة. وفي التنزيل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥].

إلى أن قال: الفصل الأول فيما انتحلوه من الإفك الوخيم والشرك العظيم. . .

إلى أن قال: فأما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، فيرده قوله تعالى: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل/ ٦٤] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف/ ٥٤]، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة/ ١٢٠]، ونحوه من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه، فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا وملكًا، وإحياء وإماتة، وخلقًا.

وتمدَّح الرب سبحانه بانفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر/ ٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر/ ١٣]، وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال: فقوله في الآيات كلها ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ [فاطر/ ١٣]، أي: من غيره، فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره، إلى أن قال: فكيف يتصور لغيره من ممكن(١) أن يتصرف، إن هذا من السفاهة لقول وخيم، وشرك عظيم.

إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع من القول بالتصرف في الحياة. قال جل ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر/ ٣٠]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر/ ٤٢]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران/ ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ

---

(١) أي: مخلوق، كائن، حادث.

رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ [المدثر/ ٣٨]. وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله**». الحديث.

فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسَكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل ذلك أن ليس للميت تصرفًا في ذاته فضلاً عن غيره بحركة، وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره؟ فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرِّفة. قل أأنتم أعلم أم الله؟

قال: وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات، فهو من المغالطة، لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحدي، ولا قدرة ولا علم، كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني.

الله سبحانه: هو المتفرد بإجابة المضطرين، وبجلب النفع، ودفع الضر

قال: وأما قولهم: فيستغاث بهم في الشدائد، فهذا أقبح مما قبله، وأبدع لمصادمته قوله جل ذكره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل/ ٦٢]، ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام/ ٦٣].

وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال: فإنه جل ذكره قرَّر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر، والقادر على إيصال الخير، فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره، خرج غيره من ملك ونبي وولي.

قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه، كقولهم: يا لزيد يا لقوم يا للمسلمين كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية من الشدائد، كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه، فمن خصائص الله، فلا يطلب فيها غيره.

متى تجوز الاستغاثة بالمخلوق، ومتى لا تجوز

قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية والجهَّال، وينادونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات.

إلى أن قال: فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربه أو قضاء حاجته تأثيرًا، فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا حفرة من السعير.

الجهل قرين الشرك

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، فحاشى لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة، فهذا ظن أهل الأوثان كذا أخبر الرحمن: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس/ ١٨]، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾ [يس/ ٢٣].

فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الإمداد منه إشراك مع الله، إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلاَّ خيره.

قال: وأما ما قالوه: من أن منهم أبدالاً ونقباء، وأوتادًا ونجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب: هو الغوث للناس، فهذا من موضوعات إفكهم، كم ذكره القاضي المحدِّث ابن

العربـي في «سراج المريدين» وابن الجوزي وابن تيمية، انتهى باختصار.

ما زال أهل العلم ينكرون الشرك، ويبيِّنون حرمته

ومثل هذا يوجد في كلام غيرهم من العلماء، والمقصود أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور ويبيِّنون أنها شرك، وإن كان بعض المتأخرين ممن ينتسب إلى العلم والدين ممن أصيب في عقله ودينه قد يرخص في بعض هذه الأمور، وهو مخطىء في ذلك، ضال مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين، فكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك إلاَّ قول ربنا وقول رسوله ﷺ، فإن ذلك لا يتطرق إليه الخطأ بحال، بل واجب على الخلق اتباعه في كل زمان.

على أنه لو أجمع[1] المتأخرون على جواز هذا لم يعتد بإجماعهم المخالف لكلام الله، وكلام رسوله في محل النزاع، لأنه إجماع غير معصوم، بل هو من زلة العالم التي حذرنا من اتباعها، وأما الإجماع المعصوم، فهو إجماع الصحابة والتابعين وما وافقه، وهو السواد الأعظم الذي ورد الحث على اتباعه وإن لم يكن عليه إلاَّ الغرباء الذين أخبر بهم ﷺ في قوله: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»، رواه مسلم، لا ما كان عليه العوام والطغام، والخلق المتأخرون الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»[2].

---

(١) أرى أن الشيخ لو استخدم: عبارة «لو اتفق المتأخرون»، لكان أولى، لأن الأمة معصومة من الاجتماع على الضلالة في كافة أزمانها، وتلك هي علة ومستند حجية الإجماع، ومن ثم يستحيل لها أن تجتمع على حسن الشرك، في أي عصر من عصورها، مهما اشتدت غربة الدين فيه.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٥ ــ ١٥٩.

**وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين:**

الإجماع على كفر من عبد غير الله تعالى

«قال القاضي عياض في كتابه الشفاء: «فصل في بيان ما هو من المقالات كفر» إلى أن قال: والفصل البيِّن في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة غير الله أو مع الله فهي كفر، إلى أن قال: والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو أحد الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب أو أهل الهند أو السودان أو غيرهم، إلى أن قال: أو أن ثمّ للعالم صانعًا سوى الله أو مدبِّرًا فذلك كله كفر بإجماع المسلمين.

فانظر حكاية إجماع المسلمين على كفر من عبد غير الله من الملائكة وغيرهم، وهذا ظاهر ولله الحمد».

**وقال أيضًا رحمه الله تعالى:**

من أعظم أنواع الكفر: الشرك بعبادة غير الله، ولا مانع من تعيين من اتصف به بالكفر

قال رحمه الله تعالى: وأما ما سألت عنه من أنه هل يجوز تعيين إنسان بعينه بالكفر إذا ارتكب شيئًا من المكفرات؟

فالأمر الذي دل الكتاب والسنة وإجماع العلماء عليه أنه كفر مثل الشرك بعبادة غير الله سبحانه، فمن ارتكب شيئًا من هذا النوع أو حسنه فهذا لا شك في كفره، ولا بأس بمن تحققت منه شيئًا من ذلك أن تقول كفر فلان بهذا الفعل.

الاستتابة للمشرك: دليل على تعيينه بالكفر

يبين هذا أن الفقهاء يذكرون في باب حكم المرتد أشياء كثيرة يصير بها المسلم مرتدًا كافرًا، ويستفتحون هذا الباب بقولهم: من أشرك بالله كفر وحكمه أن يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل، والاستتابة إنما تكون مع معين، ولما قال بعض أهل البدع عند الشافعي: أن القرآن مخلوق قال: كفرت بالله العظيم. وكلام العلماء في تكفير المعيَّن كثير.

وأعظم أنواع الكفر الشرك بعبادة غير الله، وهو كفر بإجماع المسلمين، ولا مانع من تكفير من اتصف بذلك، كما أن من زنى قيل فلان زان، ومن رابى قيل فلان مراب والله أعلم. (منقولة حرفًا بحرف، وصلَّى الله على محمد وصحبه وسلم) »[1].

**وسئلت اللجنة الدائمة: «السؤال الأول من الفتوى رقم ٩٣٣٦»**

**س**: إذا كان إنسان إمام مسجد ويستغيث بالقبور ويقول: هذه قبور ناس أولياء ونستغيث بهم من أجل الواسطة بيننا وبين الله، هل يجوز لي أن أصلي خلفه وأنا إنسان أدعو إلى التوحيد وأرجو منكم توضحوا لي كثيرًا في هذا مواضيع النذر والاستغاثة والتوسل؟

لا تصح الصلاة خلف من عبد غير الله، لشركه، بل ولا تصح صلاته لنفسه، وهذا دليل على تعيينه بالكفر

**ج**: من ثبت لديك أنه يستغيث بأصحاب القبور، أو ينذر لهم، فلا يصح أن تصلي خلفه لأنه مشرك، والمشرك لا تصح إمامته، ولا صلاته، ولا يجوز للمسلم أن يصلي خلفه، لقول الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٨]، وقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥، ٦٦].

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

**اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**

| عضو | نائب رئيس اللجنة | الرئيس |
| --- | --- | --- |
| عبد الله بن غديان | عبد الرزاق عفيفي | عبد العزيز بن عبد الله بن باز»[2] |

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٥/ ٥٢٣.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٦٣.

وساق عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى، سؤالاً ورد على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال:

سؤال عظيم، ينبغي الإصغاء إليه

قال السائل: ما يقول السادة العلماء أئمة الدين وعلماء المسلمين رضي الله تعالى عنهم أجمعين: فيمن يزور القبور، ويستنجد بالمقبور في مريض له أو في فرسه أو بعيره بطلب إزالة الألم الذي بهم، ويقول: يا سيدي أنا في جيرتك أنا في حسبك، فلان ظلمني، قصد أذيتي، ويقول: إن المقبورين يكونون واسطة بينه وبين الله تعالى وفيمن ينذر للمساجد والزوايا والمشايخ حيهم وميتهم بالدراهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك، ويقول: إن سلم ولدي للشيخ عليَّ كذا وكذا، وأمثال ذلك، وفيمن استغاث بشيخه إذا أصابته نائبة أو عثر، أو سمع حسًّا خلفه أزعجه، استغاث بشيخه، يطلب تثبيت قلبه، وفيمن يجيء إلى شيخه، ويستلم القبر ويمرغ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه، ويمسح بهما وجهه وجسمه، وأشباه ذلك، وفيمن يقصد حاجة فيقول: يا شيخ فلان ببركتك، ثم يقول: قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ، وفيمن يعمل السماع فيجيء إلى القبر ويكتنفه وينحط بين يدي شيخه ساجدًا على الأرض ونحوه، وفيمن قال: إن ثمّ قطبًا غوثًا فردًا جامعًا في الوجود؟ أفتونا مأجورين، وابسطوا القول في ذلك.

الجواب

**الجواب**: الحمد لله رب العالمين.

**(عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه: هما حقيقة دين المرسلين)**

الدين الذي بعث الله تعالى به رسله، وأنزل به كتبه هو: عبادة الله وحده لا شريك له، واستعانته والتوكل عليه،

ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر/ ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن/ ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾ [الأعراف/ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء/ ٥٦، ٥٧].

قالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيرًا والملائكة، فقال الله: هؤلاء الذين تدعونهم عبادي، كما أنتم عبادي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، ويتقربون إليّ كما تتقربون إليّ، فإذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة، فكيف بمن دونهم؟

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ﴾ [الكهف/ ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣].

فكمـا أن الله لا شريك لـه في ملكـه، فهـو سبحانه لا شريك لـه في حكمـه وطاعته وعبادته

فبيَّن سبحانه أن كل من دُعي من دون الله من جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم لا يملك مثقال ذرة في ملك، وأنه سبحانه ليس له شريك في ملكه، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأنه ليس له معين يعاونه كما يكون للملك أعوان وظهراء، وأن الشفعاء عنده لا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى، فنفى بذلك وجوه الشرك. وذلك أن من يدعى من دونه إما أن يكون معاونًا وإما أن يكون شريكًا، وإذا لم يكن مالكًا ولا شريكًا، فإما أن يكون معاونًا وإما أن يكون سائلاً طالبًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فالأقسام الأُوَل الثلاثة منتفية، وأما الرابع: فلا يكون إلاَّ من بعد إذنه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وكما قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم/ ٢٦].

وكما قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤]، وكما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة/ ٤]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩، ٨٠].

فبيَّن سبحانه: أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا كان كافرًا، فكيف من اتخذ من دونهم من المشايخ الموتى وغيرهم أربابًا؟

**(طلب الأمور التي لا يقدر عليها إلاَّ الله من غيره، شرك عظيم وكفر مبين)**

وتفصيل القول: أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلاَّ الله سبحانه، مثل أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين أو البهائم، أو وفاء دينه من غير جهة معينة، أو عافية أهله وما به من بلاء الدنيا والآخرة، وانتصاره على عدوه وهداية قلبه، وغفران ذنبه أو دخول الجنة، أو نجاته من النار، وأن يتعلم القرآن والعلم، وأن يصلح قلبه ويحسن خلقه وتزكو نفسه، وأمثال ذلك.

فهذه الأمور لا يجوز أن تطلب إلاَّ من الله تعالى، ولا يجوز أن يقال لملك ولا نبي ولا شيخ، سواء كان حيًا أو ميتًا: اغفر لي ذنبي، ولا انصرني على عدوي، ولا اشف مريضي، ولا عافني أو عاف أهلي ودوابي وما أشبه ذلك.

ومن سأل ذلك مخلوقًا كائنًا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء، والتماثيل التي يصوِّرونها على صورهم. ومن جنس دعاء النصارى المسيح وأمه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة/ ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة/ ٣١].

وأما ما يقدر عليه العبد، ويجوز أن يطلب منه في بعض الأحوال دون بعض، فإن مسألته من المخلوق قد تكون جائزة، وقد تكون منهيًّا عنها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح/ ٧، ٨].

عدم مسألة المخلوق بالكلية، دليل على كمال التوحيد

وأوصى النبي ﷺ طائفة من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئًا، فكان أحدهم يسقط سوطه من يده، فلا يقول لأحد ناولني إياه. وثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**».

والاسترقاء: طلب الرقية، وهو نوع من الدعاء، ومع هذا فقد ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال: «**ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب دعوة إلاَّ وكل الله ملكًا كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل: «ولك بمثل ذلك»**»، ومن أسرع الدعاء: إجابة دعوة غائب لغائب.

ولهذا أمرنا النبي ﷺ بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له، وأخبرنا بما لنا بذلك من الأجر إذا دعونا بذلك، فقال في الحديث الصحيح: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا علي فإن من صلَّى علي مرة صلَّى الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلاَّ لعبد من عبيد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة**».

يشرع للمسلم طلب الدعاء، ممن هو فوقه، وممن هو دونه

ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه وممن هو دونه. فقد روي طلب الدعاء من الأعلى للأدنى، لأن النبي ﷺ

حين ودع عمر رضي الله عنه إلى العمرة قال له: «**لا تنسنا من دعائك يا أخي**»، لكن النبي ﷺ لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة، وأخبرنا أنا إن فعلنا ذلك حلت لنا شفاعته يوم القيامة. وكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك.

وفرق بين من يطلب لغيره شيئًا لمنفعة المطلوب منه، ومن سأل غيره لحاجته إليه فقط. وثبت عنه في الصحيح أنه ذكر أويسًا القرني، وقال لعمر: «**إن استطعت أن يستغفر لك فافعل**»، وفي الصحيحين: «أنه كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما شيء فقال أبو بكر: استغفر لي»، لكن في الحديث: «أن أبا بكر حنق على عمر».

وثبت أن أقوامًا كانوا يسترقون وكان النبي ﷺ يرقيهم. وثبت في الصحيحين: «أن الناس لما أجدبوا سألوا النبي ﷺ أن يستسقي لهم، فدعا الله سبحانه حتى سقوا».

وفي الصحيح أيضًا: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا، فيسقون».

لا يستشفع بالله على أحد لكمال ملكه وغناه سبحانه

وفي السنن أن أعرابيًا قال للنبي ﷺ: «جهدت الأنفس وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فسبَّح النبي ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. فقال: «**ويحك إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك**»، فأقره على قوله: «**إنا نستشفع بك على الله**» وأنكر عليه قوله: «**نستشفع بالله عليك**»، لأن الشافع يسأل المشفوع إليه، والعبد يسأل ربه ويستشفع إليه، والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(المشروع وغير المشروع، من زيارة القبور)

وأما زيارة القبور المشروعة: فهي أن يسلم على الميت ويدعو له، بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي ﷺ يعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم: «**سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين. نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنَّا بعدهم**»، وروي أنه قال: «**ما من رجل يمر بقبر كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلاَّ رد الله إليه روحه حتى يرد عليه السلام**».

والله تعالى يثيب الحي إذا دعا للميت المؤمن كما يثيبه إذا صلَّى على جنازته. ولهذا نهى نبيه أن يفعل ذلك بالمنافقين بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة/ ٨٤].

فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي إلى الميت، ولا مسألته له ولا توسله به، بل فيها منفعة الحي للميت كالصلاة عليه. والله يرحم هذا ويثيبه على عمله، ويرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

## فصل

ثلاث درجات للعصاة في زيارة القبور:

وأما من يأتي إلى قبر نبي أو رجل صالح، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح، وليس كذلك، يسأله ويستنجد به، فهذا على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى:

إحداهما: أن يسأل حاجته، مثل: أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلاَّ الله تعالى، فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلاَّ قتل، وإن قال: أنا أسأله لأنه أقرب إلى الله مني، ليشفع لي في هذه الأمور، لأني أتوسل به إلى الله كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه، فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم.

دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ هو سبحانه، شرك صريح من جنس أفعال النصارى والمشركين

ولذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، وقد قال سبحانه: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ [الزمر/ ٤٣]، إلى قوله: ﴿ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة/ ٤]، وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

الفرق بين الخالق والمخلوق في الشفاعة

فبيَّن الفرق بينه وبين خلقه، فإن من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته، إما رغبة وإما رهبة، وإما حبًا وإما مودة، وإما غير ذلك.

والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلاَّ ما يشاء وشفاعة الشافع من إذنه، والأمر كله له، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: «**لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللّٰهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**».

فبيَّن أن الرب لا يفعل إلاَّ ما يشاء، ولا يكرهه أحد على ما يختاره، كما قد يكره الشافع المشفوع إليه، وكما يكره السائل المسؤول إذا ألح عليه بالمسألة وآذاه. فالرغبة يجب أن تكون إليه، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح: ٧، ٨]، ، والرهبة يجب أن تكون منه قال: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقد أمرنا أن نصلي على النبي ﷺ في الدعاء؛ وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا.

## لا يوجد سبب شرعي، أو فطري، أو عقلي، يدعو لاتخاذ الوسائط في العبادة)

وقول كثير من الضلال: هذا أقرب إلى الله تعالى مني وأنا بعيد من الله، لا يمكن أن أدعوه إلاَّ بهذه الواسطة، ونحو ذلك، هو من قول المشركين، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد روي أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا: «يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله الآية»، وفي الصحيح: «إنهم كانوا في سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالدعاء والتكبير والتلبية فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب لأحدكم من عنق راحلته**».

وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة ومناجاته فيها، وأمر كلاً منهم أن يقول فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ١]، وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

كيفية إقامة الحجة على المشرك، ودعوته إلى سواء الصراط

ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوت هذا، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك أو أقدر على إجابة سؤالك، أو أرحم بك من ربك، فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلماذا عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره؟

ألا تسمع ما أخرجه البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعلِّمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **إذا هَمّ أحدكم بالأمر؛ فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللّٰهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به**».

وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك وأعلى منزلة عند الله منك فهذه كلمة حق أريد بها باطل. فإنه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة منك، فإن معناه أن الله يثيبه ويعطيه، ليس معناه أنك إذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوته أنت. فإنك إن كنت مستحقًا للعقاب، ورد الدعاء مثلاً لما فيه من العدوان، فالنبي

أو الصالح لا يعين على ما يكرهه الله، ولا يسعى فيما يبغضه الله، وإن لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول منه.

وإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب لي إذا دعوته أنا فهذا هو.

## (كيف صان الإسلام التوحيد، وسدّ أبواب الشرك، وحسم موادِّه بالكلية)

الدرجة الثانية:

**القسم الثاني**: وهو أن لا يطلب منه الفعل ولا يدعوه، لكن يطلب أن يدعو له كما يقول الحي: ادع، وكما كان الصحابة يطلبون من النبـي ﷺ الدعاء، فهذا مشروع في الحي كما تقدم.

لا يجوز أن يطلب الحي من الميت أن يدعو الله له، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان

وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا اسأل لنا ربك، ولا نحو ذلك، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد في ذلك حديث، بل الذي ثبت في الصحيح إنهم لما أجدبوا زمن عمر استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما، فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقـون»، ولـم يجيئـوا إلـى قبـر النبـي ﷺ قائلين: يـا رسول الله ادع لنا، واستسق لنا، ونحن نشكو إليك ما أصابنا، ونحو هذا لم يقله أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبـي ﷺ يسلِّمون عليه، ثم إذا أرادوا الدعاء لـه لم يدعوا الله مستقبلي القبر، بل ينحرفون ويستقبلون القبلـة ويدعـون الله وحـده، لا شريك لـه كمـا يدعـونـه فـي سائـر البقاع.

الأدلة على تحريم اتخاذ القبور مساجد

وذلك أن في الموطأ وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وفي السنن أيضًا أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**»، وفي الصحيح أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما فعلوا**»، قالت عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرز قبره، لكن كره أن يتخذ مسجدًا».

وفي صحيح مسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»، وفي سنن أبي داود عنه أنه قال: «**لعن الله زوَّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**».

حرمة النذر للقبور

ولهذا قال علماؤنا: لا يجوز بناء المساجد على القبور، وقالوا: إنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئًا من الأشياء، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك، كله نذر معصية، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

واختلف العلماء: هل على الناذر كفارة يمين؟ على قولين.

ولهذا لم يقل أحد من أئمة المسلمين: إن الصلاة عند القبور وفي مشاهد القبور مستحبة أو فيها فضيلة. ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة في تلك البقعة، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند قبر، كان قبر نبي أو صالح، سواء سميت مشاهد أو لم تسم.

الفرق بين المساجد والمشاهد، في إناطة الأحكام

وقد شرع الله ورسوله في المساجد دون المشاهد أشياء. فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ [البقرة/ ١١٤]، ولم يقل في المشاهد، وقال تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة/ ١٨٧]، ولم يقل في المشاهد وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف/ ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن/ ١٨].

وقال النبي ﷺ: «**صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين ضعفًا**»، وقال ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة**».

وأما القبور فقد ورد نهيه ﷺ عن اتخاذها مساجد، ولعن من يفعل ذلك. وقد ذكره غير واحد من الصحابة والتابعين، وما ذكره البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم، وذكره وثيمة وغيره في قصص الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح/ ٢٣]، قالوا: «هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصنامًا».

أصل الشرك، وعبادة الأوثان: العكوف على القبور والتمسُّح بها...

والعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك، وعبادة الأوثان، ولهذا قال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»، ولهذا اتفق العلماء: على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء

لم يشرع تقبيل شيء، سوى الحجر الأسود

والصالحين وأهل البيت وغيرهم، على ألا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدين ما شرع تقبيله إلاَّ الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت الرسول يقبِّلك ما قبَّلتك».

ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر، ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر النبي ﷺ لما كان موجودًا، فكرهه مالك رحمه الله وغيره، لأنه بدعة، وذكر مالك أنه لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم، ورخص فيه أحمد وغيره، لأن ابن عمر فعله.

حكم وضع اليد على منبر النبي ﷺ قربة إلى الله؟

**(الفرق بين سؤال المخلوق في حال حياته وحضوره، وفي حال غيابه وموته)**

وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه، وذلك أنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد، وإخلاص الدين لله رب العالمين، وهذا مما يظهر منه الفرق بين سؤال النبي ﷺ والرجل الصالح في حياته وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه، وذلك أنه في حياته لا يعبده أحد إذا كان في حضوره، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والصالحين لا يتركون أحدًا يتبرك بهم بحضورهم بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه، ولهذا قال المسيح عليه السلام: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة/ ١١٧].

وقال النبي ﷺ لمن قال له: ما شاء الله وشئت: **«أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده»**، وقال: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد»**.

ولما قالت الجويرية: **«وفينا رسول الله يعلم ما في غد»**، قال: **«دعي هذا، وقولي ما كنت تقولين»**، وقال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»**.

ولما صلوا خلفه قيامًا قال: **«لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضهم بعضًا»**، قال أنس رضي الله عنه: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهته لذلك»، ولما سجد له معاذ نهاه وقال: **«إنه لا يصلح السجود إلاَّ لله تعالى، ولو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها»**.

من يقر الغلو فيه، وتعظيمه بغير حق فهو من الذين يريدون علوًا في الأرض وفسادًا

ولما أتي علي بالزنادقة الذين غلوا فيه، واعتقدوا فيه الإلـٰهية أمر بتحريقهم بالنار، فهذا شأن أنبياء الله تعالى وأوليائه، وإنما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوًّا في الأرض وفسادًا، كفرعون ونحوه، ومشايخ الضلالة الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد.

والفتنة بالأنبياء والصالحين واتخاذهم أربابًا والإشراك بهم إنما يحصل في مغيبهم ومماتهم، كما أشرك النصارى واليهود بالمسيح وعزير، فهذا مما يبين الفرق بين السؤال للنبي والصالح في حياته بحضوره وبين سؤاله في مماته ومغيبه، ولهذا لم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين

يتحرّون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين ولا يسألونهم ولا يستغيثون بهم، لا في مغيبهم ولا عند قبورهم، وكذلك العكوف.

الاستغاثة بالميت عند حلول المصائب من أعظم الشرك

ومن أعظم الشرك: أن يستغيث الرجل برجل ميت أو غائب، كما ذكره السائل، ويستغيث به عند المصائب يا سيدي فلان، يطلب منه: إزالة ضره أو جلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله محمد ﷺ وأعلم الناس بقدره وحقه هم أصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئًا من ذلك لا في مغيبه ولا بعد مماته ﷺ.

الشرك والكذب، قرينان

وهؤلاء المشركون يضمون إلى الشرك الكذب، فإن الكذب مقرون بالشرك، قال تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج/ ٣٠، ٣١]، وقال النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله» مرتين أو ثلاثًا. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ۝١٥٢﴾ [الأعراف/ ١٥٢]، وقال الخليل عليه السلام: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [الصافات/ ٨٦، ٨٧].

فمن كذبهم أن أحدهم يقول عند شيخه: إن المريد إذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وإن كشف غطاؤه رده عليه، وإن أي شيخ لم يكن كذلك لم يكن شيخًا، وقد تغويهم الشياطين كما تغوي عباد الأصنام كما جرى للعرب في أصنامها ولعبّاد الكواكب وطلاسمها من أهل الشرك والسحر كما يجري للترك والهند والسودان وغيرهم من أصناف المشركين من إغواء الشياطين لهم ومخاطبتهم

ونحو ذلك، فكثير من هؤلاء من يجري له نوع من ذلك سيما عند سماع المكاء والتصدية، فإن الشياطين تتنزل عليهم، فتصيب أحدهم بمثل ما يصيب المصروع من الأرعاد والأزباد والصياح المنكر، ويكلمه بما لا يعقله هو ولا الحاضرون، وأمثال ذلك مما يمكن وقوعه في هؤلاء الضالين.

الدرجة الثالثة

حكم التوسل إلى الله في الدعاء: بحرمة النبي ﷺ، وبحرمة الصالحين

**وأما القسم الثالث**: وهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عبدك، أو ببركة فلان عبدك، أو لحرمة فلان عبدك، افعل كذا وكذا، فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه إلاَّ ما رأيته في فتاوى الفقيه أبي محمد العز بن عبد السلام، فإنه أفتى بأنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك إلاَّ بالنبي ﷺ إن صح الحديث في النبي ﷺ.

ومعنى هذا الاستثناء: أنه قد روى النسائي والترمذي وغيرهما أن النبي ﷺ: علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا رسول الله إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي، اللهم فشفِّعه فيَّ**».

الفرق بين التوسل، والدعاء

فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته، قالوا: وليس في التوسل به دعاء للمخلوق، ولا استغاثة بالمخلوق، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله تعالى، ولكن فيه بجاهه كما في سنن ابن ماجه عن النبي ﷺ أنه ذكر في دعاء الخارج إلى الصلاة أنه يقول: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك،**

أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت».

قالوا: ففي هذا الحديث، أنه سأله بحق السائلين عليه، وبحق ممشاه إلى الصلاة. والله تعالى قد جعل على نفسه حقًّا قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم/ ٤٧]، ونحو قوله: ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفرقان/ ١٦].

وفي الصحيحين عن معاذ أن النبي ﷺ قال: «**أتدري ما حق الله على العباد؟** قال: الله ورسوله أعلم، قال: **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم**».

وقد جاء في غير حديث: «**كان حقًّا على الله**» كذا وكذا، كقوله: «**من شرب الخمر لم يقبل له صلاة أربعين يومًا، فإن تاب تاب الله عليه. فإن عاد وشربها في الثالثة أو الرابعة كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار**»، وأمثال ذلك كثير.

## (التوسل بالنبي ﷺ، لم يشرع إلاّ في حال حياته وحضوره)

وقالت طائفة: ليس في هذا الحديث جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه، بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره، كما في صحيح البخاري: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس، فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون».

التوسل بالنبي ﷺ كان توسلًا بشفاعته ودعائه

فقد بيّن عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون. وذلك التوسل: أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم.

فيدعو لهم ويدعون معه، فيتوسلون بشفاعته ودعائه، كما في الصحيحين عن أنس بن مالك: «أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحوًا من دار القضاء والرسول ﷺ قائم يخطب، فاستقبل النبي ﷺ قائمًا، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله سبحانه أن يغيثنا، قال: فرفع الرسول يديه ثم قال: **اللهم أغثنا**. قال أنس: فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار إلاَّ طلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة والنبي ﷺ قائم يخطب فاستقبله فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسكها عنا، قال فرفع النبي ﷺ يديه ثم قال: **اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**. قال: فتقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس».

ففي هذا الحديث أنه قال: «ادع الله يمسكها عنا»، وفي الصحيح: «أن عبد الله بن عمر قال: إني لأذكر قول أبي طالب في النبي ﷺ.

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل»

هدي أصحاب النبي ﷺ في التوسل به

فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه. ولما مات توسَّلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون به، ولم يتوسلوا به ويستسقوا به بعد موته، ولا في مغيبه، ولا عند قبره. وكذلك معاوية بن أبي سفيان استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي. وقال: «اللَّهم إنا نستشفع إليك بخيارنا: يا يزيد ارفع يديك إلى الله. فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا».

ولذلك قال العلماء: يستحب أن يستسقى بأهل الصلاح والخير، فإذا كان من أهل بيت الرسول ﷺ كان أحسن. ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد موته ولا في مغيبه، ولا استحبوا ذلك، لا في الاستسقاء، ولا في غيره من الأدعية. والدعاء مخ العبادة، والعبادة مبناها على النية والاتباع، وإنما يعبد الله بما شرع، لا يعبد بالأهواء والبدع، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى/ ٢١]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف/ ٥٥].

العبادة مبناها على: النية والاتباع

وقال النبي ﷺ «**إنه سيكون في هذه الأمة أقوام يعتدون في الدعاء والطهور**».

الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلاَّ الخالق، من الشرك الأكبر، ومن جنس دين النصارى

وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئًا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع، فهذا من الشرك الأكبر، وهو من جنس دين النصارى، فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس/ ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ...﴾ الآية [فاطر/ ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام/ ٤٠]، إلى قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام/ ٤١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء/ ٥٦].

فبيَّن أن كل ما يدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء وغيرهم لايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً.

الفرق بين الموحد والمشرك في الدعاء

وإذا قال القائل: ادعو الشيخ ليكون لي شفيعًا، فهو من جنس دعاء النصارى لمريم والأحبار والرهبان، والمؤمن يرجو ربه ويدعوه مخلصًا له الدين، وحق شيخه عليه أن يدعو له ويترحم عليه، فإن أعظم الخلق قدرًا النبي ﷺ، وأصحابه أعلم الناس بأمره وقدره، وأطوع الناس له، ولم يكن يأمر أحدًا منهم عند الخوف أو الفزع أن يقول: يا سيدي يا رسول الله. ولم يكونوا يفعلون ذلك لا في محياه ولا في مماته، بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه.

الأدلة على عدم جواز التوسل إلى الله بأي مخلوق

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [آل عمران/ ١٧٣]، إلى قوله: ﴿عظيم﴾.

الالتجاء إلى الله وحده ساعة الكروب، هو المتعين والمشروع

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس: «إن هذه الكلمة قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ وأصحابه حين قيل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم».

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند الكرب: «**لا إلـه إلاَّ الله العظيم الحليم، لا إلـه إلاَّ الله رب العرش الكريم، لا إلـه إلاَّ الله رب السموات ورب الأرض رب العرش العظيم**». وقد روي أنه علم هذا الدعاء بعض أهل بيته.

وفي السنن أن النبي ﷺ كان إذا حدث به أمر قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»، وروي أنه علَّم ابنته فاطمة عليها السلام أن تقول: «يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض، لا إلـه إلاَّ أنت برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك».

وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم بن حبان عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أصاب عبدًا قط هم أو حزن**»، فقال: **اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصري وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلاَّ أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرحًا**. قال: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟ قال: **ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**».

وقال لأمته: «**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وذكر الله والاستغفار**»، فأمرهم عند الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والعتق والصدقة. ولم يأمرهم أن يدعوا مخلوقًا ولا ملكًا ولا نبيًّا ولا غيرهم، ومثل هذا كثير في سنته، ولم يشرع للمسلمين عند الخوف إلاَّ ما أمر الله به من دعاء الله وذكر الله والاستغفار والصلاة والصدقة، ونحو ذلك، فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عمَّا شرعه الله ورسوله إلى بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، تضاهي دين المشركين والنصارى.

## (استجابة دعاء المشرك، ليس دليلاً على مشروعيته)

وإن زعم أحد أن حاجته قُضيت بمثل ذلك، فإنه مثل له شيخه ونحو ذلك، فعبَّاد الكواكب ونحوهم من أهل الشرك يجري لهم نحو هذا، كما تقدم، وقد تواترت عمن مضى من المشركين وعن المشركين في هذا الزمان، ولولا ذلك ما عبدت الأصنام ونحوها،

قال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم/ ٣٥، ٣٦].

كيف ظهر الشرك في أرض مكة، بعد إبراهيم الخليل عليه السلام

ويقال: إن أول ما ظهر من الشرك في أرض مكة بعد إبراهيم الخليل من جهة عمرو بن لحي الخزاعي الذي رآه النبي ﷺ يجر أمعاءه في النار، وهو أول من سيَّب السوائب وغيَّر دين إبراهيم، قالوا: إنه ورد الشام، فوجد فيها أصنامًا يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم، ودفع مضارهم، فنقلها إلى مكة، وسن للعرب الشرك وعبادة الأصنام.

## (الجهل، أو الحاجة، هما الدافعان للوقوع في المحذور)

والأمور التي حرَّمها الله ورسوله، من الشرك والسحر والقتل والزنا وشهادة الزور وشرب الخمر، وغير ذلك من المحرَّمات، قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة أو دفع مضرة، ولولا ذلك ما أقدمت نفس على المحرمات التي لا خير فيها بحال. وإنما يوقع النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة، فأما العالم بقبح الشيء والنهي عنه فكيف يفعله؟

والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيها من الفساد، وقد تكون لهم حاجة إليها، مثل الشهوة إليها، وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة، ولا يعلمون ذلك، لجهلهم أو لغلبة أهوائهم حتى يفعلوها، والهوى الغالب يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئًا، فإن حبك الشيء يعمي ويصم.

كل من عصى الله فهو جاهل

ولهذا كان العالم من يخشى الله، قال أبو العالية سألت أصحاب محمد ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [النساء/ ١٧]، فقالوا: «كلَ من عصى الله فهو

جاهل، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب»، وليس هذا من مواضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفاسد الغالبة، وما في المأمورات من المصالح الغالبة، بل على المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو: مصلحة محضة أو غالبة، وما نهى عنه فهو: مفسدة محضة أو غالبة، وأن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجة منه إليهم، ولا نهاهم عما نهاهم بخلاً به عليهم، بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، ولهذا وصف نبيه بأنه يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرِّم عليهم الخبائث.

حكمة الله تعالى في شرعه ورحمته بعباده

وأما التمسُّح بالقبر أي قبر كان، وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق أئمة المسلمين. ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعله أحد من السلف والأئمة، بل هذا من الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا . . .﴾ الآية [نوح/ ٢٣]، وقد تقدم أنها أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح، وأنهم عكفوا على قبورهم مدة، ثم طال عليهم الأمد فصوَّروا تماثيلهم، لا سيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به، وقد تقدم ذكره، وما فيه من الشرك، وبينا الفرق بين الزيارة البدعية التي يتشبه أهلها بالنصارى والمشركين، والزيارة الشرعية.

التمسح بالقبر وتمريغ الخد عليه منهي عنه باتفاق المسلمين، بل هو من شعائر الشرك

وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم أو تقبيل الأرض ونحو ذلك، فهذا مما لا نزاع بين الأئمة في النهي عن ذلك. وفي المسند وغيره عن معاذ بن جبل «أنه لما رجع من الشام سجد للنبي ﷺ، فقال: **ما هذا يا معاذ؟** فقال: يا رسول الله، رأيتهم يسجدون لأساقفتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم، فقال: **كذبوا**

النهي عن وضع الرأس وتقبيل الأرض عند الكبراء، لا خلاف عليه بين الأئمة

**يا معاذ، ولو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها. يا معاذ، أرأيت إذا مررت بقبري أكنت ساجدًا؟** قال: لا. **قال: فلا تفعل**»، أو كما قال الرسول ﷺ.

بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه «أنه صلَّى بأصحابه قاعدًا لمرض كان به فصلوا قيامًا فأمرهم بالجلوس، وقال: **لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضها بعضًا**»، وقال: «**من سرَّه أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**».

فإذا كان قد نهاهم عن القيام مع قعوده، وإن كانوا قاموا في الصلاة، حتى لا يشتبهوا بمن يقومون لعظمائهم. وبين أن من سره القيام له كان من أهل النار، فكيف بما هو شر من ذلك من السجود له؟ ومن وضع الرأس وتقبيل الأيدي ونحو ذلك؟

وقد كان عمر بن عبد العزيز وهو خليفة على الأرض كلها، قد وكَّل عُمَّالاً يمنعون الداخلين من تقبيل الأرض، ويؤدبهم إذا قبَّل أحد منهم الأرض.

### (حقوق الله الخالصة، ليس لأحد فيها نصيب)

وبالجملة: فالقيام والركوع والسجود حق للواحد المعبود، خالق السموات والأرض، وما كان حقًا خالصًا لله لم يكن لغيره فيه نصيب. مثل: الحلف بغير الله، قال الرسول ﷺ: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» متفق عليه، وقال أيضًا: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**».

فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ. . .﴾ الآية [البينة/ ٥].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ إنه قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه لا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم**».

أصل العبادة: إخلاص الدين لله

وإخلاص الدين لله هو أصل العبادة. ونبينا ﷺ نهى عن الشرك، دقه وجله، وجليَّه وخفيه، وكبيره وصغيره. حتى إنه قد تواتر عنه النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بألفاظ متنوعة، تارة يقول: «**لا تحرَّوا بصلاتكم الشمس ولا غروبها**»، وتارة ينهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وتارة يذكر: «**إن الشمس إذا طلعت طلعت بين قرني شيطان، فحينئذٍ يسجد لها الكفار، وإذا غربت غربت بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار**»، ونهى عن الصلاة حينئذٍ، فإذا كان قد نهى عن الصلاة حينئذٍ لما فيه من مشابهة المشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت، وأن الشيطان يقارن الشمس حينئذٍ، ليكون السجود له، فكيف بما هو أظهر شركًا ومشابهة للمشركين من هذا؟

تحريم وسائل الشرك، دليل عظيم على حرمته، فاستصحب هذا دومًا، فإنه نافع جدًا

وقد قال فيما أمره الله أن يخاطب به أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران/ ٦٤] إلى قوله: ﴿مسلمون﴾، وذلك لما في ذلك من مشابهة أهل الكتاب، من اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، ونحن منهيُّون عن مثل هذا. ومن عدل عن هدي نبيه ﷺ وهدي أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى ما هو من جنس هدي النصارى فقد ترك ما أمره الله به ورسوله.

النهي عن الشرك في الألفاظ

وأما قول القائل: فقضيت حاجتي ببركة الله وبركتك، فمنكر من القول. فإنه لا يقرن بالله في مثل ذلك غيره، حتى إنَّ قائلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت، فقال: **أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**». وقال لأصحابه: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**».

وفي الحديث: «أن بعض المسلمين رأى قائلاً يقول: نعم القوم أنتم لولا أنكم تندِّدون، أي: تجعلون لله ندًّا، يعني تقولون: ما شاء الله وشاء محمد» فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد قال: «صلَّى بنا الرسول ﷺ صلاة الفجر بالحديبية في إثر سماء من الليل فقال: **أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنؤ كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

الأمور التي نصبها الله أسبابًا لقضائه، لا يجوز أن تجعل له شركاء

والأسباب التي جعلها الله أسبابًا لا تجعل مع الله شركاء وأندادًا وأعوانًا.

وأما قول القائل: ببركة الشيخ وإنه قد يعني بها دعاءه، فأسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب، وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلمه من الخير. وقد يعني بركة اتباعه له على الحق، ومحبته له من محبة الله، وطاعته له من طاعة الله. وقد يعني بها بركة معاونته على الحق وموالاته في الدين، ونحو ذلك، وهذه كلها معان صحيحة. وقد يعني بها دعاء الميت والغائب، واستقلال الشيخ بذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه، أو غير قادر عليه، أو غير قاصد له،

فمتابعته ومطاوعته على ذلك من البدع والمنكرات، ونحو هذه المعاني الباطلة، والذي لا ريب فيه: أن العمل بطاعة الله ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك هو نافع في الدنيا والآخرة. وذلك بفضل الله ورحمته»[1].

وسئل الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله: ما قولكم فيمن دعا نبيًّا أو وليًّا، أو استغاث به في تفريج الكربات، كقوله: يا رسول الله، أو يا ابن عباس، أو يا محجوب، أو غيرهم من الأولياء والصالحين.

فأجاب: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد: أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان، وقفا أثرهم إلى آخر الزمان.

**(الاهتداء في الدنيا والأمن في الآخرة، مشروط باتباع الكتاب والسنة)**

أما بعد: فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين، ورسوله قد بلغ البلاغ المبين، وأنزل عليه الكتاب هدى وذكرى للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس/ ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل/ ٨٩].

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس ص ١٧٣ ــ ١٩٢.

وقال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣، ١٢٤]، قال ابن عباس: تكفَّل الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه، أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف/ ٣٦، ٣٧].

وروى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنَّة رسوله**»، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلاَّ هالك**».

وقال ﷺ: «**ما تركت من شيء يقرب من الجنة إلاَّ وقد حدَّثتكم به، ولا من شيء يقرِّب إلى النار إلاَّ وقد حدَّثتكم به**»، وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**».

فمن أصغى إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وجد فيهما الهدى والشفاء. وقد ذم الله تعالى من أعرض عن كتابه، ودعا عند التنازع إلى حكم غيره، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء/ ٦١].

## (المشروع من زيارة القبور)

إذا عرف هذا، فنقول: الذي شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة القبور، إنما هو تذكُّر الآخرة، والإحسان إلى الميت، بالدعاء له، والترحم، والاستغفار له، وسؤال العافية، كما في صحيح مسلم، عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، أن يقولوا: «**السلام على أهل الديار ــ وفي لفظ عليكم أهل الديار ــ من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**».

وفي سنن أبي داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صليتم على الميت، فأخلصوا له الدعاء**»، وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين، يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلاَّ شفعوا فيه**»، رواه مسلم، فإذا كنا على جنازته، ندعوا له لا ندعوه، ونشفع له لا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى.

طريقة أهل الشرك في زيارة القبور

فبدَّل أهل الشرك قولاً غير الذي قيل لهم، بدَّلوا الدعاء له بدعائه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانًا إلى الميت، سؤال الميت، وتخصيص تلك البقعة، بالدعاء الذي هو مخ العبادة، بنص رسول الله ﷺ.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء مخ العبادة**» رواه الترمذي، وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر/ ٦٠]، رواه أحمد والترمذي، وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعًا، ويُصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يوفَّق له الخلوف، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فهذه سنة رسول الله ﷺ، وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل نقل عن أحد منهم بنقل صحيح، أو حسن، أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة، قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسَّحوا بها، فضلاً عن أن يسألوا أصحابها جلب الفوائد، وكشف الشدائد؟

كل ما لم يكن مشروعًا لدى أصحاب الثلاثة القرون الأولى، فليس بمشروع

ومعلوم: أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه، ولا استشفى به ولا استنصر به، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها، فإن كان عندكم في هذا أثر صحيح، أو حسن، فأوقفونا عليه.

كل ما تتوفر الهمم على نقله ولم ينقل، فهو غير مشروع

بل الذي صح عنهم خلاف ما ذهبتم إليه.

ولما قحط الناس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استسقى بالعباس، وتوسل بدعائه، وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا، فيسقون، ثبت ذلك في صحيح البخاري، ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه.

ونحن نعلم بالضرورة: أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الأكبر، الذي حرمه الله ورسوله.

حرمة الشرك، معلومة بالضرورة من الدين

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن/ ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف/ ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ...﴾ الآية [الرعد/ ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس/ ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ...﴾ الآية [فاطر/ ١٣، ١٤].

**(كل معبود يبتغي القربة إلى الله سبحانه، لا يصلح أن يكون إلـٰهًا)**

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء/ ٥٦، ٥٧]، قال مجاهد: يبتغون إلى ربهم الوسيلة هو: عيسى وعزير والملائكة.

وكذا قال إبراهيم النخعي، قال كان ابن عباس يقول في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء/ ٥٧]، هو: عزير والمسيح، والشمس والقمر. وعن السدي، وعن أبي هريرة، عن ابن عباس قال: عيسى وأمه والعزير.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم، لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت هذه الآية، ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري، ذكره في كتاب التفسير.

وهذه الأقوال في معنى الآية كلها حق، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتًا، أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، فقد تناولته هذه الآية.

كل من دعا من دون الله، فقد دعا من لا يملك من جلب النفع أو دفع الضرّ شيئًا

ومعلوم: أن المشركين يسألون الصالحين، بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله، ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم، وبيَّن أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعي، ولا تحويله، ولا يرفعونه بالكلية، ولا يحوِّلونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته، أو قدره، ولهذا قال: (ولا تحويلاً)، فذكر نكرة تعم أنواع التحويل، فكل من دعا ميتًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة أو الجن، فقد دعا من لا يغيثه، ولا يملك كشف الضر عنه، ولا تحويله.

حال المشركين تجاه آلهتهم

وهؤلاء المشركون اليوم، ومنهم من إذا نزلت به شدة، لا يدعو إلاَّ شيخه، ولا يذكر إلاَّ اسمه، قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فإذا تعس أحدهم قال: يا ابن عباس، أو يا محجوب، ومنهم من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بابن عباس أو غيره فيصدق ولا يكذب، فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق، وإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين، وهذه المحادَّة لرب

العالمين، فأي الفريقين أحق بالاستهزاء، والمحادَّة لله؟ من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم، أو يأمر بذلك؟ أو من كان لا يدعو إلَّا الله وحده لا شريك له، كما أمرت به رسله، ويوجب طاعة الرسول، ومتابعته في كل ما جاء به؟

ونحن ــ بحمد الله ــ من أعظم الناس إيجابًا لرعاية الرسول ﷺ، تصديقًا له فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بمعرفة ما بعث به، واتباع ذلك دون ما خالفه، عملاً بقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف/ ٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٥٥].

**(حد التوحيد المنجي)**

ومعنا ــ ولله الحمد ــ أصلان عظيمان:

**أحدهما**: أن لا نعبد إلَّا الله، فلا ندعو إلَّا هو، ولا نذبح النسك إلَّا لوجهه، ولا نرجو إلَّا هو ولا نتوكل إلَّا عليه.

**والأصل الثاني**: أن لا نعبده إلَّا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان، **هما تحقيق شهادة أن لا إلـٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله.**

مقتضيات الشهادتين

فإن شهادة أن لا إلـٰه إلَّا الله: تتضمن إخلاص الإلـٰهية لله، فلا يتأله القلب، ولا الجوارح بغيره تعالى، لا بحب ولا خشية، ولا إجلال ولا رهبة، وشهادة أن محمدًا عبده ورسوله: تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به، وطاعته واتباعه في كل ما أمر به، فما أثبته وجب اتباعه، وما نفاه وجب نفيه.

وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».

## (كل من قدم أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى، فهو كافر مشرك)

إذا تمهد هذا، فنقول: الذي نعتقده وندين الله به، أن من دعا نبيًا، أو وليًا، أو غيرهما، وسأل منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أن هذا من أعظم الشرك، الذي كفَّر الله به المشركين، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع، ويستدفعون بهم المضار بزعمهم.

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس/ ١٨].

فمن جعل الأنبياء أو غيرهم، كابن عباس، أو المحجوب، أو أبي طالب، وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، بمعنى أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك، يسألون الملوك حوائج الناس، لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبًا منهم، أن يباشروا سؤال الملك، أو لكونهم أقرب إلى الملك، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، حلال المال والدم.

## (الأدلة على كفر من عبد غير الله)

وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك، وحكوا عليه الإجماع، قال في الإقناع وشرحه: من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم، ويدعوهم، ويسألهم، كفر إجماعًا، لأن ذلك فعل عابدي الأصنام، قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]. انتهى.

الإجماع على كفر من عبد غير الله تعالى

وقال الإمام أبو الوفاء، علي بن عقيل الحنبلي، رحمه الله: لما صعبت التكاليف على الطغام والجهال، عدلوا عن أوضاع الشرع، إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم.

قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل: تعظيم القبور وإكرامها، والتزامها بما نهى عنه الشرع، من إيقاد النيران، وتقبيلها، وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع عليها: يا مولاي افعل لي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداء بمن عبد اللات والعزى، انتهى كلامه.

## (علة تكفير مشركي قريش)

وقال الإمام البكري الشافعي رحمه الله في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]: وكانت الكفار إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله، فإذا سئلوا عن عبادة الأصنام، قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر/ ٣] لأجل طلب شفاعتهم عند الله، وهذا كفر منهم، انتهى كلامه.

شرك كفار قريش كان في الألوهية دون الربوبية

فتأمل ما ذكره صاحب الإقناع، وما ذكره ابن عقيل، من تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وأن ذلك كفر.

وقال الحافظ العماد ابن كثير رحمه الله، في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]: إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين بزعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينُوبُهم من أمور الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

اتخاذ الوسائط الشركية في العبادة، هي شبهة المشركين من قديم الدهر وحديثه

قال قتادة والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، أي: ليشفعوا لنا عنده ويقرِّبونا، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلاَّ شريكًا هو لك، تملكه وما ملك وهذه الشبهة هي التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردِّها، والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له.

الشرك: افتراء واختراع

وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل/ ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٥].

الرد على الشبهة الخطيرة، التي ورثت الشرك وأصله

وأخبر: أن الملائكة التي في السماوات، من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلاَّ بإذنه لمن

ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون بغير إذنهم، فيما أحبه الملوك وكرهوه، فلا تضربوا لله الأمثال، تعالى الله عن ذلك، انتهى كلامه.

(كيف عبدت الأصنام؟)

وقال الإمام البكري رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ . . . ﴾ الآية [يونس/ ٣١]، فإن قلت: إذا أقروا بذلك، فكيف عبدوا الأصنام؟

ما أراد عباد الأصنام، إلاَّ التقرب بها إلى الله زلفى

قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام، عبادة الله، والتقرب إليه، لكن بطرق مختلفة.

ففرقة قالت: ليس لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته، فعبدناها لتقربنا إليه زلفى.

وفرقة قالت: الملائكة ذو وجاهة ومنزلة عند الله، فاتخذنا أصنامًا على هيئتها، لتقربنا إلى الله زلفى.

وفرقة قالت: جعلنا الأصنام قبلة لنا في العبادة، كما أن الكعبة قبلة في عبادته.

وفرقة اعتقدت: أن لكل ملك شيطانًا موكلاً بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله وإلاَّ أصابه شيطان بنكبة بأمر الله تعالى، انتهى كلامه.

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة، وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلاَّ التقرب إلى الله، وطلب شفاعتهم عند الله، وتأمل ما ذكره ابن كثير، وما حكاه عن زيد بن أسلم، وابن زيد، ثم قال: وهذه الشبهة، هي التي اعتقدها المشركون، في قديم الدهر

وحديثه، وجاءتهم الرسل ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ بردِّها، والنهي عنها.

كفار قريش لم يخلوا بتوحيد الربوبية

وتأمل ما ذكره البكري رحمه الله عند آية الزمر: أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة، ثم صرح بأن هذا كفر، فمن تأمل ما ذكره الله في كتابه، تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله، وطلب شفاعتهم عند الله، فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق، وتنزل المطر، وتنبت النبات، بل كانوا مقرِّين أن الفاعل لذلك هو الله، وحده لا شريك له في ذلك.

الإقرار بتوحيد الربوبية: يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو الحجة عليه

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس/ ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦١].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤ ــ ٨٩].

إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها: أن المشركين معترفون، أن الله هو الخالق الرازق، وإنما كانوا يعبدونهم ليقرِّبوهم، ويشفعوا لهم، كما ذكره سبحانه، في قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يونس/ ١٨]، فبعث الله الرسل، وأنزل الكتب، ليعبد وحده، ولا يجعل معه إلٰه آخر،

التوحيد: علة بعث الرسل، وإنزال الكتب

وأخبر سبحانه: أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه، وأنه لا يأذن إلاَّ لمن رضي قوله وعمله، وأنه لا يرضى إلاَّ التوحيد، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ [الزمر/ ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ ﴾ [السجدة/ ٤]، وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه/ ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم/ ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [سبأ/ ٢٣].

وفي الصحيحين من غير وجه، عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم، وأكرم الخلق على الله، أنه قال: «**آتي تحت العرش، فأخر لله ساجدًا ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيحد لي حدًا، ثم أدخلهم الجنة، ثم أعود**»، فذكر أربع مرات، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى سائر الأنبياء.

وقال الإمام البكري رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ [الأنعام/ ٥١]: نفى الشفيع، وإن كانت الشفاعة واقعة في الآخرة، لأنها من حيث أنها لا تقع إلاَّ بإذنه، كأنها غير موجودة من غيره، وهو كذلك، لكن جعل ذلك لتبيين الرتب، وجملة النفي حال من

ضمير يحشروا، وهي محل الخوف، والمراد به: المؤمنون العاصون. انتهى.

وقال أيضًا: عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه/ ١٠٩]: دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط.

توحيد الربوبية، برهان توحيد الألوهية

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير، عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد/ ١٦]: يقرر تعالى أنه لا إله إلَّا هو، لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا، قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم، وإنما عبد هؤلاء المشركون آلهة، هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لاشريك لك، إلَّا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك.

وكما أخبر عنهم في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣]، فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى: لا يشفع عنده أحد إلَّا بإذنه ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ/ ٢٣].

ثم قد أرسل رسله، من أولهم إلى آخرهم، يزجرون عن ذلك، وينهون عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم، انتهى كلامه.

حد الشرك، الذي أباح دماء وأموال مشركي قريش

والمقصود: بيان شرك المشركين، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلَّا التقرب إلى الله، وطلب شفاعتهم عند الله، وبيان أن طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم في الشدائد، أنه من الشرك الأكبر، الذي كفر الله به المشركين، وبيان أن الشفاعة كلها لله، ليس لأحد معه فيها شيء،

وأنه لا شفاعة إلاَّ بعد إذن الله تعالى، وأنه تعالى لا يأذن إلاَّ لمن رضي قوله وعمله، وأنه لا يرضى إلاَّ التوحيد، كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك. . .

وأما المسألة الثانية، فقالوا: من قال لا إلـه إلاَّ الله، محمد رسول الله، ولم يصل، ولم يزكِّ، هل يكون مؤمنًا؟

الانخلاع من الشرك، شرط للحكم بالإسلام

فنقول: أما من قال: لا إلـه إلاَّ الله، محمد رسول الله، وهو مقيم على شركه، يدعو الموتى، ويسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، فهذا كافر مشرك، حلال الدم والمال، وإن قال: لا إلـه إلاَّ الله، محمد رسول الله، وصلَّى وصام، وزعم أنه مسلم، كما تقدم بيانه.

وأما إن وحَّد الله تعالى، ولم يشرك به، ولكنه ترك الصلاة ومنع الزكاة، فإن كان جاحدًا للوجوب، فهو كافر إجماعًا، وأما إن أقرَّ بالوجوب، ولكنه ترك الصلاة تكاسلاً عنها، فهذا قد اختلف العلماء في كفره»[(١)].

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

الآيات المحكمات دالة على كفر من أشرك بالله غيره في عبادته

وقد دلَّت الآيات المحكمات: على كفر من أشرك بالله غيره في عبادته، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزمر/ ٨].

ولها نظائر كثيرة سوى ما تقدم، كقوله: ﴿ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟

(١) الدرر السنية ١٠/ ٢٩٧ ـ ٣٠٣.

كَفِرِينَ ﴿٣٧﴾ [الأعراف/ ٣٧]. ففي هذه الآية من البيان: أن معظم شركهم هو دعاؤهم، وأنه كفر بالله، فلا اعتبار بمن أعمى الله بصيرته، عن تدبُّر كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ»[1].

**(التسوية بين الخالق والمخلوق في أي عمل من أعمال القلوب، شرك بالله العظيم)**

**وساق الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله تعالى الأدلة على كفر من عبد غير الله تعالى فقال:**

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة/ ١٦٥]، إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة/ ١٦٧]، فمن أحب مخلوقًا كما يحب الله، أو رجاه كما يرجو الله، فقد جعله ندًّا لله، وصار من الخالدين في النار.

وفي صحيح البخاري، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار**». وفي الصحيحين: أنه ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**».

التسوية لم تكن في الربوبية، بل في الألوهية

والند: المثل، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء/ ٩٧، ٩٨].

---

(١) الدرر السنية ١١/ ٤٨١.

ومعلوم: أنهم ما سووهم به في الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وإنما سووهم به في الدعاء والخوف والرجاء، والمحبة والتعظيم والإجلال.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزمر/ ٨]، فصرَّح بكفره.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران/ ٧٩]، إلى قوله: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٠]، فبيَّن: أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء/ ٤٨]، وقال فيما حكاه عن المسيح: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ ﴾ [المائدة/ ٧٢].

دعاء غير الله تعالى من أعظم أنواع الشرك

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ ﴾ [فاطر/ ١٣، ١٤]، فدلت الآية الكريمة: على أن أعظم شركهم إنما هو دعاء غير الله، فإنه أخبر أنهم لا يملكون من قطمير، وهو القشر الذي يكون على ظهر النواة، أي: ليس لهم من الأمر شيء، وإن قلَّ، ثم أخبر: أنهم لا يسمعون دعاءهم وأنهم لو سمعوا ما استجابوا لهم، وهذا صريح في دعاء المسألة.

ثم أخبر: أن هذا شرك يكفرون به يوم القيامة، فقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر/ ١٤]، كقوله: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم/ ٨٢]، وكقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف/ ٦].

دين الرسل كلهم: الأمر بعبادة الله وحده وأن لا يشرك به أحد سواه

والله سبحانه قد أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليعبد وحده، ويكون الدين كله له، ونهى أن يُشرك به أحد من خلقه، وأخبر أن الرسالة عمَّت كل أمة، وأن دين الرسل واحد، وهو: الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وأن لا يشرك به أحد سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل/ ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء/ ٢٥].

الشرك محبط للعمل، ويورث صاحبه الخلود في الجحيم

وأخبر أنه لا يغفر أن يشرك به، وأن من أشرك به فقد حبط عمله، وصار من الخالدين في النار، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٧﴾ [التوبة/ ١٧]»[١].

**وقال أيضًا رحمه الله تعالى:**

الإجماع: على كفر من عبد غير الله تعالىٰ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم

«الدعاء والذبح والنذر، وغير ذلك، حق الله على عباده، فمن أشرك مع الله غيره في هذه الأفعال، فهو مشرك كافر، وإن قال: لا إلـٰه إلَّا الله، وصلَّى، وصام، وزعم أنه مسلم، وهذا مجمع عليه عند أهل العلم، لا اختلاف في ذلك»[٢].

---

(١) الدرر السنية ١١/ ١٥ ــ ١٨.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٣٣٨.

المبحث الثاني

## فعل الإنسان في الظاهر دليل على عقيدته في الباطن، ومن ثمّ كانت الأقوال والأعمال والأفعال دلائل منضبطة على وجود الكفر والإيمان، وبها تتكيف الأحكام سلبًا وإيجابًا

**قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين حفظه الله تعالى:**

«فنحن نستدل بفعل الإنسان على عقيدته، فمتى رأينا شخصًا وقف عند قبر إنسان معظَّم في نفسه، وخضع برأسه، وتذلل، وأهطع، وأقنع، وخشع، وخفض صوته، وسكنت جوارحه، وأحضر قلبه ولبه، أعظم مما يفعل في الصلاة بين يدي ربه عز وجل، وهتف باسم ذلك المقبور، وناداه نداء من وثق منه بالعطاء، وعلق عليه الرجاء ونحو ذلك، فإننا لا نشك أنه والحالة هذه يعتقد أنه يعطيه سؤله ويدفع عنه السوء، وأنه يستطيع التصرف في أمر الله، ففعله هذا دليل سوء معتقده، فلا حاجة لنا أن نسأله: هل أنت تعتقد أنه يضر وينفع من غير إذن الله؟ فالله تعالى ما كلفنا أن ننقب عن قلوب الناس، وإنما نأخذهم بموجب أفعالهم وأقوالهم الظاهرة، وهذا الشخص قد خالف قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

أمرنا الله أن نعامل الناس بموجب أفعالهم وأقوالهم الظاهرة

﴿... يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس/ ١٠٦].

وقد رأينا خشوعه وتذلله أمام هذا المخلوق الميت، وذلك هو عين العبادة كما عرفنا، فنحكم عليه بموجب فعله وقوله، بأنه قد أشرك بالله وتأله سواه.

تعريف الإلـه

فإن الإلـه: هو الذي تألهه القلوب وتعظمه، وتحبه وترجوه، وتخافه وتعامله بما لا يصلح إلاَّ لله، ولو لم يسمه الفاعل إلـهًا، ولو لم يسم فعله تألهًا وتعبدًا؛ فإن العبرة بالحقائق وما في نفس الأمر بخلاف الأسماء.

العبرة بالحقائق

فأهل هذا الزمان: لما جهلوا حقيقة العبادة والتأله والدعاء ونحوه ــ الذي هو من حق الله ــ ولم يعرفوا معانيها وأصل وضعها صرفوها لغير الله، وسمّوا: ذلك توسُّلاً واستشفاعًا وتبرُّكًا واحترامًا وهو عين عبادة ذلك المخلوق، وعين الشرك الذي توعَّد الله عليه بالنار وحرمان الجنة»[1].



(١) الكنز الثمين ١/ ٢٩١، ٢٩٢.

# كلمات منتقاة، مضيئة

● تكفل الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه: أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

[حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما]

● العبادة مبناها: على النية والاتباع، وإنما يعبد الله بما شرع، لا يعبد بالأهواء والبدع.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني]

● ومَعَنا ــ ولله الحمد ــ: أصلان عظيمان:

أحدهما: أن لا نعبد إلاَّ الله، فلا ندعو إلاَّ هو، ولا نذبح إلاَّ لوجهه، ولا نرجو إلاَّ هو، ولا نتوكل إلاَّ عليه.

والأصل الثاني: أن لا نعبده إلاَّ بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان، هما: تحقيق شهادة: أن لا إلـه إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله.

فإن شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله تتضمن: إخلاص الإلـهية لله؛ فلا يتأله القلب، ولا اللسان، ولا الجوارح بغيره تعالى، لا بحب، ولا بخشية، ولا إجلال، ولا رهبة.

وشهادة أن محمدًا عبده ورسوله تتضمن: تصديقه في ما أخبر به، وطاعته واتباعه في كل ما أمر به، فما أثبته وجب اتباعه، وما نفاه وجب نفيه...

إذا تمهد هذا فنقول: الذي نعتقده وندين الله به، أن من دعا نبيًّا، أو وليًّا، أو غيرهما، وسأل منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أن هذا من أعظم الشرك، الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء، يستجلبون بهم المنافع، ويستدفعون بهم المضار بزعمهم.

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

● فأهل هذا الزمان: لمَّا جهلوا حقيقة العبادة والتأله والدعاء ونحوه، الذي هو من حق الله، ولم يعرفوا معانيها، وأصل وضعها، صرفوها لغير الله، وسموا ذلك: توسُّلاً، واستشفاعًا، وتبرُّكًا، واحترامًا، وهو عين عبادة ذلك المخلوق، وعين الشرك الذي توعَّد الله عليه بالنار، وحرمان الجنة.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين]

● ونحن نعلم بالضرورة: أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد من أمته، أن يدعو أحدًا من الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الأكبر، الذي حرمه الله ورسوله... فمن جعل الأنبياء، أو الصالحين، وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار، فهو كافر مشرك، حلال المال والدم.

وقد نص العلماء على ذلك، وحكوا عليه الإجماع.

قال في الإقناع وشرحه: من جعل بينه وبين الله وسائط، يتوكل عليهم، ويدعوهم، ويسألهم، كفر إجماعًا؛ لأن ذلك فعل عابدي الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣].

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

● إن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية، أو الوحدانية، أو عبادة غير الله، أو مع الله: فهي كفر...

والذين أشركوا بعبادة الأوثان، أو أحد الملائكة، أو أحد الشياطين، أو الشمس، أو النجوم، أو النار، أو أحد غير الله، من مشركي العرب، أو أهل الهند، أو السودان، أو غيرهم...

ومن اعتقد أن ثمّ للعالم صانعًا سوى الله، أو مدبرًا: فذلك كله كفر بإجماع المسلمين.

[القاضي عياض]

فاعلم أن العلماء أجمعوا: على أن من صرف شيئًا من نوعي الدعاء لغير الله، فهو مشرك ولو قال: لا إلـه إلاَّ الله محمد رسول الله، وصلَّى، وصام.

إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين: أن لا يعبد إلاَّ الله، فمن أتى بالشهادتين، وعبد غير الله، فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما، كاليهود الذين يقولون: لا إلـه إلاَّ الله، وهم مشركون، ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام، بدون العمل بمعناهما، واعتقاده إجماعًا.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● الدعاء والذبح والنذر وغير ذلك، حق لله على عباده، فمن أشرك مع الله غيره من هذه الأفعال، فهو مشرك كافر وإن قال: لا إلـه إلاَّ الله،

وصلَّى وصام، وزعم أنه مسلم. وهذا مجمع عليه عند أهل العلم، لا اختلاف في ذلك.

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

• وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم في كتاب حكم المرتد: على أن من أشرك بالله فهو كافر، أي: عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادة.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع: أن دعاء غير الله عبادة له، فيكون صرفه لغير الله شركًا.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

• فنحن نستدل بفعل الإنسان على عقيدته، فمتى رأينا شخصًا وقف عند قبر إنسان معظم في نفسه، وخضع برأسه، وتذلل، وأهطع، وأقنع، وخشع...

فإننا لا نشك والحالة هذه: في أنه يعتقد أنه يعطيه سؤله، ويدفع عنه السوء، وأنه يستطيع التصرف في أمر الله.

ففعله هذا: دليل على سوء معتقده، فلا حاجة لنا أن نسأله: هل أنت تعتقد أنه يضر وينفع، من غير إذن الله؟

فالله تعالى ما كلفنا أن ننقب عن قلوب الناس، وإنما نأخذهم بموجب أفعالهم وأقوالهم الظاهرة.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين]

• وهؤلاء المشركون اليوم: منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلاَّ شيخه، ولا يذكر إلاَّ اسمه، قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فإذا تعس أحدهم، قال: يا ابن عباس، أو يا محجوب، ومنهم من يحلف بالله

ويكذب، ويحلف بابن عباس أو غيره فيصدق ولا يكذب، فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق.

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

● لا يجوز أن يقال، لملك، ولا نبـي، ولا شيخ، سواء كان حيًّا، أو ميتًا: اغفر ذنبـي، ولا انصرني على عدوي، ولا اشف مريضي، ولا عافني، أو عاف أهلي ودوابـي، وما أشبه ذلك، ومن سأل ذلك مخلوقًا كائنًا من كان، فهو مشرك بربه من جنس المشركين، الذين يعبدون الملائكة، والأنبياء، والتماثيل، التي يصورونها على صورهم، ومن جنس دعاء النصارى في المسيح وأمه. . .

وقول كثير من الضلال: هذا أقرب إلى الله تعالى مني، وأنا بعيد عن الله، لا يمكـن أن أدعـوه إلاَّ بهـذه الـواسطـة، ونحـو ذلـك: هـو مـن قـول المشركين.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني]

● كل ما دلّ الكتاب والسُّنَّة وإجماع العلماء على أنه كفر، مثل الشرك بعبادة الله ، فمن ارتكب شيئًا من هذا النوع، أو حسنه، فهذا لا شك في كفره، ولا بأس بمن تحققت منه شيئًا من ذلك أن نقول: كفر فلان بهذا الفعل.

يبين هـذا: أن الفقهـاء يذكـرون في بـاب حكـم المرتد: أشياء كثيرة يصير بها المسلم مرتدًّا كافرًا، ويستفتحون هذا الباب بقولهم: من أشرك بالله كفـر، وحكمه أن يستتاب فـإن تـاب وإلاَّ قتـل، والاستتابـة إنمـا تكـون مع معيـن.

[الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين]

● من ثبت لديك: أنه يستغيث بأصحاب القبور، أو ينذر لهم، فلا تصح أن تصلي خلفه لأنه مشرك، والمشرك لا تصح إمامته، ولا صلاته، ولا يجوز للمسلم أن يصلي خلفه.

[الشيوخ: عبد الله بن غديان، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن باز]

● والمقصود: بيان شرك المشركين، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلاَّ التقرب إلى الله، وطلب شفاعتهم عند الله، وبيان أن طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم في الشدائد، أنه من الشرك الأكبر الذي كفَّر الله به المشركين.

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]

● ومن أعظم الشرك: أن يستغيث الرجل برجل ميت، أو غائب، ويستغيث به عند المصائب: يا سيدي فلان، يطلب منه إزالة ضره، أو جلب نفعه. وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية]

● من قال: لا إلـه إلاَّ الله محمد رسول الله، وهو مقيم على شركه، يدعو الموتى، ويسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، فهذا كافر مشرك، حلال الدم والمال، وإن قال: لا إلـه إلاَّ الله محمد رسول الله، وصلَّى، وصام، وزعم أنه مسلم.

[الشيخ حمد بن ناصر بن معمر]



# الفصل الثامن

# علة قتال المشركين ووجوب البراءة منهم
# وحكم الدار إذا غلبت عليها أحكام الشرك

وفيه أربعة مباحث:

| | | |
|---|---|---|
| المبحث الأول | : | المبحث الأول: الآثار الوخيمة الناتجة عن الخروج على أصل الولاء والبراء. |
| المبحث الثاني | : | الإجماع على حرمة التحيز للمشركين، ومجامعتهم إلاَّ لمن قدر على إظهار البراءة منهم ومن شركهم. |
| المبحث الثالث | : | تعريف دار الشرك، وواجب المسلمين نحوها. |
| المبحث الرابع | : | وجوب قتال المشركين حتى يكون الدين كله لله. |

## المبحث الأول

# الآثار الوخيمة الناتجة
# عن الخروج على أصل الولاء والبراء

أرى ـ في هذا المقام ـ أنه من ضرورة البيان وكمال البلاغ: معاودة التذكير بواجب موالاة المسلمين والبراءة من المشركين، وعقوبة الخروج عن هذا الأصل العظيم، مع بيان آثاره الوخيمة على الإسلام وأهله، حتى نستطيع أن نضع أيدينا على علة وصول الأمة إلى الحالة المزرية من الخيبة والخسار، والانكسار بين يدي الأعداء، جراء التفريط في القيام بحقوق هذا الأصل الأصيل:

**قال الشيخ صالح الفوزان يحفظه الله تعالى:**

«هذا وبعد انتهائنا من هذا البيان المختصر لأصول العقيدة الإسلامية نشير إلى أنه يحب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم.

وذلك من ملة إبراهيم والذين معه، الذي أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة/ ٤].

وهو من دين محمد عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾ [المائدة/ ٥١]، وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصًا. وقال في تحريم موالاة الكفار عمومًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة/ ١].

بل لقد حرم الله على المؤمن موالاة الكفار، ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ [التوبة/ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى: إنهم إخواننا! ويا لها من كلمة خطيرة!

وكما أن الله سبحانه حرم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية، فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ ﴾ [المائدة/ ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح/ ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات/ ١٠].

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠].

المؤمنون: إخوة في الدين والعقيدة

فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون، يقتدي آخرهم بأولهم، ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض.

وللولاء والبراء مظاهر تدل عليهما.

**(مظاهر موالاة الكفار)**

فمن مظاهر موالاة الكفار:

التشبه: دليل المحبة

١ ـ التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما. لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدل على محبة المتشبِّه للمتشبَّه به، ولهذا قال النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم، فهو منهم**»، فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم ومن عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم، كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلاَّ عند الحاجة، وفي هيئة اللباس والأكل والشرب وغير ذلك.

وجوب الهجرة من دور الكفر، لأجل الفرار بالدين

٢ ـ الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين، لأن الهجرة بهذا المعنى ولهذا الغرض واجبة على المسلم. لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين، ومن هنا حرم الله إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ

قَالُوٓاْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء/ ٩٧ ـ ٩٩].

أسباب جواز الإقامة في بلاد الكفار

فلم يعذر الله في الاقامة في بلاد الكفار إلاَّ المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية، كالدعوة إلى الله ونشر الاسلام في بلادهم.

٣ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس.

السفر إلى بلاد الكفار محرم إلا للضرورة

والسفر إلى بلاد الكفار محرَّم إلاَّ عند الضرورة، كالعلاج، والتجارة، والتعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلاَّ بالسفر إليهم، فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة، وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين، ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مُظْهِرًا لدينه، معتزًا بإسلامه، مبتعدًا عن مواطن الشر، حذرًا من دسائس الأعداء ومكائدهم، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

٤ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين، ومدحهم والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة، نعوذ بالله من ذلك.

## (لا يجوز اتخاذ المشركين: بطانة ومستشارين)

٥ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار: الاستعانة بهم، والثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾ [آل عمران/ ١١٨ ــ ١٢٠].

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار، وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبِّرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم، فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني، قال: ما لك قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة/ ٥١]؟ ألا اتخذت حنيفًا؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين! لي كتابته وله دينه! قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله».

حرمة الإستعانة بالمشركين

وروى الإمام أحمد ومسلم، أن النبي ﷺ خرج إلى بدر، فتبعه رجل من المشركين، فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك، قال: **«تؤمن بالله ورسوله؟»**، قال: لا، قال: **«ارجع، فلن أستعين بمشرك»**.

ومن هذه النصوص يتبين لنا: تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكَّنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم، ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم.

ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين (بلاد الحرمين الشريفين)، وجعلهم عمالاً وسائقين ومستخدَمين ومربين في البيوت، وخلطهم مع العوائل، أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم.

التاريخ بتأريخ الكفار، من مظاهر موالاتهم

٦ ــ ومن مظاهر موالاة الكفار التأريخ بتأريخهم، خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم، كالتاريخ الميلادي، والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من أنفسهم، وليس هو من دين المسيح عليه السلام،، فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعارهم وعيدهم، ولتجنب هذا لمَّا أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد عمر رضي الله عنه، عدلوا عن تواريخ الكفار، وأرَّخوا بهجرة الرسول ﷺ، مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم، والله المستعان.

من مظاهر موالاة الكفار: مشاركتهم في أعيادهم

٧ ــ ومن مظاهر موالاة الكفار مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها، وقد فسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان/ ٧٢]، أي: من صفات عباد الرحمن: أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

٨ ــ ومن مظاهر موالاة الكفار: مدحهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه/ ١٣١].

وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلُّم الصناعات ومقوِّمات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف/ ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾ [الجاثية/ ١٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة/ ٢٩].

فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات.

من مظاهر موالاة الكفار: التسمِّي بأسمائهم

٩ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار التسمِّي بأسمائهم، بحيث يسمون أبنائهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد قال النبي ﷺ: «**خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن**»، وبسبب تغيير الأسماء، فقد وجد جيل يحمل أسماء غريبة، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة، ويقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

١٠ ـ ومن مظاهر موالاة الكفار الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة/ ١١٣]. لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه[١].

## (مظاهر موالاة المؤمنين)

مظاهر موالاة المؤمنين قد بيَّنها الكتاب والسنة، ومنها:

تعريف الهجرة وحكمها

١ ــ الهجرة إلى بلاد المسلمين، وهجر بلاد الكافرين، والهجرة هي: الانتقال من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة.

متى تجوز الإقامة بين أظهر المشركين

وقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، فتحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار، إلَّا إذا كان لا يستطيع

---

(١) من المعلوم من الدين ضرورة، والمنقول نقلاً متواترًا: أن الدين عند الله الإسلام، وأن الكافرين به هم أصحاب النار، وأن المشركين لا حظ لهم من مغفرة الله ورحمته.
ولقد رأينا وسمعنا، بل ولا زلنا نسمع ونرى من كثير من الأقلام المسمومة، وألسنة الكفر والزندقة والإلحاد: جواز الترحم على أموات اليهود والنصارى والشيوعيين، وما ذاك إلَّا لإذابة حاجز البغض والمعاداة بين المسلمين والكافرين ــ من جانب واحد فقط وهم يدركون ذلك جيدًا ــ ومن ثم تمرير شرعية الأديان الحالية، على أصحاب الملة الحنيفية ــ دون غيرها من الملل ــ، وأنها طرق إلى الله كالمذاهب الأربعة في الإسلام، يجوز التعبد بأي واحد منها.
فينبغي الحذر الحذر من هذا الشر المستطر، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام/ ٥٥].

الهجرة منها، أو كان في إقامته مصلحة دينية، كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء/ ٩٧ ــ ٩٩].

(حقوق الأخوة الإسلامية)

٢ ــ مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم: قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة/ ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال/ ٧٢].

٣ ــ التألم لألمهم والسرور بسرورهم، قال النبي ﷺ: «**مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا** (وشبك بين أصابعه ﷺ) ».

٤ ــ النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وقال: «**المسلم أخو المسلم، لا يحقره، ولا يخذله، ولا يسلمه، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»، وقال عليه الصلاة والسلام:

«لا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تناجشوا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا».

٥ ــ احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقُّصهم وعيبهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات/ ١١، ١٢].

الوقوف مع المسلمين في حال عسرهم ويسرهم، مفرق طريق بين المؤمنين والمنافقين

٦ ــ أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء، بخلاف أهل النفاق، الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء، ويتخلون عنهم في حال الشدة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النساء/ ١٤١].

٧ ــ زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم، وفي الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتزاورين فيَّ»، وفي حديث آخر: «أن رجلاً زار أخًا له في الله، فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فسأله: أين تريد؟ قال: أزور أخًا لي في الله، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

٨ ــ احترام حقوقهم، فلا يبيع على بيعهم، ولا يسوم على سومهم، ولا يخطب على خطبتهم، ولا يتعرَّض لما سبقوا إليه من

المباحات، قال ﷺ: «**لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته**»، وفي رواية: «**ولا يسم على سومه**»[1].

٩ ــ **الرفق بضعفائهم**، كما قال النبي ﷺ: «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**هل تنصرون وترزقون إلَّا بضعفائكم؟!**»، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف/ ٢٨].

١٠ ــ **الدعاء لهم والاستغفار لهم**، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد/ ١٩]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر/ ١٠].

**(معنى: التعامل بالقسط مع الكفار المسالمين)**

الفرق بين: التعامل بالقسط، والموالاة والمحبة

وأما قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة/ ٨]، فمعناه: أن من كف أذاه من الكفار، فلم يقاتل المسلمين، ولم يخرجهم من ديارهم، فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي، ولا يحبونه

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البيوع. وقال الإمام النووي رحمه الله معلقًا عليه: «السوم على سوم أخيه: فهو أن يكون قد اتفق مالك السلعة والراغب فيها، على البيع ولم يعقداه، فيقول الآخر للبائع: أنا أشتريه، وهذا حرام بعد استقرار الثمن، وأما السوم في السلعة التي تباع فيمن يزيد، فليس بحرام».
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ١٥٨، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ ــ ١٩٢٩م.

بقلوبهم، لأن الله قال: ﴿ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ ﴾ [الممتحنة/ ٨]، ولم يقل: توالونهم وتحبونهم.

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ [لقمان/ ١٥].

وقد جاءت أم أسماء إليها تطلب صلتها وهي كافرة، فاستأذنت أسماء رسول الله ﷺ في ذلك، فقال لها: «صلي أمك»، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر، ولأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيبًا للكافر في الإسلام، فهما من وسائل الدعوة، بخلاف المودة والموالاة، فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه، والرضى عنه، وذلك يسبب عدم دعوته إلى الإسلام.

وكذلك تحريم موالاة الكفار لا يعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم، فالنبي ﷺ استأجر ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر، واستدان من بعض اليهود، وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار، وهذا من باب الشراء منهم بالثمن، وليس لهم علينا فيه فضل ومنّة، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم، فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال/ ٧٢]، إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٧٣].

اختلاط المؤمنين بالكافرين، دون حاجز الولاء والبراء: فتنة عظيمة، وفساد كبير

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى قوله: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٧٣]، أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلاَّ وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل. . .» انتهى.

قلت: وهذا ما حصل في هذا الزمان، والله المستعان.

## (أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء)

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

**القسم الأول**: من يحب محبة خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته الكرام، خصوصًا الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين، والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التابعون، والقرون المفضلة، وسلف هذه الأمة، وأئمتها، كالأئمة الأربعة.

المؤمنون الخلص، تصرف لهم خالص المحبة، ودرجات ذلك

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر/ ١٠].

بغض الصحابة والسلف: زيغ ونفاق

ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام، كالرافضة والخوارج، نسأل الله العافية.

الكافر يُبغَض ويُعادى، من كل وجه

**القسم الثاني**: من يبغض ويعادي بغضًا ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخلَّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم.

كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

وقال تعالى عائبًا على بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)﴾ [المائدة/ ٨٠، ٨١].

المؤمن العاصي، يحب من وجه، ويبغض من وجه

**القسم الثالث**: من يحب من وجه ويبغض من وجه، فيجتمع فيه المحبة والعداوة، وهم عصاة المؤمنين، يحبون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك.

مذهب أهل السنَّة في محبة العصاة، وسط بين الخوارج والمرجئة

ومحبتهم تقتضي: مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل ينكر عليهم، ويؤمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وتقام عليهم الحدود والتعزيرات، حتى يكفوا عن معاصيهم، ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يبغضون بغضًا خالصًا ويتبرأ منهم، كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة. التي هي دون الشرك، ولا يحبون ويوالون حبًّا وموالاة خالصين، كما تقوله المرجئة، بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا، كما هو مذهب أهل السنة والجاعة.

الحب والبغض في الله، أوثق عرى الإيمان

والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة، كما في الحديث.

وقد تغير الوضع، وصار غالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا، فمن كان عنده طمع من مطامع الدنيا، والوه، وإن كان عدوًّا لله ولرسوله ولدين المسلمين، ومن لم يكن عنده طمع من مطامع الدنيا، عادَوْه، ولو كان وليًّا لله ولرسوله، عند أدنى سبب، وضايقوه، واحتقروه.

وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا»، رواه ابن جرير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا، فقد آذنته بالحرب...**» الحديث، رواه البخاري.

أشد الناس محاربة الله، من عادى أصحاب نبيه ﷺ

وأشد الناس محاربة لله من عادى أصحاب رسول الله ﷺ وسبهم وتنقَّصهم، وقد قال ﷺ: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا، فمن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني، فقد آذىٰ الله، ومن آذى الله، يوشك أن يأخذه**»، أخرجه الترمذي وغيره.

وقد صارت معاداة الصحابة وسبهم دينًا وعقيدة عند بعض الطوائف الضالة! نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، ونسأله العفو والعافية»[1].

❑ ❑ ❑

(١) الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد ٣٠٧ ــ ٣١٩.

## المبحث الثاني

# الإجماع على حرمة التحيز للمشركين، ومجامعتهم، إلاَّ لمن قدر على إظهار البراءة منهم ومن شركهم

أجمع العلماء: على حرمة التحيز للمشركين ومجامعتهم، وعلى وجوب البراءة منهم ومباينتهم، إلاَّ لمن قدر على إظهار البراءة من معتقدهم، وأبان لهم في وضوح تام أنهم ليسوا على شيء، لخروجهم على أصول التوحيد، التي قامت عليها ملة المتحنِّفين.

**قال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ـ في الرد على سؤال ورد عليه ـ :**

الانتقال من بلاد الإسلام إلى بلاد القبوريين، والتحيز إلى أهلها، من المصائب العظام والدواهي الكبار

«وأما الانتقال من بلاد الإسلام، إلى بلاد القبوريين، والتحيز إلى جماعة المشركين، وعدم المبالاة في ذلك، فمن المصائب العظام، والدواهي الكبار، التي وقع فيها كثير من الناس وتساهلوا فيها، واستصغروها وخف شأنها عند كثير من الناس، الذين ضعفت بصائرهم في دين الإسلام، وقلَّ نصيبهم من معرفة ما بعث الله به نبينا محمد ﷺ وما كان عليه الصحابة، ومن تبعهم من الأئمة الأعلام.

وما زال الأمر بالناس، حتى صار النهي عن ذلك، والكلام في ذمِّه، وذم من فعله من المستنكر عند الأكثر، وصاروا لا يرون بذلك بأسًا، وينسبون من ينهى عنه وينكره على من فعله؛ إلى الغلو في الدين، والتشديد على المسلمين.

**(الأدلة على وجوب البراءة من المشركين، وحرمة التحيز إليهم)**

وفي القرآن الكريم، والسنة النبوية: ما يدل من في قلبه حياة على المنع من ذلك، وكلام العلماء مرشد إلى ذلك، فإنهم صرَّحوا بالنهي عن إقامة المسلم بين أظهر المشركين، من غير إظهار دينه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ. . . ﴾ الآية [هود/ ١١٣]، وقال: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [المائدة/ ٨٠]، إلى قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة/ ٨١].

كل من أقام بين أظهر المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو مرتكب حرامًا بالإجماع

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء/ ٩٧]، إلى قوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء/ ١٠٠].

قال ابن كثير في الكلام على هذه الآية، وهذه الآية: عامة في كل من أقام بين أظهر المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو مرتكب حرامًا بالإجماع، ونص هذه الآية، والآيات في هذا المعنى كثيرة، يعرفها من قرأ القرآن وتدبَّره.

وفي الأحاديث المأثورة، عن النبي ﷺ ما يدل على ما دل عليه القرآن، مثل قوله ﷺ: «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**»، وقوله ﷺ: «**ولا تستضيئوا بنار المشركين**»، وحديث بهز ابن حكيم: «**أن تفر من شاهق إلى شاهق بدينك**»، قال ابن كثير معناه:

مباينة المشركين من أعز مقاصد التنزيل

لا تقاربوهم في المنازل، بحيث تكونوا معهم في بلادهم، بل تباعدوهم، وتهاجروا من بلادهم، ولهذا روى أبو داود فقال: «**لا تراءىٰ ناراهما**».

وفي قصة إسلام جرير، لما قال: يا رسول الله، بايعني واشترط، فقال: «**أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتفارق المشركين**»، وعن عبد الله بن عمرو، أنه قال: من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبَّه بهم حتى يموت، حشر معهم يوم القيامة.

وكلام العلماء في المنع من الإقامة عند المشركين، وتحريم مجامعتهم، ووجوب مباينتهم، كثير معروف، خصوصًا أئمة هذه الدعوة الإسلامية، كالشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأولاده، وأولادهم، وأتباعهم من أهل العلم والدين، ففي كتبهم من ذلك ما يكفي ويشفي من ﴿ كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ ﴾ [ق/ ٣٧].

**(حكم المقيم في دار تعلوها شعائر الشرك، وتهدم فيها شعائر الإسلام)**

فمن ذلك ما قال الشيخ عبد اللطيف، في بعض رسائله: إن الإقامة ببلد يعلو فيها الشرك والكفر، ويظهر فيها دين الإفرنج والروافض، ونحوهم من المعطلة للربوبية والألوهية، وترفع فيها شعائرهم، ويهدم الإسلام والتوحيد، ويعطل التسبيح والتكبير والتحميد، وتقلع قواعد الملة والإيمان، ويحكم بينهم بحكم الإفرنج واليونان، ويشتم السابقون من أهل بدر، وبيعة الرضوان.

الرضا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، هو قطب رحى الدين، ويوجب البراءة من المشركين

فالإقامة بين ظهرانيهم ــ والحالة هذه ــ لا تصدر عن قلب باشره حقيقة الإسلام والإيمان والدين، وعرف ما يجب من حق الله في الإسلام على المسلمين، بل لا يصدر عن قلب رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، فإن الرضا بهذه الأصول الثلاثة، قطب رحى الدين، وعليه تدور حقائق العلم واليقين، وذلك يتضمن من محبة الله وإيثار مرضاته، والغيرة لدينه والانحياز إلى أوليائه، ما يوجب البراءة كل البراءة، والتباعد كل التباعد، عمن تلك نحلته وذلك دينه، بل نفس الإيمان المطلق في الكتاب والسنة، لا يجامع هذه المنكرات، انتهى كلامه رحمه الله.

## (حكم المقيم في بلاد المشركين)

وأما السؤال عن حكم المقيم في بلدان المشركين، من المنتسبين إلى الإسلام، فهذا الجنس من الناس مشتركون في فعل ما نهى الله عنه ورسوله، إلاَّ من عذره القرآن في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ [النساء: ٩٨]، ثم هم مختلفون في المراتب، متفاوتون في الدرجات، بحسب أحوالهم، وما يحصل منهم، من موالاة المشركين، والركون إليهم، فإن ذلك قد يكون كفرًا، وقد يكون دونه، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٣٢].

وما ذكرت ــ أي السائل ــ من إعراض الناس، عما كان عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في هذه المسائل، فالأمر فوق ما وصفت، وهذا غير مستنكر في هذا الزمان، الذي قلَّ فيه العلم، وفشا فيه الجهل، وتزاحمت فيه الفتن، وقلَّ فيه العمل بالسنة والكتاب، واشتدت فيه غربة الدين، ووقع ما أخبر به الصادق

الأمين، وصار كثير من الناس لا يعرفون من دين الإسلام، إلاَّ ما اعتادوه وألفوه، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهـذا زمـان الصبـر مـن لـك بـالتـي
كقبـض علـى جمـر فتنجـو مـن البـلا
ولـو أن عينًـا سـاعـدت فتـأكفـت
سحـائبهـا بـالـدمـع ديمًـا وهطـلا
ولكنهـا لقسـوة القلـب أقحطـت
فيـا ضيعـة الأعمـار تمشـي سبهـلا»[1]

**وقـال الشيـخ إسحـاق بن عبد الرحمن بـن حسن رحمهم الله تعالى:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من إسحاق بن عبد الرحمن، إلى من يراه من الإخوان، وكافة الرؤساء في ساحل عمان، ومن يليهم، ومن على سليم من أهل فارس وجعلان، من المنتسبين إلى السنة والإيمان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمـا بعـد: فـإن الله تعـالـى أوجـب علينـا التعـاون علـى البـر والتقوى، والتناصر في ذاته على الأعداء، وكل إنسان عليه من العبودية بحسبه، فحيث لا عذر عن قبول الحق، فكذلك لا عذر عن تبليغه، وقد سبقت الإشارة من بعض الإخوان بطلب النصيحة، وما لا يدرك كله لا يترك كله.

(١) الدرر السنية ٨/ ٤٥٨ ـ ٤٦٢.

من أشق خصال التقوى: عداوة المشركين

فمن أجل ذلك: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، والتقوى: كلمة جامعة لخصال الخير، أمرًا ونهيًا، وأعظمها مشقة، عداوة من حاد الله ورسوله، وألحد في أسمائه وصفاته، وأشرك في توحيده، وتعلمون أن سر الخلق والأمر، هو أن يعرف الله بأسمائه وصفاته، ويقصد وحده سبحانه بأنواع العبادة، وأن لا يشرك به أحد سواه، كائنًا من كان، وأن يقوم الناس، بالقسط، فأنزل الحديد آلة، يستعان بها على جهاد من خرج عن القسط.

آثار التجديد

وقد لاح في أوائل هذا القرن علم التوحيد، وأغمدت سيوف الجهاد في هامات من حاد عنه من شيع الكفر والتنديد، وأقيمت الحدود الشرعية في كافة بلدان المسلمين، وحصل القيام التام بواجبات الدين، وذلك أمر لا يخفى، وحصل لأسلافنا وأسلافكم، من التعاون على ذلك ما أرغم الله به أنوف الأعداء، حتى صارت دياركم معقل الإسلام، ومهاجر السادات الأعلام.

ولم يزل في هاتيك الجهات ـ لا زال فيها للحق دعاة ـ من يلهج بتحقيق توحيد المرسلين، ويرشد به الحيارى الجاهلين، وينكر أوضاع الجهمية المبتدعين الملحدين في رب العالمين.

**(آثار الإرجاء الخبيث على أمة التوحيد)**

فالتبس هذا الأصل على كثير من الخلق، حتى آن اندراسه، وانقلع إلاَّ ما شاء الله أساسه، وكثر الطعن في الدعوة الإسلامية، والملة الحنيفية المحمدية، وفاه بين العوام: أن من تكلم بالشهادتين، فهو من أهل الإسلام، وخفي عليهم ما وضعت له من إخلاص العبادة لله، والكفر بما يعبد من دون الله، ونودي بالمسالمة لمن لاذ بالأوهام، وألحد في الدين وعادى المسلمين، عمياء، صماء،

ظلماء، يحاول دعاتها إطفاء ما استبان من هذا الدين المتين، ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ويعلي كلمته.

الإعراض عن التوحيد، سبب في تداعي الأمم علينا

وفي خلال تلك الفرقة، حصل الابتلاء بتداعي الأمم علينا، عقوبة إعراضنا عن هذا الأمر، وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، قال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، لينزعن الله عن صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن**»، قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهة الموت**».

فدل الحديث: على أن الرغبة في الدنيا، والإعراض عن الأخرى، سبب الهلاك والدمار، وتسلط الأعداء، وفشل الأعمار.

آثار الإرجاء الخبيث، ودعاته المجرمين

وعن ثوبان أيضًا مرفوعًا: «**ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**»، وقد اتسعت الفتنة بهم، وعظم الخطب، ودب الشؤم على عقائد أهل الإسلام وإيمانهم، والتحق بهم من ليس به بصيرة ولا قدم صدق، ولا معرفة بالحق، وظنوا أنهم بالتزامهم بعض أركان الإسلام، من دون هذا الركن الأعظم، على هدى مستقيم.

ميزان تقييم الأمة

وليس الأمر كذلك، بل هو كما قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله: إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى ازدحامهم في أبواب المساجد، ولا إلى ضجيجهم بلبيك، ولكن انظر إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة، فاللجا اللجا إلى حصن الدين، والاعتصام بحبل الله المتين، والانحياز إلى أوليائه المؤمنين، والحذر من أعدائه المخالفين.

فأفضل القرب إلى الله تعالى، مقت من حادَّ الله ورسوله، وجهاده باليد واللسان والجنان بقدر الإمكان، وما ينجي العبد من النيران، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا بد أن ينقاد لأوامر القرآن والسنة، ويتبرأ من كل معتقد يخالف ما عليه السلف الصالح من سادات الأمة، وهل زال الإسلام وغيرت الأحكام، وابتدع في الدين ما لم يأذن به الملك العلاّم، إلاَّ بدعاة أبواب جهنم، يصدون الناس عن دينهم.

محبة الله ورسوله ﷺ تقتضي: تنفيذ أوامر الكتاب والسنَّة

## (الموالاة والنصرة، دلالة على وحدة الدين ومحبته)

فاتقوا الله عباد الله، ولا تذهب بكم الدنيا كل الذهاب، فإنها رأس كل خطيئة، وليست من أولها إلى آخرها عوضًا ـ والله ـ عن ذرة من ذرات الآخرة، وكل ما صدر ممن يدعي الإسلام من الإعراض عن هذا الأمر، وتولي المشركين، والطعن على المسلمين، واستعجال الراحة، والرضا عن النفس، والتزيين، هو بعينه نفس العقوبة، وسبب الخذلان، ومركب الندم والهوان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال/ ٧٣].

نفى الله الإيمان عمَّن: وادّ المشركين، وأثبت له الشرك والكفر

فكيف يخلد إلى الدنيا، ويصادق الأعداء، وينسى عهود الحمى، من يؤمن بالله وباليوم الآخر، ويخاف سوء الحساب، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة/ ٥١].

قال حذيفة رضي الله عنه: ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر، وتلا هذه الآية.

وعاتب عمر رضي الله عنه أبا موسى في جعل النصراني كاتبًا، وقال: ما لك؟ قاتلك الله، أما اتخذت حنيفًا مسلمًا؟ وتلا هذه الآية، وهذا مع استخدامه، فكيف بموالاته وإكرامه، وقد نفى الله تعالى الإيمان عمن وادَّ المشركين، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ . . .﴾ الآية [المجادلة/ ٢٢].

أكثر الناس يفطن: للمعصية ووسائلها، دون الشرك ووسائله

ومن المعلوم: أن من وادَّ أحدًا فهو عنه راض، فإذا رضي عنه رضي بدينه فصار من أهل ملته وهو لا يشعر، وأكثر الناس يفطن للمعصية ووسائلها، ولا يفطن للشرك ووسائله، ولما نهى الله عن موالاة أعدائه من الكفار والمشركين، وأباح التقية مع الإكراه، قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران/ ٣٠]، وهذا من أعظم الوعيد والتهديد لمن تدبَّر كتاب الله، وعقل عن الله أمره.

نعم خف أمر أهل الملل عندنا، لما سمعنا بمن جاسوا خلال الدين، وهمُّوا باختلاس عقائد المسلمين، وأدخلوا الشبه ليصدوا بها الناس عن الحق الواضح المستبين، من أحسائي ذي غلٍّ، وفارسي مضل، فتقربوا إلى الله تعالى بالبعد عن داعي الشبهات، واطلبوا علم التوحيد بدليله من البينات، قال بعض السلف: إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات، والعقل الكامل عند ورود الشهوات، فأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، واقبلوا نصيحة مشفق بالمسلمين.

وصية ناصح مشفق، فارعَ لها سمعك

**(انتشار الشرك وعلو شعائره: عقوبة ترك النهي عن المنكر)**

وهنا مقام آخر، وهو مقام استجلاب النعم، واستدفاع حلول النقم، ولا يحصل إلاَّ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

والأخذ على يد السفيه، وقد ذم الله من ليس فيهم بقية ينهون عن الفساد في الأرض، فقال جل من قائل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَآ أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود/ ١١٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ . . .﴾ الآية [الأعراف/ ١٦٥].

وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

فدلَّت الآيات على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأنه لا نجاة إلَّا لمن قام بذلك، وأن اتباع الشهوات، وإيثار اللذات، يوجب الكون في جملة المجرمين، والآيات في هذا المعنى والأحاديث، وأكثر من أن تحصر، ومن كان الله وحده مراده، ومعبوده ومحبوبه، انقاد لأوامره ونواهيه، ولم يداهن أحدًا فيه.

محبة الله تقتضي: الانقياد لأوامره

وفَّقنا الله وإياكم لشكر نعم الله، والصبر على طاعته، والبعد عن موجبات غضبه وعقابه، وجهاد النفس على عداوة أعدائه، ومحبة أحبائه، وصلَّى الله على عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، محمد، وآله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين»[1].



---

(١) الدرر السنية ٨/ ٢٩٧ ــ ٣٠٣.

### المبحث الثالث

## تعريف دار الشرك، وواجب المسلمين نحوها

إذا صار الشرك وتوابعه، فاشيًا في بلد، وبات التحاكم والدعوة فيها لغير الكتاب والسنة، أصبحت الدار دار كفر وشرك بإجماع العلماء المستند لقواعد التنزيل.

فالقرآن كله دالّ على ذلك، ومن ثمّ توجَّب على أهلها من المسلمين: البراءة والإنكار لمعتقد أهل الكفر والضلال، وإلاَّ فالفرار الفرار(١).

**قال الشيخ حمد بن عتيق في جوابه لمن ناظره في حكم أهل مكة، وما يقال في البلد نفسه؟**

فأجاب بقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢]، جرت المذاكرة في كون مكة بلد كفر أم بلد إسلام.

---

(١) أخي القارىء: نحب أن نلفت نظرك الكريم إلى أن أحكام الديار والقتال، ستفرد لكل منهما فصلاً مفصلاً ـ إن شاء الله ـ في كتاب الأحكام المترتبة على التوحيد والشرك.
ولكن آثرت ذكرهما ههنا بنوع من الاختصار، حفاظًا على الوحدة الموضوعية، وحتى تكتمل الصورة بوضوح في معنى الشرك، والأحكام المترتبة عليه، بدلاً من أن تخرج باهتة بلا مضمون، ودون واقع عملي محسوس ملموس.

فنقول وبالله التوفيق: قد بعث الله محمدًا ﷺ بالتوحيد الذي هو دين جميع الرسل، وحقيقته: هو مضمون شهادة أن لا إلـٰه إلَّا الله، وهو أن يكون الله معبود الخلائق، فلا يتعبَّدون لغيره بنوع من أنواع العبادة، ومخ العبادة هو: الدعاء، ومنها: الخوف والرجاء والتوكل والإنابة والذبح والصلاة وأنواع العبادة كثيرة، وهذا الأصل العظيم الذي هو شرط في صحة كل عمل.

معنى: لا إلـٰه إلَّا الله

**والأصل الثاني**: هو طاعة النبي ﷺ في أمره، وتحكيمه في دقيق الأمور وجليلها، وتعظيم شرعه ودينه، والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه.

معنى: شهادة أن محمدًا رسول الله

(**فالأول**): ينافي الشرك ولا يصح مع وجوده.

(**والثاني**): ينافي البدع ولا يستقيم مع حدوثها، فإذا تحقق وجود هذين الأصلين علمًا وعملاً ودعوة، وكان هذا دين أهل البلد أي بلد كان بأن عملوا به ودعوا إليه وكانوا أولياء لمن دان به ومعادين لمن خالفه فهم موحِّدون.

وأما إذا كان الشرك فاشيًا مثل: دعاء الكعبة والمقام والحطيم، ودعاء الأنبياء والصالحين، وإفشاء توابع الشرك مثل: الزنا والربا وأنواع الظلم ونبذ السنن وراء الظهر وفشو البدع والضلالات، وصار التحاكم إلى الأئمة الظلمة ونواب المشركين، وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة، وصار هذا معلومًا في أي بلد كان، فلا يشك من له أدنى علم أن هذه البلاد محكوم عليها بأنها: بلاد كفر وشرك، لا سيما إذا كانوا معادين أهل التوحيد وساعين في إزالة دينهم وفي تخريب بلاد الإسلام.

كيف نحكم على بلدٍ ما، بأنها دار كفر وشرك؟

وإذا أردت إقامة الدليل على ذلك وجدت القرآن كله، فيه، وقد أجمع عليه العلماء فهو معلوم بالضرورة عند كل عالم.

وأما قول القائل ما ذكرتم من الشرك إنما هو من الأفاقية[1] لا من أهل البلد.

**فيقال له أولا**: هذا إما مكابرة، وإما عدم علم بالواقع. فمن المتقرر أن أهل الآفاق تبع لأهل تلك البلاد في دعاء الكعبة والمقام والحطيم كما يسمعه كل سامع ويعرفه كل موحد.

**ويقال ثانيًا**: إذا تقرر وصار هذا معلومًا فذاك كاف في المسألة، ومن الذي فرق في ذلك ويا لله العجب إذا كنتم تخفون توحيدكم في بلادهم ولا تقدرون أن تصرِّحوا بدينكم وتخافتون بصلاتكم لأنكم علمتم عداوتهم لهذا الدين وبغضهم لمن دان به، فكيف يقع لعاقل إشكال، أرأيتم لو قال رجل منكم لمن يدعو الكعبة أو المقام أو الحطيم، ويدعو الرسول والصحابة: يا هذا لا تدعو غير الله، أو أنت مشرك، هل تراهم يسامحونه أم يكيدونه؟ فليعلم المجادل أنه ليس على توحيد الله، فوالله ما عرف التوحيد ولا تحقق بدين الرسول ﷺ. أرأيت رجلاً عندهم قائلاً لهؤلاء: راجعوا دينكم أو اهدموا البناءات التي على القبور، ولا يحل لكم دعاء غير الله هل ترى يكفيهم فيه فعل قريش بمحمد ﷺ لا والله لا والله.

وإذا كانت الدار: دار إسلام ــ لأي شيء ــ لِمَ تدعوهم إلى الإسلام وتأمرهم بهدم القباب واجتناب الشرك وتوابعه؟

---

(١) أي: الذين يأتون إلى مكة المكرمة زائرين، لا أهل البلد الأصليين.

وجود بعض الطاعات، مع انتشار الشرك وعلو شعائره، لا يمنع من وصف الدار بالكفر، والحكم على أصحابه بالشرك

فإن يكن قد غرَّكم أنهم يصلون أو يحجون أو يصومون ويتصدَّقون، فتأملوا: الأمر من أوله، وهو أن التوحيد قد تقرر في مكة بدعوة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ومكث أهل مكة عليه مدة من الزمان، ثم إنه فشا فيهم الشرك بسبب عمرو ابن لحي وصاروا مشركين وصارت البلاد بلاد شرك، مع أنه قد بقي معهم أشياء من الدين، وكما كانوا يحجُّون ويتصدقون على الحاج وغير الحاج.

شرك الناس اليوم، أعظم من شرك أهل الجاهلية الأولى

وقد بلغكم شعر عبد المطلب[1] الذي أخلص فيه في قصة الفيل، وغير ذلك من البقايا ولم يمنع الزمان ــ أي: أن وقتهم وقت فترة والله أعلم ــ ذلك من تكفيرهم وعداوتهم، بل الظاهر عندنا وعند غيرنا أن شركهم اليوم أعظم من ذلك الزمان، بل قبل هذا كله أنه مكث أهل الأرض بعد آدم عشرة قرون على التوحيد، حتى حدث فيهم الغلو في الصالحين فدعوهم مع الله فكفروا، فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام يدعو إلى التوحيد.

---

(١) قام عبد المطلب، فأخذ بحلقه باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة، فقال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا ... امنعهم أن يخربوا فناكا

وله شعر آخر في هذا الأمر، لا يدعو فيه إلاَّ الله وحده، ولا يستنصر فيه أحدًا سواه.

انظر: الكامل في التاريخ للإمام ابن الأثير ١/ ٣٤٣، ٣٤٤، ذكر أمر الفيل. تحقيق عبد الله القاضي ــ دار الكتب العلمية ــ الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.

فتأمل ما قص الله عنهم، وكذا ما ذكر الله عن هود عليه السلام أنه دعاهم إلى إخلاص العبادة لله لأنهم لم ينازعوه في أصل العبادة، وكذلك إبراهيم دعا قومه إلى إخلاص التوحيد وإلاَّ فقد أقروا لله بالإلـٰهية.

إذا كان أهل بلد مقيمين على الشرك وموالين عليه ويقاتلون دونه فهي دار كفر، وإن كان أهلها متسبين للإسلام

وجماع الأمر أنه إذا ظهر في بلد دعاء غير الله وتوابع ذلك واستمر أهلها عليه وقاتلوا عليه، وتقررت عندهم عداوة أهل التوحيد وأبوا عن الانقياد للدين فكيف لا يحكم عليها بأنها كفر؟

ولو كانوا لا ينتسبون لأهل الكفر وأنهم منهم بريئون مع مسبتهم لهم وتخطئتهم لمن دان به والحكم عليهم بأنهم خوارج أو كفار، فكيف إذا كانت هذه الأشياء كلها موجودة؟ فهذه مسئلة عامة كلية.

موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ردة عن الدين

وأما القضايا الجزئية فنقول قد دل القرآن والسنَّة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ارتد بذلك عن دينه.

فتأمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [محمد: ٢٥]، مع قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [المائدة: ٥١]، وأمعن النظر في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ ﴾ [النساء: ١٤٠] »[1].

❑ ❑ ❑

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ١/ ٧٤٢ ـ ٧٤٥.

## المبحث الرابع

# وجوب قتال المشركين حتى يكون الدين كله لله

يجب قتال المشركين، حتى ينخلعوا من الشرك، ويُخلصوا أعمالهم لله، ويلتزموا أحكامه، فإن أبوا ذلك، أو بعضه قوتلوا إجماعًا، وعلى ذلك جرد النبي ﷺ وأصحابه سيوف الجهاد لقتال المشركين، فالقتال دائر مع الشرك حيث دار، حتى يكون الدين كله لله، ويلتزم العباد دين الله القويم، ويسلكوا صراطه المستقيم.

**قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى:**

علة مشروعية القتال

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال/ ٣٩]، وقال: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة/ ٥].

أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويخلصوا أعمالهم لله تعالى، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتِلوا إجماعًا.

وفي صحيح مسلم عن أبـي هريرة مرفوعًا: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاَّ الله، ويؤمنوا بـي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله**».

وفـي الصحيحيـن عـن ابـن عمـر قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منـي دمـاؤهـم وأمـوالهـم إلاَّ بحقهـا وحسـابهـم علـى الله**»، وهـذان الحديثان تفسير الآيتين: آية الأنفال، وآية براءة.

من قال لا إلـه إلاَّ الله، ولـم يعتقـد معناها، ويعمل بمقتضاها، فلا حرمة لدمه وماله بإجماع العلماء

وقد أجمع العلماء على أن من قال: «لا إلـه إلاَّ الله»، ولـم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

قال أبو سليمان الخطابـي رحمه الله في قوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلاَّ الله**»: معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان، دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون: «لا إلـه إلاَّ الله» ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف.

وقال القاضي عياض: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: «لا إلـه إلاَّ الله» تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركو العرب وأهل الأوثان، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد، فلا يكتفى في عصمته بقول: «لا إلـه إلاَّ الله» إذ كان يقولها في كفره، انتهى ملخصًا.

وقال النووي: لا بد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ كما جاء في الرواية «ويؤمنوا بـي وبما جئت به».

مجرد الامتناع عن شريعة ظاهرة متواترة، يوجب جهاد أصحابه، وإن كانوا ناطقين بالشهادتين، وملتزمين لبقية الشرائع، بلا خلاف بين العلماء

وقال شيخ الإسلام، لما سئل عن قتال التتار فقال: كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين ببعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم ما نعى الزكاة، وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم.

قال: فأيما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال أو الخمر، أو الميسِر أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها، التي يكفر الواحد بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء. قال: وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام. انتهى»[1].

**وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:**

«اعلم وفَّقنا الله وإياك للإيمان بالله ورسوله: أن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة/ ٥].

أجمع العلماء: على وجوب القتال، حتى تتم البراءة من الشرك

فتأمل هذا الكلام: أن الله أمر بقتلهم وحصرهم، والقعود لهم كل مرصد، إلى أن يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وأيضًا: فقد قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا**

(١) فتح المجيد ص ١١٢، ١١٣.

**ألا إلـه إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلاَّ بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى».**

فهذا كلام رسوله ﷺ، وقد أجمع العلماء عليه من كل مذهب، وخالف ذلك من هؤلاء الجهال، الذين يسمون العلماء، فقالوا: من قال لا إلـه إلاَّ الله، فهو المسلم حرام الدم والمال، وقد بيَّن النبي ﷺ الإسلام في حديث جبريل ــ لما سأله عن الإسلام ــ فقال: **«الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، فهذا تفسير رسول الله ﷺ.**

مذهب المرجئة اللعين

وهؤلاء يقولون: إن البدو إسلام، لأنهم يقولون: لا إلـه إلاَّ الله، فمن سمع كلامهم، وسمع كلام رسول الله ﷺ فلا بدّ له من أحد أمرين، إما أن يصدق الله ورسوله، ويتبرأ منهم ويكذبهم، وإما أن يصدقهم، ويكذب الله ورسوله، فنعوذ بالله من ذلك، والله أعلم.

بعض لوازم الإرجاء الشنيعة

**فتأمل أول أصول الدين:**

**الأولى:** أن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب، لبيان الحق من الباطل.

**الثانية:** بيان ما اختلف فيه الناس.

**الثالثة:** أن الواجب عليهم اتباع ما أنزل إليهم من ربهم.

**الرابعة:** أن من لم يرفع به رأسًا، فهو منافق جاهل.

**الخامسة:** رد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة.

**السادسة**: أن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل، لا يضل ولا يشقى.

**السابعة**: أن من أعرض عن ذلك، حشر أعمى، ضالاً شقيًا مبعدًا.

**الثامنة**: أن الذين في قلوبهم مرض، يتبعون ما تشابه منه.

وقال أيضًا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى: الذي أقروا أن التوحيد أكبر كل كبير، واختلفوا هل نقاتل من لم يتركه[1]، وإذا قال لا إله إلاَّ الله وانتسب إلى الملة، فحكم الكتاب بينهم بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال/ ٣٩]، وقال الله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ. . .﴾ الآية [التوبة/ ٥]»[2].

ولمّا فشت شعائر الشرك، وعلت مظاهر الكفر في دار مصر، أرسل الإمام سعود بن عبد العزيز رسالة إلى حاكمها آنذاك سليمان باشا، جاء فيها:

شبهة عظيمة

وأما قولكم ـ أي: سليمان باشا ـ: فكيف التجري بالغفلة على إيقاظ الفتنة بتكفير المسلمين، وأهل القبلة، ومقاتلة قوم، يؤمنون بالله، واليوم الآخر، واستباحة أموالهم وأعراضهم، وعقر مواشيهم وحرق أقواتهم، من نواحي الشام. . . إلخ؟

الرد الباهر عليها

فنقول: قد قدمنا أننا لا نكفر بالذنوب، وإنما نقاتل ونكفر من أشرك بالله، وجعل لله ندًا، يدعوه كما يدعو الله، ويذبح له كما يذبح لله، وينذر له كما ينذر لله، ويخافه كما يخاف الله، ويستغيث

(١) هكذا في الأصل، ولعلها «يفعله»، والله أعلم.

(٢) الدرر السنية ٩/ ٢٣٧، ٢٣٨.

به عند الشدائد، وجلب الفوائد، ويقاتل دون الأوثان والقباب المبنية على القبور، التي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله، فإن كنتم صادقين في دعواكم أنكم على ملة الإسلام ومتابعة الرسول ﷺ، فاهدموا تلك الأوثان كلها، وسووها بالأرض، وتوبوا إلى الله من جميع الشرك والبدع، وحقِّقوا قول: لا إلـه إلَّا الله محمد رسول الله.

كيف يصحح الوالي صحة دعواه بأنه مستقيم على ملة الإسلام

(متى تحرم الدماء والأموال ومتى تحل)

ومن صرف: من أنواع العبادة شيئًا لغير الله، من الأحياء والأموات، فانهوه عن ذلك، وعرفوه: أن هذا مناقض لدين الإسلام، ومشابهة لدين عبَّاد الأصنام، فإن لم ينته عن ذلك إلَّا بالمقاتلة، وجب قتاله، حتى يجعل الدين كله لله، وقوموا على رعاياكم بالتزام شعائر الإسلام وأركانه، من إقام الصلاة جماعة في المساجد، فإن تخلف أحد، فأدِّبوه، وكذلك: الزكاة التي فرض الله، تؤخذ من الأغنياء، وترد على أهلها الذين أمر الله بصرفها إليهم.

فإذا فعلتم ذلك: فأنتم إخواننا، لكم ما لنا، وعليكم ما علينا، يحرم علينا دماؤكم وأموالكم، وأما: إن دمتم على حالكم هذه، ولم تتوبوا من الشرك الذي أنتم عليه، وتلتزموا دين الله الذي بعث الله به رسوله، وتتركوا الشرك والبدع والمحدثات، لم نزل نقاتلكم حتى تراجعوا دين الله القويم، وتسلكوا صراطه المستقيم، كما أمرنا الله بذلك، حيث يقول: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال/ ٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة/ ٥].

القتال دائر مع الشرك حيث دار

ونسأل الله العظيم: أن يهدينا، وسائر أمة محمد ﷺ إلى دينه القويم، ويجنبنا طريق: المغضوب عليهم والضالين، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، حرِّر في اليوم الرابع عشر، من شهر ذي القعدة سنة خمس وعشرين [ومائتين وألف من الهجرة](١).

**وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمهما الله تعالى، مبينًا سبب قتال المشركين في أثناء شرحه على كتاب التوحيد:**

اللفظ المجرد عن المعنى، لا يعصم المال والدم، بإجماع العلماء

قوله: «من قال لا إلـه إلاَّ الله وكفر بما يعبد من دون الله»، اعلم أن النبي ﷺ في هذا الحديث علق عصمة المال والدم بأمرين:

**الأول:** قول لا إلـه إلاَّ الله.

**الثاني:** الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لا بد من قولها والعمل بها.

لا بد في العصمة: من الإتيان بالتوحيد، والتزام أحكامه، وترك الشرك

قلت: وقد أجمع العلماء على معنى ذلك، فلا بد في العصمة من الإتيان بالتوحيد، والتزام أحكامه، وترك الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال/ ٣٩]، والفتنة هنا: الشرك، فدل على أنه إذا وجد الشرك، فالقتال باق بحاله كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة/ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة/ ٥]، فأمر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك، وإقامة

---

(١) الدرر السنية ١/ ٣١١ ـ ٣١٣.

شعائر الدين الظاهر، فإذا فعلوها خلي سبيلهم، ومتى أبوا عن فعلها أو فعل شيء منها، فالقتال باق بحاله إجماعًا، ولو قالوا: لا إلـه إلاَّ الله.

وكذلك النبـي ﷺ علَّق العصمة بما علَّقها الله به في كتابه كما في هذا الحديث. وفي «صحيح مسلم»، عن أبـي هريرة مرفوعًا: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاَّ الله ويؤمنوا بـي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله»**.

مشروعية القتال علـى حقـوق الإسـلام

وفي «الصحيحين» عنه قال: لما توفي رسول الله وكفر من كفر من العرب، فقال عمر بن الخطاب لأبـي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلاَّ الله، فمن قال: لا إلـه إلاَّ الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلاَّ بحقه وحسابه على الله»**، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلاَّ أن رأيت الله قد شرح صدر أبـي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. لفظ مسلم.

فانظر كيف فهم صدِّيق الأمة أن النبـي ﷺ لم يرد مجرد اللفظ بهما من غير إلزام لمعناها وأحكامها، فكان ذلك هو الصواب، واتفق عليه الصحابة، ولم يختلف فيه منهم اثنان إلاَّ ما كان من عمر حتى رجع إلى الحق. وكان فهم الصديق هو الموافق لنصوص القرآن والسنة.

وفي «الصحيحين» أيضًا عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاَّ الله، وأن محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابها على الله»**.

أسباب: استباحة الدماء والأموال، بعد عصمتها

فهذا الحديث كآية براءة بين فيهما ما يقاتل عليه الناس ابتداء، فإذا فعلوه، وجب الكف عنهم إلاَّ بحقه، فإن فعلوا بعد ذلك ما يناقض هذا الإقرار والدخول في الإسلام وجب القتال حتى يكون الدين كله لله، بل وأقروا بالأركان الخمسة وفعلوها، وأبوا عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه، أو عن تحري بعض محرمات الإسلام كالربا أو الزنا أو نحو ذلك، وجب قتالهم إجماعًا، ولم تعصمهم لا إلـه إلاَّ الله ولا ما فعلوه من الأركان.

وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إلـه إلاَّ الله، وأنه ليس المراد منها: مجرد النطق، فإذا كانت لا تعصم من استباح محرمًا، أو أبى عن فعل الوضوء مثلاً بل يقاتل على ذلك حتى يفعله، فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله وأحبه ومدحه، وأثنى على أهله، ووالى عليه، وعادى عليه، وأبغض التوحيد، الذي هو إخلاص العبادة لله، وتبرأ منه، وحارب أهله، وكفَّرهم، وصدّ عن سبيل الله، كما هو شأن عبَّاد القبور.

وقد أجمع العلماء على أن من قال: لا إلـه إلاَّ الله، وهو مشرك، أنه يقاتل حتى يأتي بالتوحيد»[1].



(١) تيسير العزيز الحميد ص ٩٩ ــ ١٠١.

# كلمات منتقاة، مضيئة

● لا أكرم الكفار إذا أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله.

[أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

● ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر. قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾ [المائدة/ ٥١].

[الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه]

● إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى ازدحامهم في أبواب المساجد، ولا إلى ضجيجهم بلبيك، ولكن انظر: إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة.

[الإمام أبو الوفاء ابن عقيل]

● فاللجا اللجا إلى حصن الدين، والاعتصام بحبل الله المتين، والانحياز إلى أوليائه المؤمنين، والحذر الحذر من أعدائه المخالفين.

[الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن]

● تجب محبة النبي ﷺ أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته

الكرام، خصوصًا الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم، ثم التابعون والقرون المفضَّلة، وسلف هذه الأمة وأئمتها كالأئمة الأربعة.

[الشيخ صالح الفوزان]

● ولا يبغض الصحابة، وسلف هذه الأمة، من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ، والنفاق، وأعداء الإسلام، كالرافضة والخوارج. نسأل الله العافية.

[الشيخ صالح الفوزان]

● فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها، مهما تباعدت أوطانهم، وامتدت أزمانهم، إخوة متحابون، يقتدي آخرهم بأولهم، ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض.

[الشيخ صالح الفوزان]

● ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال/ ٧٣]، أي: إن لم تجانبوا المشركين، وتوالوا المؤمنين، وإلَّا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر، عريض طويل.

[الإمام الحافظ أبو الفداء ابن كثير]

● من مظاهر موالاة المؤمنين: مناصرتهم، ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان، فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم...

أن يكون المؤمن الصادق معهم في: حال العسر واليسر، والشدة والرخاء، بخلاف أهل النفاق، الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء، ويتخلون عنهم في حالة الشدة.

[الشيخ صالح الفوزان]

● ومن مظاهر موالاة الكفار: إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم، والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام، وأسباب الردة، نعوذ بالله من ذلك. . .

ومن مظاهر موالاة الكفار: مدحهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم الفاسد.

[الشيخ صالح الفوزان]

● فكيف يخلد إلى الدنيا، ويصادق الأعداء، وينسى عهود الحمى، من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويخاف سوء الحساب. . .

ومن المعلوم: أن من وادّ أحدًا، فهو عنه راض، فإذا رضي عنه، رضي بدينه، فصار من أهل ملته وهو لا يشعر.

وأكثر الناس يفطن للمعصية ووسائلها، ولا يفطن للشرك ووسائله.

[الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن]

● يحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم، ومن عاداتهم، وعباداتهم، وسمتهم، وأخلاقهم، كحلق اللحى، وإطالة الشوارب، والرطانة بلغتهم إلاَّ عند الحاجة، وفي هيئة اللباس، والأكل، والشرب، وغير ذلك.

ومن مظاهر موالاة الكفار: مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها. . .

ومن مظاهر موالاة الكفار: التأريخ بتأريخهم، خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم، كالتاريخ الميلادي، والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام.

[الشيخ صالح الفوزان]

● إذا كان الشرك فاشيًا، مثل: دعاء الكعبة، والمقام، والحطيم، ودعاء الأنبياء والصالحين، وإفشاء توابع الشرك مثل: الزنا، والربا، وأنواع الظلم، ونبذ السنن وراء الظهر، وفشو البدع والضلالات، وصار التحاكم إلى الأئمة الظلمة، ونواب المشركين، وصارت الدعوة إلى غير الكتاب والسنة، وصار هذا معلومًا في أي بلد كان، فلا يشك من له أدنى علم: أن هذه البلاد محكوم عليها بأنها بلاد كفر وشرك، لا سيما إذا كانوا معادين أهل التوحيد، وساعين في إزالة دينهم، وفي تخريب بلاد الإسلام.

وإذا أردت إقامة الدليل على ذلك، وجدت القرآن كله فيه، وقد أجمع عليه العلماء، فهو معلوم بالضرورة عند كل عالم.

[الشيخ حمد بن عتيق]

● إن الله أمر بقتل المشركين، وحصرهم، والقعود لهم كل مرصد، إلى أن يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وقد أجمع العلماء على هذا الحكم من كل مذهب.

[شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب]

● اعلم: أن النبي ﷺ علّق عصمة المال والدم بأمرين:

**الأول**: قول لا إله إلاّ الله.

**الثاني**: الكفر بما يعبد من دون الله.

فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لا بد من قولها والعمل بها، وقد أجمع العلماء على معنى ذلك، فلا بد في العصمة من: الإتيان بالتوحيد، والتزام أحكامه، وترك الشرك.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● إن الله أمر بقتال المشركين، حتى يتوبوا من الشرك، ويخلصوا أعمالهم لله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا عن ذلك أو بعضه، قوتلوا إجماعًا.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● والله أمر بقتال المشركين على فعل التوحيد، وترك الشرك، وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خلي سبيلهم، ومتى أبوا عن فعلها، أو فعل شيء منها، فالقتال باق بحاله إجماعًا، ولو قالوا: لا إلـه إلاَّ الله.

[الشيخ سليمان بن عبد الله]

● أجمع العلماء: على أن من قال: «لا إلـه إلاَّ الله»، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

[الشيخ عبد الرحمن بن حسن]

● كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة، من هؤلاء القوم ــ أي التتار ــ ، أو غيرهم، فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين ببعض شرائعه، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء، وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام.

[شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرَّاني]



# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


● ● ●